بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

جامعة إفريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الإفريقية
قسم التاريخ الإفريقي

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإفريقي

بعنوان :

الأثر الاجتماعي للإسلام في مملكة مالي 1255_1341م

أعداد الطالب :
إسماعيل محمد إسماعيل جابر

إشراف الدكتور :
عبد الحميد محمد أحمد

مارس 2010م

الاستهلال

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ)

صدق الله العظيم
سورة التوبة الآية (33)

الإهداء

إلى كل الفقراء والمشردين والنازحين في بلادي الحبيبة ...
إلى إفريقيا السمراء ...
إلى كل أساتذتي الأجلاء ...
إلي كل أهلي وأصدقائي ...
إلي والدي ووالدتي وأخواني وأخواتي...
إليكم أهدي ثمرة جهدي .

الشكر والاعتراف

أتقدم بالشكر والاعتراف إلي مركز البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة إفريقيا العالمية لإتاحته لي الفرصة للانتماء إليه لنيل الماجستير في التاريخ الإفريقي الأمر الذي فتح أبوابا وخفايا كثيرة كنت أجهلها عن هذه القارة .

كما أتقدم بالشكر للدكتور عبد الحميد محمد أحمد مشرف البحث الذي قدم لي الكثير من النصائح والإرشادات ومنحني ثقة كبيرة في النفس . والشكر الجزيل لأستاذي الجليل البروفيسور مهدي ساتي صالح الذي ساعدني في ضبط العنوان وتقويم الخطة.

والشكر موصول إلي الأخوة في مكتبة جامعة إفريقيا لتعاونهم معي بتوفير المراجع التي ساعدتني في كتابة هذا البحث وخاصة الأخ فيصل صالح الصبر، أمين مكتبة البحوث والدراسات الإفريقية.والشكر إلي الإخوان في مركز إيمان بالنهود الذين قاموا بطباعة هذا البحث منهم الأخ إبراهيم محمد عبد الله ، والي الأخوان في جامعة السودان المفتوحة بالنهود منهم محمد أحمد صالح عجب الدور والصادق سبت النور وادم عبد الرحمن والأخت حواء سالم .

والشكر والاعتراف الخاص جداً لجامعة غرب كردفان (النهود) التي أستوعبتني مساعد تدريس في جامعتها العامرة وقامت ببعثتي لنيل الماجستير في التاريخ الإفريقي منهم الدكتور أحمد سمى جدو عميد الدراسات العليا وعميد كلية التربية الأسبق والذي كان وراء انضمامي إلي حقل التعليم العالي ، والأستاذ الطيب داؤد رئيس مجمع الأقسام للعلوم الإنسانية وكل الأساتذة بالجامعة وعمالها.

الشكر والاعتراف إلي الجدة آمنة علي شطة والخال الأستاذ أحمد محمد عيسى شطة والخالة الأستاذة صفية محمد عيسى شطة لاستضافتهم لي في منزلهم العامر بالخرطوم بحري الدروشاب وتوفيرهم أسباب الراحة وتشجيعهم المستمر بالتفوق والنجاح الأمر الذي انعكس بشكل واضح في إحراز نتائج مشرفة .

الشكر للأخ الفاتح محمد إسماعيل جابر الذي حمل عني أعباء متابعة شئون الأسرة و قام بكل واجباته ومسؤولياته تجاها بكل اقتدار.

والشكر إلي كل من ساهم في مساعدتي في كتابة هذا البحث.

لكم منى جميعاً جزيل الشكر والاعتراف والدين

مستخلص البحث بالغة العربية

يتناول البحث الأثر الاجتماعي للإسلام في مملكة مالي ، وتعتبر إفريقيا أرضاً للإسلام الذي تنطوي تحته المساواة ومكارم الأخلاق لمجتمع تتباين فيه العادات والتقاليد والثقافات.

قد أستطاع الإسلام إحداث ثورة اجتماعية كبيرة في المملكة بترقية السلوك الاجتماعي والسمو به من بقايا الوثنية وتغير كل الأنظمة القائمة بالطابع الإسلامي حيث لم يسخر من التقاليد والعادات في المملكة ولم يعمل علي تدمير النظم المحلية بل جعل الناس تتمتع بكامل حريتها وسيادتها واستقلالها وتمارس حكومتها نظمها وشئونها وفق تقاليدها .

وللإنسان مملكة مالي حرية الرفض وقبول الإسلام إضافة إلي سهولة الإسلام نفسه حيث أنه دين الفطرة لا لبس فيه ولا تعقيد.

قد اختار إنسان مملكة مالي الصورة الجديدة للحياة بمحض إرادته واختياره للتشابه الكبير الذي تحمله فكرة التوحيد الإسلامية التي لم تكن غريبة عليهم أيام وثنيتهم إن تعددت ألهتهم كانوا يعتقدون في وجود اله أعظم خالق للكون لذا كان الانسجام واضحاً بين الإسلام والمزاج الإفريقي

وجود المعاهد الإسلامية والمساجد في المملكة أوجد نوعاً من التواصل الاجتماعي بين السكان ليمتد إلي الممالك الاخري من غرب أفريقيا والسودان الأوسط ودول المغرب والمشرق العربي والشمال الإفريقي عن طريق العلاقات الدبلوماسية ورحلات العلم والحج والتجارة بفضل الجهود الكبيرة التي قام بها حكام المملكة بربطها بالإسلام والانتساب إلي العرب والتشبه بهم.

توصل البحث للكثير من النتائج من أبرزها

- تميز شعب الماندنجو مؤسس مملكة مالي بالرقي الاجتماعي وتوافق مزاجه مع التعاليم الإسلامية مما انعكس ذلك علي تكوينه الاجتماعي.
- كانت الثقافة الأفريقية الوثنية متداعية وضعيفة المستوي لم تتمكن من الصمود أمام الإسلام وثقافته الأمر الذي أدي إلي تقبله بيسر
- لم تكن الصحراء حاجزاً أمام المسلمين المتلهفين للدعوة من دعاة وتجار وهجرات بشرية من الدخول في علاقات اجتماعية عن طريق الزواج والمصاهرة والتأثير المتبادل.
- ترتب علي دخول الإسلام في مملكة مالي تأثيرات اجتماعية كثيرة، حيثُ سادت القيم الإسلامية في المجتمع من الإخاء والمساواة .

Abstract

This study examines social impact of Islam in Mali kingdom . Islam the religion of justice, equality and morality, managed to create get social revolution in Mali community which diverse in norms, traditions in addition to culture. Islam neither neglected Mali community norms and traditions nor undermined the indigenous local ruling system.

Islam created social revolution by enhancing social behavior. Gradually, the paganism remain vanished and Islamic ruling System replaced instead.

Mali people accepted Islam spontaneously because they were quite familiar before with concept and idea of monotheism " tawheed" as they experienced during paganism days. They use to believe in one creator for universe that is the reason why they accepted Islam as the religion of monotheism " tawheed".

Islamic institutes and mosques in Mali created interaction and interrelation between Mali people in one hand and Islamic communities in Africa and Arabic peninsula in the other .

The study concluded to he following findings:

- Manddengo community the founder of Mali kingdom are characterized by sophisticated social behavior in accordance with that of Islamic principles.
- Local culture was fragile before Islamic culture so Islam was accepted easily.
- Desert was not obstacle before Muslim callers" diwaa" so they made strong social relations with local people through intermarriage and exchangeable influences.
- The advent of Islam to Mali kingdom made great social impacts thus Islamic values such as brotherhood and equality speeded rapidly among people.

فهرست الموضوعات

الرقم	الموضـــــوع	الصفحة
1	**الاستهلال**	أ
2	**الإهداء**	ب
3	**الشكر والاعتراف**	ج
4	**مستخلص البحث باللغة العربية**	د
5	**Abstract**	هـ
6	**الفهرس**	و– ز
7	**المقدمة**	15.1
8	**الفصل التمهيدي: الإطار النظري**	
9	المبحث الأول : الجغرافيا والسكان لبلاد السودان الغربي	25.16
10	المبحث الثاني : الأحوال العامة في منطقة غرب إفريقيا قبل قيام مملكة مالي	33.26
11	**الفصل الأول : مملكة مالي الإسلامية في العصور الوسطي**	
12	المبحث الأول : شعب الماندنجو	42.34
13	المبحث الثاني: مراحل تأسيس مملكة مالي	51.43
14	**الفصل الثاني : الفصل الثاني : دور الثقافة الإسلامية في بناء مجتمع مملكة مالي الإسلامية**	
15	مدخل(1) الديانة التقليدية والقابلية للإسلام مدخل (2) وسائل انتشار الإسلام في غرب أفريقيا مدخل (3) الإسلام في مملكة مالي	61.52

16	المبحث الأول : المساجد والمعاهد الثقافية وأثرها علي مجتمع مملكة مالي	71-62
17	المبحث الثاني : دور الحج في ربط العلاقات الاجتماعية في المملكة	76-72
18	المبحث الثالث : دور اللغة العربية في التواصل الاجتماعي	84-77
19	**الفصل الثالث : البناء الاجتماعي في مملكة مالي وأثر الإسلام في تطوره**	
20	المبحث الأول الحياة الاجتماعية في مملكة مالي	92-85
22	المبحث الثاني : الحرف والعادات والتقاليد	99-93
23	المبحث الثالث : الاحتفالات والأعياد	106-100
24	تحليل واستنتاج	111-107
25	**الخاتمة**	113-112
	نتائج البحث	116-114
26	**التوصيات**	118-117
27	**ثبت المصادر والمراجع**	131-119
28	**الملاحق**	144-132

المقدمة

تعلمنا أحداث إفريقيا أشياء جديدة ، وتدعونا باستمرار إلي تفكير جديد ، ونظرة عميقة ، وكلما جرت الأيام والسنون ، ازداد تشابك العلاقات بين مختلف مناطق القارة ، وكلما توسعت دائرة الأخذ والعطاء الفكري ، دخل في حياتنا الفكرية والأدبية تيارات الفكر ومحاولة التجريب الإفريقي ، وما أكثرها تنوعاً حيناً وتباعداً حيناً أخر ، كل هذا يجعل من ضرورات حياتنا الفكرية أن ندرس تاريخ هذه المجتمعات الإفريقية المرتبطة بالإسلام وأن نعرف أسس بنائها الفكري والاجتماعي، ومن هنا تبدءا مهمة المثقفين الأفارقة بالكشف عن الجوانب الاجتماعية وإبرازها لتأكيد الهوية والثقافة الإفريقية خاصة المتأثرة بالإسلام.

فالحديث عن غرب إفريقيا قبل أن يطرقها الإسلام صعب للغاية فالقبلية موجودة في نواحي المنطقة وهي عدو للتجمع والاستقرار وهي تسعي للتفرقة والتمزق لا للوحدة والتجمع ، وكانت القبائل في المنطقة كثيرة التحرك والتنقل ليس لها مواطن ثابتة يمكن أن تكون مصدراً للتاريخ ، فضلاً عن عدم معرفتها للكتابة لذا لم تدوّن الأحداث المتصلة بها فتاريخها مبهم غير واضح وحتى الذي دوَن قضى عليه لأسباب النزاعات والحروب ، وحتى الملوك عملوا علي إخفاء تاريخهم قبل الإسلام لاعتقادهم أنه تاريخ لا يستحق الذكر وأن الإسلام يجْبَ ما قبله .

وقد كانت الوثنية هي الاعتقاد السائد في المنطقة تصاحبها عبادة الأشجار والأنهار والكواكب والأبطال والأرواح ، وكان التعرَي هو المظهر الغالب في المنطقة وتسلط القوة هو أسلوب الحياة ، ولم يكن هنالك دستور للعمل و تنظيم الحياة.

أن الدراسات في مجال الحياة الاجتماعية في إفريقيا قليلة واقل بصورة خاصة بمنطقة الدراسة حيث لم تهتم المصادر العربية ولا المؤرخين العرب بشكل واضح بالبحث في الجوانب الاجتماعية لدى الشعوب الأفريقية والدراسات في هذا الصدد حديثة وقليلة جداً لا ترضى الطموح ولا تشفى غليل الباحثين، أما الأوربيين الذين قاموا بدراسات اجتماعية من خلال كتابات وأفلام وثائقية عن حياة الشعوب الإفريقية فيها ، إن دراساتهم دائماً تسلط الضوء على النواحي السلبية والعادات والتقاليد البالية لإظهار الإنسان الإفريقي بأنه متخلف وغير متحضر يعانى من الجوع والفقر والحروب والتشرد وهى دراسات لها أغراض لابد من الانتباه لها لذا على المؤرخين المسلمين والأفارقة شحذ الهمم للتصدي لمثل هذه الدراسات بإنتاج فكرى وثقافي لعكس الصورة الحقيقية للحياة الاجتماعية الإفريقية والتي حسب اعتقادي

راقية وجميلة فقط تحتاج إلى إظهارها بالشكل الواضح، وهذا لن يتم إلا إذا توفرت الإمكانيات المادية والمعنوية.

إن البحث في مجال الحياة الاجتماعية الأفريقية للوهلة الأولى يبدو صعباً لحواجز اللغة والمكان ، لكن في اعتقادي أن هذا تصوير خاطئ يمكن تجاوزه إذا أحسن استخدام معطيات العمل ، وعلى كل دولة إفريقية إظهار حياتها الاجتماعية وعاداتها وتقاليدها عبر الوسائط الإعلامية والتقنية المتاحة ، مع مساعدة الإعلام العربي الإسلامي عبر وسائطه الإعلامية حتى تكتمل الصورة والهدف والآمال .

البحث في مجال الحياة الاجتماعية ممتع ومهم علي الرغم من تداخل المواضيع مع بعضها مما يحول من الدخول إلي موضوع البحث بصورة مباشرة وهذه هي طبيعة البحوث الاجتماعية التي يصعب تفسيرها من دون الأخذ في الاعتبار النواحي السياسية والاقتصادية وتتبع حركة المجتمع نفسه والظروف التي مرة بها، لأن ذلك يساعد بصورة كبيرة على تفهم الشعوب الإفريقية ، ويساعد واضعي رسم السياسات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية على تلبية الحاجات الملحة لهذه الشعوب وهذا بدوره يصب في مصلحة الاستقرار والتنمية .

إن الحياة الاجتماعية في مملكة مالي لا تخرج كثيرا عن مثيلاتها في الممالك المجاورة لكنها متميزة والتربة الأفريقية كانت صالحة لنمو الحياة الاجتماعية ويكفى هنا القول أن إفريقيا كانت مهد الإنسان الأول وإنها مهد الحضارات الإنسانية وان الزنوج في غرب أفريقيا عرفوا أرقى النظم الاجتماعية والسياسية.

كان التقاء الحضارة الأفريقية والإسلامية في إفريقيا وبقوة الحضارة الإسلامية في غرب إفريقيا أمدت المنطقة بمشاعل النور وبدأت المعرفة تزيل الظلمات واخذ الإسلام والثقافة الإسلامية تضع القواعد لحياة سليمة تليق بالبشر ,وبدا التاريخ الحقيقي للمنطقة في ظل الثقافة الإسلامية مما كان بمثابة تحول عظيم في حياة الشعوب المنطقة دينياً وروحياً وفكرياً وسياسياً واجتماعياً وثقافياً فبرزت الشخصية الإسلامية بوضوح في حياة هؤلاء البشر.

قد استطاع الإسلام أن يحدث ثورة اجتماعية كبيرة في مجتمع مملكة مالي وذلك عبر وسائل كثيرة منها وجود المعاهد الإسلامية والمساجد واللغة العربية والحج، وهى أدوات ساعدت على الترقي الاجتماعي في المملكة بالإضافة إلى الإسلام نفسه عند مقارنته

بالأديان القديمة والحضارات التي سبقت الحضارة الإسلامية نجد الإسلام والحضارة الإسلامية تتفوق بشكل كبير في نظرتها للإنسان حيث يقدر الإسلام الإنسان باعتباره خليفة الله في الأرض ويعطى كل فرد في المجتمع حقه جزاء عمله وما عليه من واجب وحقوق عكس الأديان والحضارة الأخرى التي تستخف بالإنسان وتمتهنه وتمارس ضده شتى أنواع العنصرية والتفرقة .

وهذا ما جعل المفكر الأفريقي (علي مزروعي) إن يعارض فكرة نهاية التاريخ التي أطلقها (فرانسيس فوكوياما) فيقول مزروعي إن الدين الإسلامي هو الفصل الختام لتاريخ الأديان حيث لن يظهر دين سماوي من بعده، والدين الإسلامي ينطوي علي الكثير من القيم التي تساعد علي تحقيق المساواة ومقاومة العنصرية في مقابل الممارسات العنصرية الأخرى . وإن الإسلام عندما يستقر في قلوب المسلمين وفي مناطقهم لابد من تغير أحوالهم وفقاً للمبادئ الإسلامية، وللقارئ التاريخ الأفريقي وحاضره أن يلاحظ بدون عناء كبير كيف أن الإسلام بدل المسلمين الأفارقة نحو الإسلام في كافة مناحي الحياة وخاصة في التغيُر الاجتماعي وقد اثر الإسلام تأثيراً بالغاً في حياة الشعوب الإفريقية وغيَر من سلوكها نحو الأفضل.

أسباب اختيار الموضوع:

- إن جل الرسائل التي عثر عليها الباحث عن منطقة غرب أفريقيا عموما تركز بشكل أساسي علي العلاقة بين بلاد السودان وبلاد المغرب وتهمل بشكل كبير الحياة الاجتماعية والتطرق لها بصورة موسعة فأراد الباحث أن يفرد مساحة اكبر للنواحي الاجتماعية في مملكة مالي وأثر الإسلام في تطورها.
- لاحظ الباحث إن اهتمام المؤرخين والباحثين المسلمين ببحث الجوانب السياسية وأخبار الحكام والأمراء مع إهمال تام وواضح للجوانب الاجتماعية فأراد الباحث أن يضئ الطريق للباحثين من بعده لأجراء المزيد من الدراسات الاجتماعية في مملكة مالي.
- إيمان الباحث بضرورة القيام بدراسات اجتماعية للشعوب الأفريقية لمعرفة الثقافة الإفريقية من خلال العادات والتقاليد لدحض افتراء المؤرخين الغربيين الذين يقولون بأن لا تاريخ ولا ثقافة للشعوب الأفريقية .
- الميل الشخصي والرغبة الأكيدة في الكتابة في هذا الموضوع.

أهداف البحث:-

- التعريف بالمجتمعات الإفريقية وإبراز هويتها الاجتماعية الثقافية .
- دراسة مجتمع مملكة مالي في الرّبط والاندماج عبر العصور التاريخية
- إبراز مقومات مجتمع المملكة وتطوره تاريخياً واجتماعياً و انثربولوجياً.
- ربط المنهج الإسلامي بالمنهج الاجتماعي في التغير والإصلاح الاجتماعي
- شحذ الهمم واستقطاب الطاقات والكفايات لعملية المعاودة والاسترداد لإخراج أمة الشهادة .
- إظهار مكانة الثقافة الإسلامية وأهميتها تعريفا بالهوية الإفريقية.
- المساهمة في إحياء التراث الإسلامي في منطقة غرب إفريقيا من خلال دراسة حالة مملكة مالي.
- تأكيد قومية الإسلام في هذا الجزء من القارة الأفريقية .
- معرفة مدي التقدم الحضاري للممالك غرب أفريقيا .
- إبراز الدور التاريخي للثقافة الإسلامية في تنمية المجتمعات الأفريقية.
- إبراز دور العلماء المسلمين وأبناء غرب إفريقيا في نشر الثقافة الإسلامية وتأثيرهم علي الحياة الاجتماعية.
- إبراز وحدة الشعوب المسلمة في إفريقيا وخارجها من حيث العادات والتقاليد.
- دراسة التكوينات الاجتماعية الإفريقية وتأثير الثقافة عليها من خلال عرض وتحليل مملكة مالي الإسلامية من اجل كشف التطورات التي شهدتها منطقة الدراسة والتي هي نتاج اتصالها بالحضارة العربية.

أهمية البحث:

- تنبع أهمية الدراسة عن الأثر الاجتماعي للإسلام في مملكة مالي من كونها دراسة لإحدى فترات التاريخ الأفريقي القومي لمنطقة غرب إفريقيا المرتبط بالعقيدة الإسلامية والقيم الإسلامية المستمدة من مبادئ الدين الحنيف لتوضيح تطور العنصر البشري الأفريقي في فترة تمثل عصر ازدهار لحضارة افريقية إسلامية ، فضلاً عن ذلك فان دراسة هذه الفترة من تاريخ غرب إفريقيا تضع في دائرة الضوء أمجاد أفريقيا أمام الأفريقيين في العصر الحاضر ليأخذوا من أمجاد تاريخهم طريقا نحو مستقبل أفضل علي أساس سليم من الدراسة والفهم .

- كما تأتي الأهمية من دراسة النواحي الاجتماعية في ظل الإسلام للمملكة، لإعطاء مؤشرات لما يلزم عمله من برامج حتى تستمر مسيرة الدعوة الإسلامية في المنطقة بوصفها عاملاً من عوامل التلاقي والتعاون بين شعوب غرب أفريقيا المسلمة.
- وتأتى الأهمية الدراسة أيضا في أنها تسعي للفت الأنظار إلي أهمية هذه المنطقة بوصفها مجالاً حيوياً ومهماً للدعوة وبالتالي فان للمنطقة ميزات نسبية تميزها عن بعض المناطق التي حاولت النخب صرف الاهتمام إليها عوضاً عن الاهتمام ببرامج التعاون المشترك بين الشعوب في غرب إفريقيا والشمال الإفريقي والمغرب العربي والحجاز لإظهار مدى عمق الصلات الثقافية والدينية والاجتماعية في ظل الإسلام.
- وتأتي أهمية الدراسة بصورة ملحة في العصر الحديث لأسباب سياسية وحضارية نظراً لان الاستعمار الأوربي يعمل جاداً في سبيل فصل منطقة غرب إفريقيا حضارياً وتاريخياً عن ارتباطها بحضارة العرب والمسلمون ليتسنى له استعمارها والسيطرة علي خيراتها وذلك بتذكية النعرات العنصرية والجهوية للمزيد من التوتر الاجتماعي والقبلي في المنطقة.

مشكلة البحث :

- منطقة غرب إفريقيا في العصور الوسطي تتميز بوجود ثقافة افريقية محلية قوية وعميقة الجذور مرتبطة بالدين التقليدي الذي له تأثير كبير علي النواحي الاجتماعية والثقافية والسياسية والاقتصادية ، وتكمن المشكلة في اختفاء دور مملكة مالي في الحضارة الإسلامية وعدم اهتمام الباحثين في كتابة التاريخ الاجتماعي لهذه المملكة. فمشكلة البحث أيضا تتركز حول سؤال رئيسي هو : ما هي مردودات المؤثرات الإسلامية علي الثقافة المحلية الإفريقية وتطور الحياة الاجتماعية في مملكة مالي؟ .

فروض البحث :

- الدين له أثر في تماسك وبناء المجتمعات التقليدية الإفريقية .
- الماندنجو شعب عريق وعميق الجذور في التاريخ القديم والحديث يتميز باحترام الغير ومتماسك ومتعاون ومحب للسلام مما اكسبهم شهرة وقوة.

- أهل مملكة مالي كانت لهم عادات وتقاليد ذميمة لتأثير البيئة والثقافة المحلية عليهم, لكن رغم ذلك تتعارض الكثير من معتقداتهم الاجتماعية مع الأديان الأخرى، بينما تقترب فطرتهم السليمة مع الإسلام.
- تؤدي المؤسسات الدينية والثقافية دوراً مهماً في التعبير عن قوة العلاقات الاجتماعية.
- هنالك علاقة طردية بين التقارب الثقافي والاستقرار الاجتماعي.
- اللغة العربية لغة افريقية علي ضوء الخصائص المشتركة بين اللغات الإفريقية واللغة العربية.
- احتفظ أهل مملكة مالي بخصائصهم ومعتقداتهم القديمة حتى في ظل الإسلام.

أسئلة البحث :

- ما هي مالي؟ وأين توجد؟ ومتى نشأت؟ ومتى دخلها الإسلام ؟
- ما هي الخلفية التاريخية والاجتماعية للقبائل التي أسست مملكة مالي؟
- ما هي معتقداتهم وعاداتهم وتقاليدهم ومن أين استقوها؟
- كيف حدث ويحدث التحول العقدي و الاجتماعي في مملكة مالي؟
- إلي أي مدي ساعد تشابه العادات والتقاليد الأفريقية والإسلامية في سهولة انتقال الشعوب الأفريقية للإسلام؟
- إلي إي مدى ساهم سلاطين مالي في ازدهار الثقافة الإسلامية؟
- ما هي أهم المراكز الثقافية في مملكة مالي؟ ومتى نشأت؟ وما هي أهم العوامل التي ساعدت في ازدهارها وتطورها؟
- ما هو دور هذه المراكز الثقافية في التأثير علي النواحي الاجتماعية؟
- ما هو دور أعلام الحركة الثقافية في المملكة في إحداث تغيرات ملموسة في مجتمع المملكة؟ والي مدي اثروا في البنية الاجتماعية؟ وهل شجعوا الحكام والأمراء علي رعاية العلم والعلماء والمجتمع؟
- إلي أي مدي استطاع الإسلام و الثقافة الإسلامية التأثير علي الحياة والنظام الاجتماعي في المملكة؟
- كيف يمكن الاستفادة من النفوذ الديني في المنطقة في تحقيق الإصلاح

مصادر البحث

- البكري: أبو عبيد الله عبد الله العزيز :_ ت 487هـ

جاءت مادة البكري في كتابيه (المسالك والممالك و المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب المأخوذ من كتاب المسالك والممالك) عن غانة والمناطق المحيطة بها دقيقة وشاملة

فذكر المراكز التجارية والنظم والسلع والمسافات والعلاقات التجارية بينها ، وتقل معلومات البكري كما اتجه شرقا من غانة، وربما كان السبب اضطراب المنطقة بسبب هجرات القبائل البدوية ، ويبدو أن البكري استمد معلوماته عن السودان التي لم يزورها من التجار والفقهاء وان لم يشر إلي ذلك ، ففي كل ما كتبه عن السودان أشار مرتين فقط إلي مصدر خبره وهو الفقيه أبو محمد عبد الملك.

- مؤلف مجهول :. الاستبصار في عجائب الأمصار :.

يرجع تأليف الكتاب إلي عام 587هـ 1191م ، وتوجد منه طبعتان إحداهما تتكلم عن شمال افريقية والثانية تتناول الصحراء والسودان.

والملاحظ علي مادة الكتاب المتعلقة بالبحث أنها هي نفس مادة البكري منقولة بالنص في اغلب الأحيان ، فعلي سبيل المثال ما أورده عن غانة وتادمكة وكوكو هو نفسه تقريبا عن البكري.

- ابن بطوطة : شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ت 770هـ 1368م

بالرغم من الشكوك التي تحوم حول بعض ما ورد في رحلة بن بطوطة ألمسماه (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،ج4) بسبب بعض المبالغات أو المعلومات التي سجلها بعد وقت طويل من وقوعها . ألا أن رحلته للسودان كانت الرحلة الأخيرة حيث أوفده سلطان بني مرين أبو عثمان فارس المتوكل بن علي سلطان مراكش إلي بلاد مالي صاحبة السيطرة علي صنقي في ذلك الوقت. حيث قام ابن بطوطة برحلته إلي السودان عام 752هـ 1352م عن طريق سلجماسة ووصل إلي غانة ثم توجه شرقا علي النيجر حتى انحنائه جنوبا ثم واصل سيره حتى تكدا واتجه شمالا عبر الحجاز راجعاً إلي فاس

وأعطي معلومات غزيرة عن المنطقة خاصة في مملكة مالي في عهد منسا سليمان من حيث العادات والتقاليد وألوان الأطعمة والملابس وصور الحياة الاجتماعية كما رآها

- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد ت 808هـ 1405م:

تناول في كتابه (العبر وديوان المبتداء والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج6) بالتفصيل ممالك السودان الغربي مالي وعلاقتها مع بني مرين ، وأشار إلي مواكب حج سلاطين السودان وتحدث عن التجارة وعن ممالك البربر ومساهمتهم فيها

أما كتابه الثاني المقدمة : المعلومات فيه مختصرة عن السودان الغربي غانة وتكرور وأشار إلي التجارة والرقيق، كما تناول مالي وكوكو وكانم وزغاوة.

اعتمد بن خلدون علي المسعودي والإدريسي في كثير من مادته إلي جانب المعلومات التي جملها بحكم معايشته للتجار عابري الصحراء في المنطقة . _

- القلقشندى، أبو عباس أحمد بن علي ت821هـ :.

تناول القلقشندى الجغرافية في المقالة الثانية الخاصة بالمسالك والممالك في موسوعته الضخمة صبح الاعشي في صناعة الإنشاء ج5 ، ط1، من إصدار (دار الكتب العالمية ، بيروت ، 1978م) و(المؤسسة العربية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، الطبعة المصورة، القاهرة،1963) فأورد معلومات كثيرة عن مالي التي كانت قد دخلت في موجة من اضطرابات قبيل وفاته بنحو ثلاثين سنة وتقلصت حدودها . وربما كان القلقشندى اعتمد اعتمادا كبيرا علي العمري فيما أورده عن السودان فبدت مالي في كتابه وكأنها لا تزال في قمة مجدها ، فقد صور لنا الحياة بجميع جوانبها في المملكة.

- الوزان:. الحسن بن محمد (ليو الإفريقي) ت 960هـ 1552م

ولد بغرناطة من أسرة مغربية وتجول في شمال إفريقيا ، فقام برحلته إلي السودان عن طريق سلجماسة تغازاة تنبكتو ، ثم اتجه شرقا علي النيجر حتى تكدا ثم قفل راجعا عن طريق اغاديس وتوات ورحلان تلمسان

بدا ليو تسجيل رحلته بالعربية ثم أتمها بالايطالية التي تعرف باسم (وصف افريقية وأشهر ما فيها من عجائب) أو (تاريخ وصف افريقية والأشياء البارزة التي احتوتها) أما المترجمة من الفرنسية إلي العربية بعنوان (وصف افريقية)التي اعتمد عليها البحث أورد الوزان معلومات وافية ودقيقة عن أحوال المناطق التي زارها من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والأنشطة التي يمارسها السكان وأعطي وصفا رائعا لمدينة تمبكتو ، وأمدنا بمعلومات قيمة عن مملكة صنقاي قبل سقوطها وكذلك دويلات الهوسا .

- محمود كعت التنبكتي:. 873هـ . 1593م

صاحب كتاب(تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريغ انساب العبيد من الأحرار) بداء كعت تأليف كتابه وهو في الخمسين من عمره أي حوالي سنة 925هـ 1519م وكان من أصدقاء الحاج محمد اسكيا الكبير 935هـ 1529م المغربين ، صاحبه في تأدية فريضة الحج إلي مكة ، الكتاب يتحدث بشكل أساسي عن مملكة صنقاي ، استفاد منه البحث من خلال النواحي الاجتماعية والحديث عن السلاطين وعدلهم والأحداث التي في المنطقة المنتهية بالغزو المغاربي لتنبكتو.

- عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي:.

الذي ولد في تنبكتو عام 1005هـ 1596م ، وتوفي بعد عام 1065هـ 1655م ، وهو صاحب كتاب (تاريخ السودان) ويعتبر السعدي مؤرخ مملكة صنقاي دون منازع ، فتناول في كتابه تاريخ إمبراطوريتي غانة ومالي وحضارتهما ، وأورد تراجم للعلماء تنبكتو في مختلف الميادين .

حصل السعدي علي منصب إمام الجامع الكبير بجني والذي كان بمثابة جامعة إسلامية ، كما قام السعدي في مرات عديدة بدور الوساطة بين أمراء غرب إفريقيا مما اكسبه خبرة واسعة وعلاقات

وطيدة مع عدد كبير من حكام غرب إفريقيا مما جعله ضالعا في الشئون السياسية للبلاد وتزيدت قدرته علي تقويم الأحداث السياسية وتدوينها ساعده علي ذلك البيئة العلمية التي عاش فيها والفقهاء الذين درس علي أيديهم فأتيحت له فرصة تسجيل حياة الطبقة المستنيرة ودورها في تاريخ المنطقة .

ويعتبر كتاب تاريخ السودان أهم مصدر لتاريخ غرب إفريقيا في العصور الوسطي ، وانصب اهتمام السعدي الأكبر علي مدينة تنبمكتو مسقط رأسه.

- الإدريسي :

صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الأفاق) استفاد الإدريسي من معلومات الجغرافيين السابقين له منذ القرن الثالث الهجري مثل ابن خرداذبة واليعقوبي ومؤلفو القرن الرابع الهجري، العاشر الميلادي مثل المسعودي وابن حوقل ، واعتمد أيضا علي مصادره الخاصة عن جنوبي الصحراء الكبرى من ثقاة متجولى التجار .

وقد أورد الإدريسي معلومات وافية عن المناطق الواقعة جنوبي الصحراء وتعرض بالتفصيل للمنطقة الصحراوية والمراكز التجارية غير انه اكتفي بذكر المراحل دون وصف الطرق.

المراجع العربية الحديثة:.

- عبد القادر زبادية : الذي كتب عن صنقي في عهد الاساكي ويعتبر كتابه من أحسن ما كتب عن صنقي في العصر الحديث باللغة العربية وتحدث في كتابه عن الجانب الاجتماعي والثقافي والسياسي والاقتصادي ، واهتم بالجانب السياسي والاقتصادي أكثر من غيرهما.
- أحمد شلبي : في موسوعة التاريخ الإسلامي في الطبعة السادسة . و احمد شلبي احسبه أحسن من كتب في التاريخ الإسلامي في الوقت الحاضر لأنه الوحيد الذي تحدث عن تاريخ الشعوب الإسلامية بصورة شاملة.
- عبد الرحمن ذكي : في كتابه تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية. الذي تناول فيه حديثا مفيدا عن إمبراطورية غانة ومالي وصنقي وكانم وبرنو، حيث تحدث عن هذه الإمبراطوريات وقوة الإسلام وثقافته فيها، ألا انه تحدث عن فترة محددة مما جعل حديثه قاصرا عن بعض المراكز الثقافية أكثر
- إبراهيم طرخان : له كتب كثيرة عن إمبراطوريات غرب إفريقيا منها: مملكة مالي الإسلامية وإمبراطورية غانا الإسلامية و إمبراطورية البرنو الإسلامية، البحث استفاد أكثر من كتاب مملكة مالي الإسلامية، لكن اهتمام طرخان بالجوانب السياسية أكثر من غيرها.
- الهادي المبروك :. له العديد من الكتب عن منطقة غرب إفريقيا وهو من المهتمين بدراسة الإسلام والثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا ، حيث قام بزيارات ميدانية إلي المناطق الأثرية والتاريخية للمملكة مالي. ومن كتبه التي استفاد منها البحث. (مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم

المراكز بالشمال الإفريقي من القرن (13 – 15)) (الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية في غرب إفريقيا) (أفاق لأدب إفريقيا فيما وراء الصحراء)

- عثمان برابمابري :. هو كاتب ومؤرخ من أبناء غرب إفريقيا ، له كتاب : جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي. يستعرض الكاتب جوانب الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية التي عاشتها شعوب منطقة غرب إفريقيا منذ أكثر من ثلاثة ألف سنة مرورا بظهور المسيحية والإسلام ووصولا إلي مختلف مراحل الحقب الاستعمارية

ويعتب الكتاب مهم جدا لاستهدافه للمكتبة العربية لان مؤلفه ذا خبرة أكاديمية في بؤرة التاريخ المتأصل في بيئته الإسلامية والإفريقية بالإضافة إلي حنكته الدبلوماسية حيث انه عمل في منظمة الوحدة الإفريقية متنقلا بين العواصم الإفريقية المترامية الأطراف

- مهدي ساتى صالح :. أستاذ دكتور في جامعة إفريقيا العالمية بالسودان، و من المهتمين بتاريخ غرب إفريقيا، خاصة الجانب الثقافي وله العديد من المقالات والمؤلفات في منطقة السنغال منها (مع الإسلام و الثقافة العربية في السنغال) و (الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال) استفاد البحث من مؤلفاته في معرفة القبائل التي في المنطقة والأديان التقليدية وما يتصل بها من طقوس.
- محمود سلام زناتي :. له كتاب. الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقية ، حيث يعطي الكتاب فكرة عن الصراع والتفاعل بين مظاهر الحياة التقليدية الإفريقية في مظاهره ومراحله ونتائجه مع الإسلام والتقاليد والنظم الإسلامية . لكن معلومات الكتاب في إبراز العادات والتقاليد للشعوب الإفريقية ليس بالضرورة أن تكون مطابقة للواقع في الوقت الحاضر لان المعلومات مستقاة من مؤلفات مضي عليها أكثر من ربع قرن. والملاحظة إن زناتي لم يشير إلي أسماء مصادره ومراجعه في متن البحث مما حرم الباحثين من فرصة الاستفادة من هذه المراجع . فالبحث استفاد من الكتاب بشكل كبير.
- كما استفاد البحث من مجموعة كبيرة من المراجع العربية الحديثة والمترجمة (ولا نسي مراجع الجغرافية منها) التي تظهر من خلال اعتماد الطالب عليها في البحث من باحثين أفارقة وعرب طموحين لإظهار غرب إفريقيا بوجه حقيقيي برغم من إن كتبهم بها بعض الملاحظات لكنها لا تقدح في مجوداتهم
- كما استفاد البحث من مجموعة كبيرة من مجلة دراسات افريقية إصدار مركز البحوث والدراسات الإفريقية الذي يتبع لجامعة افريقية العالمية بالسودان وهو من المراكز الحيوية والمهمة في القارة الإفريقية ومهتم بشئونها وقضياها في كل المجالات، والمركز يمنح درجة الدبلوم العالي والماجستير والدكتوراه في الدراسات الإفريقية.

- كما استفاد البحث أيضا من سلسة مجلدات الإسلام في إفريقيا إصدار مركز البحوث والدراسات الإفريقية ،جامعة افريقية العالمية بالسودان. بالإضافة إلي المحاضرات والندوات والملتقيات ذات الصلة بموضوع البحث. وأخيرا الانترنيت.

الدراسات السابقة:.

استفاد البحث من رسائل جامعية كثيرة تناولت تاريخ غرب إفريقيا المتعلق بانتشار الإسلام في المنطقة. كما تحدثت الرسائل عن تأسيس الممالك الإفريقية وتطورها ، وعلاقة المنطقة بدول المغرب العربي والتأثيرات الناجمة عن ذلك في جميع النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، ورسائل أخري من معهد اللغة العربية الخرطوم بحثيها من منطقة الدراسة، ليست لها علاقة مباشرة بالبحث لكنها ساعدت علي تفسير بعض مدلولات الأسماء والقبائل للماندنجو.

ولعل من أهم الدراسات التي اعتمد عليها البحث دراسة: **جعفر محمد خلف الله محمد شبو** بعنوان (الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولة مالي الإسلامية في العصور الوسطي ،(5–8 هـ / 12 –15 م)) ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الدراسات العليا ، كلية الآداب ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 2008م.

حيث قام الباحث بدراسة ميدانية للمنطقة الدراسة وجمع مادة غزيرة عن مملكة مالي من خلال اطلاعه علي المخطوطات الإسلامية التي عثر عليها في دار الوثائق في باماكو والمنطق الأثرية الأخرى , كما أن التقاؤه بالمثقفين من أبناء المنطقة ، واعتماده علي مصادر أولية عربية وأجنبية ساعده في إبراز بحثه بشكل ممتاز مظهراً فيه عمق التحليل والنقد و الاستنتاج.

* عصمت هاشم عبد اللطيف على دندش ، دور المرابطين في نشر الإسلام في إفريقيا مع نشر وتحقيق رحلة أبوبكر المعافري 1038 – 1121 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة 1975.

- تقع الرسالة في 308 صفحة مكتوبة على الآلة الكاتبة (Typest) .
- الهدف من الرسالة : توضيح الدور التاريخي الذي قام به المرابطون في غرب إفريقيا وما قاموا به من جهود في سبيل إسلام معظم قبائل غرب إفريقيا .
- المنهج لم يذكره الباحث لكن يُعتقد أنه المنهج الوصفي التاريخي .
- الرسالة مقسمة إلى ست فصول مع العديد من المباحث .
- تتحدث الرسالة بشكل عام عن غرب إفريقيا قبل المرابطين ثم الحديث عن عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر وجهودهما السياسية والعسكرية لقيام الدولة ، ثم أوضاع

المنطقة في عهد يوسف بن تاشفين ، ثم الثقافة العربية الإسلامية في عهدهم ، وأخيراً تحقيق رحلة أبوبكر المعافري الأندلسي .

- يذكر الباحث أنه قام بزيارة ميدانية لمنطقة الدراسة .

*عبد لباقي أحمد كبير ، المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا رسالة ماجستير غير منشورة كلية اللغة العربية ، قسم الحضارة والتاريخ ، جامعة الأزهر 1984م .

- تقع الرسالة في 385 صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- الهدف من الرسالة : إحياء التراث الإسلامي ، وتوجه الباحثين لغرب إفريقيا بدور الصراع من الإسلام والمسلمين ، الرد على المستشرقين الذين يحاولون من الإسلام ، إبراز دور المرابطين في المنطقة .
- المنهج : لم يذكره الباحث ولكنه واضح أنه المنهج التاريخي الوصفي .
- الرسالة مقسمة إلى خمسة فصول مع العديد من المباحث .
- تتحدث الرسالة بشكل عام عن الحياة السياسية والاقتصادية في المغرب قبل الغزو المرابطي ، ثم تطرق الباحث إلى نشأة الرباط في السنغال ، ثم قيام المرابطين بالمغرب الأقصى ، ثم الحديث عن الأحوال التي لابست دول غرب إفريقيا قبل الغزو المرابطي ، وأخيراً دورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا .

* أحمد الياس حسين ، العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي بين القرنين الثاني والخامس الهجريين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة 1982م .

- تقع الرسالة في 223 صفحة على الآلة الكاتبة .
- الهدف من الرسالة : إكمال سير العلاقات مع دول المغرب لأن الذين تناولوا هذه العلاقات لم يذهبوا أكثر من فترة المرابطين .
- المنهج لم يذكره الباحث .
- تحتوى الرسالة على أربعة فصول ولكل فصل عدد من المباحث .
- تتحدث الرسالة بشكل عام عن العلاقات بين بلاد المغرب ومملكة غانا عن النواحي الاقتصادية والسياسية والثقافية .

* أحمد الياس حسين ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى منتصف القرن الـ16 كما عرفها الجغرافيون ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة 1977م .

- تقع الرسالة في 269 صفحة .
- الهدف من الرسالة : محاولة تتبع مسالك الصحراء كما وردت عند الجغرافيين والرحالة العربي لتوضيح العلاقات التجارية التي ربطت المنطقة بالمغرب وما ترتب على ذلك من آثار .
- تحتوى الرسالة على خمس فصول وعدد من المباحث .
- تتحدث الرسالة بشكل عام عن الرحالة الذين اعتمد عليهم الباحث في الدراسة ، ثم طرق الاتصال عبر الصحراء والمراكز التجارية والسلع المتبادلة وطرق التعامل ، وأخيراً أثر الطرق التجارية بين الحياة الثقافية والاقتصادية .

* محمد أنور توفيق ، دولة صنغي الإسلامية 1493 – 1591 ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1977م

- تقع الرسالة في 231 صفحة مطبوعة على الآلة الكاتبة .
- الهدف من الدراسة : تتبع أهمية الدراسة لدولة صنغي في عصر الأسكين من كونها دراسة لأحدى فترات التاريخ الإفريقي القومي لمنطقة غرب إفريقيا تدرس لأول مرة في العصر الحديث على يد أحد أبناء القارة بوجهة نظر إفريقية مستقلة تختلف عن وجهة النظر الأوربية التي درست التاريخ الإفريقي لخدمة أغراضها الاستعمارية .
- تحتوى الرسالة على خمس فصول والعديد من المباحث .
- تتحدث الرسالة بشكل عام عن الدولة قبل وصول الأسكيين ثم تطورها في شتى المناحي في عهدهم .

وغيرها من الدراسات استفاد منها البحث وتظهر ذلك من خلال قراءة البحث

منهج البحث :

أتبع الباحث المنهج التاريخي الوصفي لكتابة البحث للوصول إلي نتائج طيبة .

حدود البحث :

الحدود المكانية: مملكة مالي الإسلامية.

الحدود الزمنية: (1341_1255) منذ نهاية عهد السلطان ماري جاطة مؤسس المملكة ،وبداية عهد منسا سليمان الذي زار في عهده الرحالة الشهير ابن بَطُوطَة المملكة.

مصادر البحث:

- المصادر العربية .
- المراجع العربية.
- التحليل والاستنتاج.

هيكل البحث :

الفصل التمهيدي: الإطار النظري

المبحث الأول:الجغرافيا والسكان لبلاد السودان الغربي .

المبحث الثاني : الأحوال العامة في المنطقة .

الفصل الأول : مملكة مالي الإسلامية في العصور الوسطي.

المبحث الأول: شعب الماندنجو

المبحث الثاني: مراحل تأسيس مملكة مالي الإسلامية

الفصل الثاني: دور الثقافة الإسلامية في بناء مجتمع مملكة مالي .

مدخل (1): الديانة التقليدية الإفريقية والقابلية للإسلام .

مدخل (2): وسائل انتشار الإسلام في غرب إفريقيا .

مدخل (3): الإسلام في مملكة مالي

المبحث الأول : المساجد والمراكز الثقافية وأثرها علي المجتمع.

المبحث الثاني: دور الحج في ربط العلاقات الاجتماعية في المملكة.

المبحث الثالث : دور اللغة العربية في التواصل الاجتماعي .

الفصل الثالث : البناء الاجتماعي في مملكة مالي واثر الإسلام في تطوره.

المبحث الأول: الحياة الاجتماعية في مملكة مالي.

المبحث الثاني: الحرف والعادات والتقاليد.

المبحث الثالث: الاحتفالات والأعياد.

وذيل البحث بالخاتمة و النتائج و التوصيات والمصادر والمراجع والملاحق.

الفصل التمهيدي: الإطار النظري

المبحث الأول: الجغرافيا والسكان لبلاد السودان الغربي.

تقع مملكة مالي فيما يعرف ببلاد السودان الغربي أو غرب إفريقيا, لذا لابد من الحديث عن الجغرافيا والعناصر السكانية والأحوال العامة في المنطقة لأنه: تصعب الكتابة عن تاريخ غرب أفريقيا بدون معالجة جغرافيتها وذلك لما لها من تأثيرات واضحة علي تشكيل تاريخ المنطقة خلال العصور الوسطي ، فالتاريخ دراسة تقوم علي الأهمية الزمنية

والمكانية والمقصود من المكانية هو المفهوم الجغرافي أي الأرض التي قامت فيها الأحداث التاريخية فالجغرافيا تؤثر في التاريخ وتغيره أحياناً [1] فالتاريخ هو علم الزمان والجغرافيا هي علم المكان وهي من أهم العلوم المساعدة لعلم التاريخ [2] .

فمن أولي ما تتطلبه دراسة الثقافة العربية الإسلامية وتأثيرها في مجتمعات السودان الغربي دراسة البيئة التي قامت عليها الأحداث ودراسة الأجناس البشرية التي صنعتها وذلك لأهمية الدور الذي يؤديه هذان العنصران تجاه المناشط الإنسانية التي تقع عليها فالأولي بإعتبارها المسرح الذي تجري عليها تلك الأحداث وهي لا تقف جامدة تجاه المناشط الإنسانية التي تجري عليها بل تؤدي دوراً هاماً بما توفره من فرص للتمازج بين المفاهيم والمعتقدات المختلفة ، وبما تتيحه من فرص للتفاعل بين التيارات الوافدة والمقيمة الأمر الذي سيكون حتماً له انعكاساته علي حياة الإنسان في المنطقة المعنية أما الثانية فباعتبارها صانعة لتلك الأحداث [3] .

وغرب أفريقيا هي جزء مما كان يعرف قديماً ببلاد السودان وكان العرب أول من أطلق كلمة السودان علي الأقوام التي تسكن جنوب الصحراء الكبرى وسموا بلادهم ببلاد السودان [4] مقابل بلاد البيضان في شمال الصحراء .

---

[1]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، المرابطون ودرهم في نشر الإسلام في غرب أفريقيا ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، قسم الحضارة والتاريخ ، جامعة الأزهر ، 1984م ، ص 217.

[2]) أ. آدم عبد الرحمن ، محاضرة قدمها لطلاب الدفعة 11 تاريخ ، السنة الخامسة والدبلوم العالي ، في كورس منهج البحث التاريخي ، بعنوان العلوم المساعدة والمصادر الثانوية للتاريخ ، كلية التربية والآداب ، جامعة الفاشر ، 2006م .

[3]) مطير سعيد غيث أحمد ، الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ط1 ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2005م ، ص27

[4]) عبد القادر زبادية ، مملكة صنغاى في عهد الأسيقين ، ط 1 ، الشركة الوطنية ، الجزائر ، 1971م ، ص5 .

مصطلح بلاد السودان :

وقال عن هذه المنطقة المقدسي :(وأما أرض السودان فإنها تتاخم هذه الإقليم ومصر من قبل الجنوب وهي بلدان مقفرة واسعة شاقة وهم أجناس كثيرة) ([1]).

وقال عنها القشقلندي(أول بلاد السودان جبال ورمال عظيمة متصلة من الغرب البحر المحيط ، ومن الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء،ومن الشرق بحر القلزم*مما يقابل بلاد اليمن وفي الشمال براري تمتد مابين مصر وبرقة وبلاد البربر من جنوبي بلاد المغرب إلي البحر المحيط([2])) ووصفها الأصطخري([3]) (أن ليس في إقليم السودان من الحبشة والنوبة والبجة وغيرهم إقليم أوسع منه ويمتدون إلي قرب المحيط* مما يلي الجنوب ومما يلي الشمال علي مفازة تنتهي إلي مفازة مصر من وراء الواحات) أما زكريا القزوينى فيقول عنها (هي بلاد كثيرة وأرض واسعة ينتهي شمالها في أرض البربر وجنوبها إلي البراري وشرقي الحبشة وغربها إلي البحر المحيط) ([4]).

وقد حدد ابن حوقل منطقة السودان الغربي بقوله(وأما جنوبي الأرضي من بلاد السودان فان بلادهم في أقصي المغرب علي البحر المحيط بلد متلف... غير إن حدا له ينتهي إلي البحر المحيط ، وحدا له ينتهي إلي برية بينه وبين ارضي المغرب وحدا له إلي برية بينه وبين ارض مصر علي ظهر الواحات)([5]) . كما عني الإدريسي بإحاطتنا بالشعوب التي يتكون منها السودان مع الاهتمام بوصف البيئة الطبيعة([6])

ويقول عنها ابن خلدون : (السودان أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالمشرق الزنج والنوبة ، ويليهم الزغاوة ويليهم الكانم ويليهم من غربهم كوكو ويتصلون بالبحر المحيط إلي غانا)([7]) .

---

[1]) المقدسي: شمس الدين أبو عبد الله محمّد بن احمد بن أبي بكر البناء الشامي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط2،دار صادر، بيروت (ليدن دت) ، ص41

* هوالبحر الاحمر

2)أحمد بن علي القلقشندى ، صبح الاعشي في صناعة الإنشاء ، ج5 ، ط1 ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، 1978م ، ص274

[3])الاصطخري الشيخ أبي إسحاق الفاسي، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، ليدن ، 1906م، ص40

[4]) القزويني، زكريا محمد محمود، أثار البلاد في أخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، 1969م . ص24

[5])ابن حوقل.أبو القاسم محمد البغدادي، صورة الأرض ، مكتبة دار الحياة ،بيروت ،1979م، ص15

[6]) الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، م1، مكتبة الثقافة الدينية ، بغداد 1994م. ص20

[7]) عبد الرحمن بن خالدون ، العبر وديوان المبتداء والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، ج6 دار الكتاب ، بيروت ، 1961م ، ص234 .

لذا: السودان * لفظة مع توضيح معناها مبهمة المفاد من حيث إطلاقها علي بلاد معلومة أو أمه معينة . وكمصطلح جغرافي فإن حدودها غير متفق عليها ولكن غالباً ما توضح بين البحر الأحمر والمشارف الغربية لهضبة الحبشة حتى المحيط الأطلنطي من الشرق إلي الغرب وبين الصحراء الكبرى وغينيا العليا من الشمال إلي الجنوب ([1]) ومن خلال أقوال المؤرخين العرب عن المنطقة نستطيع أن نصل إلي تحديد قريب من الواقع وهو المنطقة : تشمل المناطق التي تسكنها الشعوب السوداء الممتدة من البحر الأحمر من الشرق إلي المحيط الأطلسي في الغرب ، وتحدها من الشمال الصحراء ألكبري ، ومن الشرق تتاخمها بلاد سودان وادي النيل والغابات الاستوائية(خط الاستواء) من الجنوب ومدار السرطان شمالا ([2])

وتجدر الإشارة إلي أن بعض الكتاب العرب في العصور الوسطي والجغرافيين لم يحرصوا علي تحديد معين لمنطقة بلاد السودان بل كانوا يخلطون بين مصطلحي بلاد السودان الغربي وبلاد تكرور ([3]) وهي المنطقة المرادفة للسودان الغربي ، في حين أن بعضهم الآخر يميز تمييزاً واضحاً بين المصطلحين منهم ابن فضل الله العمري صاحب كتاب (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار) الذي أفاد بأن بلاد التكرور هي أمارة فقط من إمارات بلاد السودان الغربي وذلك بقوله : (وصاحب هذه المملكة* هو المعرف عند أهل مصر بملك التكرور وإذا سمع هذا أنف منه لأن التكرور إنما هي إقليم من أقاليم مملكته والأحب أن يقال له صاحب مالي)([4]).

---

* جاءت كلمة السودان من جذور عربية أطلقها المؤرخون والرحالة العرب الذين كتبوا عن المنطقة وهي تعني داكن البشرة بل كانت تشمل عندهم كل من هم غير بيض من كل ما عرفوه من القارة الأفريقية وما سواها . أنظر : عثمان سيد أحمد البيلي (الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية بغرب أفريقيا) مجلة دراسات أفريقية ، العدد الأول ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 1985م ، ص28–29 . جميلة إمحمد التكتيك ، مملكة سنغاي الإسلامية في عهد الاسكيا محمد الكبير 1493– 1528 ، ط1 ، دار الكتب الوطنية طرابلس ، 1998م ، ص26 . أحمد سمي جدو محمد النور ، تاريخ العلاقات السودانية التشادية 1820م – 1956م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، كلية التربية قسم التاريخ ، جامعة الخرطوم،1997م ، ص3.

[1]) نعمة عبد السلام الحسن ، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي إلي نهاية العصر الفاطمي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب قسم الدراسات العليا ، شعبة التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة امدرمان الإسلامية ، 1999م ، ص7 .

[2]) عثمان عبد الجبار عثمان ، تاريخ الزغاوة في السودان وتشاد ، ط1 المصرية الدولية للدعاية والتوريد ، القاهرة ، 2006م ، ص5. انظر: محمد أنور توفيق أبو عليم ، دولة صنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادى والاجتماعي والحضاري (1493 – 1591م) رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1997م ، ص21

[3]) أحمد بن علي القلقشندى ، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ،ج5 ، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (الطبعة المصورة) القاهرة ، 1963م ، ص282.

* المقصود بصاحب مالي : هو السلطان منسي موسي ، سلطان مملكة مالي .

[4]) مطر سعيد غيث ، المرجع السابق ، ص30 . جميلة التكتيك ، مرجع سابق ، ص28 .

كما أشار محمد بلو بن عثمان فوديو ([1]) التكرور علم علي الإقليم الغربي من الجنوب السوداني علي ما فهمنا من تعبيرهم في التواريخ والنقول .

"مليفل هير سكو فيست" عام 1924م قام بتقسيم السودان إلى السودان الشرقي ، والأوسط كجزء من تقسيماته للقارة الأفريقية إلى عشرة أقاليم دون أن يوضح الحدود الفاصلة بين هذه الثقافات ، باستثناء أنه جعل الحد الفاصل بين هذين السودانيين هو بحيرة تشاد والجانب الشرقي منها ([2]) ثم جاء من بعده في عام 1962م "ترمنجهام" الذي قام بتقسيم بلاد السودان إلى ثلاثة وحدات سياسية وهي السودان الشرقي، والسودان الأوسط، والسودان الغربي، فى كتابه "تاريخ الإسلام في غرب أفريقيا" بحيث أصبح بلاد غرب إفريقيا: السودان الغربي : يشمل السلطنات والممالك الممتدة من غانا ومالي وصنقي ودويلات الهوسا وأدار والمندارا شرقاً إلي باقرمي ودار كوني ودار سلا ودارفور وتقلي وسلطنة الفونج فى الشرق ([3]) ، ويطلق عليه أيضاً على المناطق الواقعة بين حوض نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجري الأعلى لنهر فولتا ([4]).

ويعبّر عن غرب أفريقيا أيضاً باسم نيجرتيا "Nigritia" وقد أطلق القدماء من المؤرخين والجغرافيين والرحالة هذه التسمية علي نهر النيجر وأول من أشار إليها هو المؤرخ الروماني"بليني" ، والنيجر أي نيل الأجناس السود ثم أستعار كتاب العصور الوسطي هذا المصطلح ونسبوا جميع المنطقة المحيطة بهذا النهر إليه فعرّفوا سكانها بالنيجريتين ([5]).

طبيعة أرض أفريقيا الغربية :

طبيعة أرض غرب أفريقيا عبارة عن هضبة قديمة عملت العوامل الطبيعية على تغيير قشرتها الخارجية ففيها الصحاري الواسعة والأودية الخصبة والسهول المنبتة فتتدرج تضاريسها من الشمال إلى الجنوب لتضم المناطق التالية ([6]):

أ/ المنطقة الشمالية : وتمتد من أطراف الصحراء الكبرى شمالاًُ حتى وادي النيجر الأوسط جنوباً وتضمن عدداً من الهضاب مثل التبيستي والإيفوراس والأهير في الوسط وهضاب

---

[1]) "إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور" ، تحقيق بهجة الشاذلي ، معهد الدراسات الأفريقية ، الرباط ، 1996م ، ص47 .

[2]) أحمد سمي جدو ، المرجع سابق ، ص3 – 4 ، مطير سعيد غيث ، مرجع سابق ، ص31 ، جميلة التكتيك ، مرجع سابق ، ص28 .

[3]) trimingham j. s AHs t ory of Islam in west Africa . oxford 1962 B 10

[4]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص217 ، جميلة التكتيك ، مرجع سابق ، ص28 . نعمة عبد السلام الحسن ، مرجع سابق ، ص 8 , سعيد مطير غيث ، مرجع سابق، ص32 .

[5]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، 218 ، أحمد سمي جدو ، مرجع سابق ، ص5 .

[6]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص219 – 220 . أ د عبد القادر مصطفي المحيشي وآخرون ، جغرافية أفريقيا وجزرها ، ط1 الدار الجماهيرية للتوزيع والإعلان ، ص 159 – 160 . نعمة عبد السلام الحسن ، مرجع سابق ، ص9 . محمد فاضل على باري ، وسعيد إبراهيم كردية ، المسلمون في غرب أفريقيا تاريخ وحضارة ، دار الرّشاد الإسلامية للنشر ، بيروت ، 2006م ، ص21 .

موريتانيا في الغرب وهذه المنطقة صحراوية في أغلب مساحاتها وتتخللها بعض الأودية والواحات والعيون .

ب/ المنطقة الوسطي : وتمتد من بحيرة تشاد شرقاً حتى تلال الفوتاتور في السنغال غرباً تتخللها هضاب النيجر في الوسط وهذه المنطقة عبارة عن سهول واسعة ذات مراعٍ خصبة وأرض صالحة للزراعة .

ج/ المنطقة الجنوبية : وهي المطَلة على خليج غينيا وتكثر فيها الهضاب الجبلية كالفوتاجالون والهضاب الليبيرية وجبال التوكو وهضاب نيجيريا وسلسلة الأدماوا في الكاميرون وتغطي الغابات الكثيفة معظم أرض هذه المنطقة بسبب كثرة الأمطار وشدّة الرطوبة .

المُنـاخ :

نجد أن غرب أفريقيا تقع بين خط الاستواء جنوباً ومدار السرطان شمالاً ونسبة لهبوب مختلف أنواع الرياح على عروضها كالرياح التجارية في عرض المحيط والرياح الموسمية والرياح الصحراوية نسبةً لذلك تسودها مناخات مختلفة وهي ([1]):

أ) المناخ الصحراوي : الذي يسود في المناطق الشمالية للصحراء ويمتد من النيجر ومالي وصحراء قولي بالسنغال ويتميّز هذا الإقليم بشدّة الحرارة وقلة الأمطار .

ب) مناخ السافنا : ويتميّز بفصلين. جاف ممطر وهو قليل الأمطار بمنطقة تشاد ، وماطر في سواحل موريتانيا والسنغال نسبةً لتأثره بمياه المحيط .

ج) مناخ شبه استوائي : ويمتد من غينيا إلى نيجيريا ويتميّز بفصلين للأمطار بينهما فصل جاف ولذا فهو غزير الأمطار .

ومن هذا يتضح لنا أن الأمطار غزيرة في غرب أفريقيا غير أنها تقل كلما اتجهنا شمالاً إلى داخل القارة ، كما نجد مرتفعات الفوتاجالون بمثابة خزان ضخم للمياه تغذي أراضي غرب أفريقيا حيث تنبع منها معظم الأنهار مثل نهر النيجر ونهر السنغال وبعض الأنهار الأخرى مثل نهر قامبيا والكازامانس .

السكّان :

[1]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص220 ، فتحي أبوعيانة ، مرجع سابق ، ص 109 – 110 ، 122 – 124 . عبد القادر مصطفي المحيشي ، مرجع سابق ، ص160 .

معظم أولئك الذين نسميهم بالزنوج يسكنون أفريقيا ولكن إلي جانبهم مجموعات أخري وهم بذلك أكبر مجموعة سلالية أفريقية نجدهم يسكنون مناطق كبيرة من أفريقيا تمتد من الغابات الاستوائية إلى نطاقات السافنا الأفريقية كلها ، وفى هذه المنطقة الكبيرة نجد تغيرات عديدة مما أدي إلى نشوء مجموعات سلالية أفريقية مختلطة أما الوطن الأصلي للزنوج فأمر غير معروف على وجه الدقّة والتحديد وربما ارتبط الوطن الزنجي الأصلي بالوطن الأصلي للسلالات الإنسانية جميعاً وفى ذلك قيل أن الوطن الأول كان في غرب آسيا أو جنوبها الغربي لكن الكشوف العلمية الحديثة في شرق أفريقيا وجنوبها جعلت بعض العلماء يؤكدون إن الإنسان قد نشأ في هذه المناطق في أفريقيا وما زال الأمر مفتوحاً لآراء جديدة كلما عثر على كشف حفريات جديدة ([1]).

وكانت تلك المساحة الشاسعة التي تمتد من الهامش الجنوبي للصحراء إلى حدود الغابات الاستوائية صالحة لقيام حضارة إنسانية راقية ولقد وجب على السكان في هذه المنطقة أن يجتمعوا حسب أمزجتهم وتشابه نظم معيشتهم أن يستقروا في أفضل المناطق وهى المنطقة الوسطي التي ازدهرت فيها الزراعة السودانية فكانت مهداً للحضارات والدول ([2]).

وهذه المنطقة من الأماكن الأكثر كثافة سكانية والتي تقع على امتداد الساحل الغربي ما بين نهر السنغال والكاميرون ودلتا نهر النيجر وشمال نيجيريا ... وهي موطن الجماعات الزنجية الحقيقية وقد ذكر الجغرافيون والمؤرخون العرب أمماً من السودان أمكن التعرّف على بعضها مثل الزغاوة والبقارة والأفنو والكانم ([3]) ، وهم بصفة عامة من الزنوج سواء من يعيشون في منطقة الغابات أو في الأراضي الزراعية التي تقع بين الصحراء ونهر السنغال والنيجر، أما الأقوام الذين يعيشون في منطقة الغابات فهم أكثر زنوجه من ناحية الدم وأكثر سواد بشرة من أخوانهم في الشمال([4]) ، وهذا يرجع إلي أن تضاريس غرب أفريقيا لم تستطع من صد قدوم المهاجرين أو الفاتحين لها ، فشعوب المنطقة هم مزيج من الجماعات والقبائل التي أتت من الخارج وامتزجت مع السكان القاطنين ([5]).

---

[1]) محمد رياض وكوثر عبد الرسول ، أفريقيا دراسة لمقومات القارة ، ط2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1973م ، ص215 .

[2]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص212 .

[3]) ابن خلدون ج6، مرجع سابق، ص196. انظر: ديرك لأنجي، ممالك تشاد وشعوبها ،تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع،اليونسكو، م عارية بيروت،1988م، ص247-247.

[4]) عصمت هاشم عبد اللطيف دندش ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا مع نشر وتحقيق رحلة أبي بكر المعفاري (1038 – 1311م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1975م ، ص19 .

[5]) محمد فاضل على باري وسعيد كردية ، مرجع سابق، ص23 . نعمة محمد الحسن ، مرجع سابق ، ص11 .

فيمكن القول:. إن سكان أفريقيا الغربية في هجرة دائمة منذ القدم فقد كان سكان الصحراء يهجرون بلادهم الجافة باتجاه الجنوب ويختلطون بسكانه ويجبرونهم أحياناً للنزوح ([1])، ولذلك لم يجتمع العلماء على نظرية واحدة تشير إلي أصول سكان أفريقيا الغربية ، وقد وجدت فرضيات حول الموطن الأول لسكان غرب أفريقيا مفادها إن إفريقيا الشرقية ووادي النيل كانتا في عهود بعيدة المنطلق الأول لهجرات متتابعة إلى غرب القارة عن طريق تشاد والصحراء الكبرى وأستنتج بعض العلماء من التقارب في الأصول اللغوية والكلمات المشتركة بين بعض اللغات كأدلة على وحدة أصل الشعوب في أفريقيا الغربية حتى إنهم ذهبوا في القول أن اللغات الأفريقية هي تطور للغات مصر القديمة([2]) ، لكن عبد الباقي أحمد كبير يقول ([3]) : (لا يمكن الأخذ بهذه النظرية التي أطلقها "دولافوس" وبعض تلاميذه دون غيرها لأنها تعوزها الأدلة الواضحة الكافية) .

عموماً قد توصل العلماء إلى أن هذا المزيج من السكان قد اختلطت دماؤهم خلال أدوار التاريخ المختلفة وتكونت منه العناصر التي تشكل سكان أفريقيا الغربية وهى :

أ) الزنوج الأقزام : وهؤلاء لا ينحصرون في مناطق الغابات وهم أقدم سكان القارة الأفريقية عامة وبالتالي أقدم من سكن أفريقيا الغربية ويتميزون ببشرة فاتحة اللون يغطيها شعر كثيف وهم قصار القامة يعيشون على الصيد وثمار الأشجار ([4]).

ب) الزنوج : هم أساس السكان الحاليين ويتميزون ببشرة سوداء وشعر مفلفل وأنف عريض وشفاه غليظة وجماجم مستطيلة ([5]). ويدخل ضمن نطاق هؤلاء زنوج (بيفيمي) الذين يتواجدون في الغابون والكاميرون ([6]). وينتشر الزنوج في مالي ، فولتا العليا غامبيا غينيا بيساو ، سيراليون ، ليبيريا ، ساحل العاج ، غانا ، توجو ، داهومي و نيجيريا ([7]). ولذلك فالراجح أن زنوج السودان هم في الحقيقة الزنوج الخلّص لكنهم ليس الآن سلالة نقية لأن

---

[1]) عبد الباقي محمد أحمد كبير، مرجع سابق ، ص212

[2]) محمد فاضل على باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص23-24 .

[3]) "المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب أفريقيا" ، المرجع السابق ، ص211 .

[4]) فتحي مُحَمَّد أبو عيانة ، مرجع سابق ، ص129 – 130 . عبد الباقي مُحَمَّد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص221. جودة حسنين جودة ، جغرافية أفريقيا الإقليمية ، ط9 ، منشأة المعارف ، الإسكندرية ، 1996م ، ص108 . أنور عبد الغني العقاد ، الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، دار المريخ للنشر،1982م. ، ص81 .

[5]) عبد الباقي كبير ، مرجع سابق ، ص221 . جودة حسنين جودة ، مرجع سابق ، ص109 – 110.

[6]) محمد فاضل باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص24 .

[7]) فتحي محمد أبوعيانة ، مرجع سابق ،ص 132 – 133 .

موقع أوطانهم قد جعلهم عرضة للهجرات القوقازية الكثيرة التي ساعدت على إحداث تفريعات عديدة في هذه السلالة ([1]).

ج) الحاميون : هم مجموعة الشعوب التي تنتمي للعرق الأبيض القوقازي وتعود أصولها الى آسيا ومن الأرجح إلى جنوب الجزيرة العربية واستقروا في القرن الأفريقي وغرب وشمال أفريقيا ... ويهمنا هنا البربر ، وأهم فروع البربر في غرب أفريقيا هم الطوارق الموجودون في مالي والنيجر ويعرفون بالملثمين ([2]). ويمتازون بطول القامة وببشرة سمراء نحاسية وشعر أجعد ووجه بيضاوي وأنف دقيق وقد أستقرّ قسم منهم والقسم الآخر رحل ، وقد أختلط الحاميون والزنوج منذ القدم بشعوب البربر والتوبو والعرب فكان من نتيجة ذلك الاختلاط ظهرت شعوب جديدة كالـ "بوهل" ([3]). وقد انتشرت هذه العناصر في مختلف جهات غرب أفريقيا مكوّنة قبائل عديدة ونكتفي هنا بذكر القبائل والشعوب التي سجّل لها تاريخ في هذه المنطقة .

ففي شمال أفريقيا الغربية نجد بلاد شنقيط وسكانها خليط ([4]) من العرب والبربر وهنالك عناصر من البربر هي الآن تعرف بالطوارق تسكن شرق نهر النيجر وهؤلاء كانوا يلعبون دور الوسيط بين سكان شمال أفريقيا وجنوبها فكان لهم الفضل في نقل الحضارة الإسلامية إلى ربوع أفريقيا الغربية ([5]).

فإذا تقدمنا إلي الجنوب الغربي وإلي امتداد نهر السنغال نجد المجموعة السنغالية وهي تضم عدداً من القبائل كانت تعيش حول هذا النهر مثل التكرور ([6]) والسيرر([7]) والولف

---

[1]) محمد رياض وكوثر عبد الرسول ، مرجع سابق ، ص224-225 .

[2]) محمد فاضل باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص24 . فتحي محمد عيانة ، مرجع سابق ، ص138 – 139 .

[3]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص222 .

[4]) وهذا الخليط هي قبائل المور يوجدون بشكل أساسي في موريتانيا وبنسبة أقل في كل من السنغال وغامبيا ومالي ويتكلمون اللغة العربية باللهجة الحسانية . أنظر محمد فاضل باري وسعيد كردية مرجع سابق ، ص25 .

[5]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص222 .

[6]) التكرور : شعب من الزنوج يسكن الجزء الأكبر من نهر الفوتا السنغالية على جانبي نهر السنغال ويدخل فيها من الغرب إلى الشرق، والتكلور تحريف بسيط لأسم هذا الشعب . كما تقطن به قبائل ولوف التي تقطن المجري الأدنى لنهر الكنغو . تقول العرب تكرور وبالنسب إليه تكروري ، والجمع تكارير ، وهذا الشعب اختلط بقبائل البربر بسبب الفتوحات العربية في الشمال الأفريقي وقد تزاوج هؤلاء البربر مع التكرور . أنظر عبد الباقي محمد أحمد كبير ،مرجع سابق ، ص222 . مهدي ساتي صالح ، الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال ، دار جامعة أفريقيا للطباعة والنشر الخرطوم ، 2006م ، ص 10 – 13 . عصمت هاشم عبد اللطيف دندش ، مرجع سابق ، ص 20 .

[7]) السيرر: يحتل الشريط الذي يمتد بين نهري غامبيا والساقوم الواقعين جنوبي الرأس الأخضر وفى الماضي كان شعب السيرر هذا يحتل الى جانب ذلك المناطق الشرقية والجنوبية الواقعة جوار موطنه الحالي وكون بذلك مع قبائل الولوف قسماً من إمبراطورية التكرور وبالمثل إختلط السيرر مع الماندنجو التى ينتمي إليها معظم أسر السيرر الحاكمة . أنظر أحمد نجم الدين فليجة ،افريقيا دراسة عامة وإقليمية ، مؤسسة شباب الجامعة ، (بدون تاريخ) ، ص195 . فيدج.ج.جي . دي ، تاريخ غرب أفريقيا ، ترجمة السيد يوسف نصر ، مراجعة بهجة رياض صليب مطابع سجل العرب ، مصر ، 1983م ، ص81 الحاشية .

([1]) ، و بين منطقة السنغال الأعلى في الغرب و بحيرة النيجر في الشرق والغابات في الجنوب نجد الماندنجو والتي سوف نفرد لها مساحة للحديث عنها لاحقاً .

وإلي الشرق من هذا الشعب أي الماندنجو نجد شعب الهوسا ([2]) في شمال نيجيريا ، وينتشر هذا الشعب بين الصحراء الكبرى شمالاً ونهر بنوى جنوباً وإلي الشرق من بلاد الهوسا نجد قبائل البرنو والكانوري في برنو وشعب الباقرمي في حوض نهر شاري في بلاد السودان الأوسط .

أما الأيبو في شرق نيجيريا مزارعين ذات ثقافة عالية وصفاتهم زنجية ([3]) واليوربا يتواجدون في غرب نيجيريا وقد أثّر الإسلام في الأقوام الشمالية منهم ، أما الأقوام الجنوبية لا يزالون يعبدون عبادة الأسلاف ، يعملون بالزراعة والتجارة ، صفاتهم زنجية ، أسسوا المدن الكبرى مثل أبادان ولاجوس([4]) ، وكذلك يوجد في المنطقة أهمّ القبائل وهم الفولاني ([5]) والديولا ([6]) وإذا انتقلنا إلى الجنوب نجد شعب ألموسي أو الموشي ([7]) الذين ينتشرون في مناطق حوض الفولتا ، وكان هذا الشعب يمثل ذروة التكتل الوثني، فلم ينفذ إليه الإسلام إلا في العصر الحديث وعند ثنية نهر النيجر للجنوب من تمبكتو نجد قبائل الصنقامي ([8]).

أشهر اللغات في غرب إفريقيا :

([1]) الولوف : أو الجلوف ، قبائل يمثلون مع قبائل سيرر معظم الأراضي التي تشغل الشقة فيما بين نهري السنغال وجامبيا ، وتحتل قبائل الولوف الشقة الساحلية فيما بين سانت لويس والرأس الأخضر بما فيه داكار والشقة الجنوبية لنهر السنغال وغالبيتهم يدينون بالإسلام . أنظر عبد الباقي أحمد كبير ، المرجع السابق ، ص223 . عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدولة الإسلامية بغرب أفريقيا ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر ، القاهرة 1961 ، ص93

([2]) الهوسا : ينتمي هذا الشعب أصلاً إلى الأصل الزنجي رغم أنهم يتكلمون اللغة الحامية ورغم أنهم يشكلون خليطاً من شعوب ينتمي الى أصول مختلفة ، ويقصد بكلمة هوسا "لغة الهوسا " ، ويقطن شعب الهوسا الأقاليم الإسلامية التي تشتمل على ، سكتو ، كاتسينا ، كانو ، زاريا ، . وتسود أنظمتهم الاجتماعية والاقتصادية كل نيجيريا وهم زراع مهرة وتجار مغامرون وأهل فن حاذقون ومحاربون أشداء يدينون بالإسلام ويتولي سلطان سكتو الزعامة الروحية بينهم . أنظر عبد الباقي أحمد كبير ، المرجع السابق ، ص223 – 224 الحاشية ، فيدج ج . جي دي ، مرجع سابق ص31 الحاشية . أحمد نجم الدين فليجة ، مرجع سابق ، ص 196 .

([3]) أحمد نجم الدين فليجة ، مرجع سابق ، ص96 .

([4]) المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

([5]) الفولاني : هنالك اختلاف في أصولهم خاصة الذين استقرّوا في غرب أفريقيا. منهم من يقول أنهم من الفرس نزحوا من آسيا ، وبعضهم يقول من اليهود ، وآخرين يقولون من العرب الأمويين أو اليونان أو الإيطاليين أو من أصول أثيوبية ، وهنالك نظريات أخري تقول إن الفولانيين هم نتيجة احتكاك الزنوج والحاميين بشعوب بيضاء من زمن طويل وهذه الشعوب هي العرب والبربر والطوارق . ويري الباحث أن الرأي الأخير هو الأرجح . أنظر محمد فاضل على باري وسعيد كردية ، المرجع السابق ، ص25 . مهدي ساتي صالح ، مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال ، المركز الإسلامي الأفريقي ، شعبة البحوث والنشر ، إصدارة (12) الخرطوم 1991م ، ص10-12 .

([6]) الديولا : هم المجموعة العرقية الرئيسية فى أسفل منخفضات منطقة كزامانس وتنتسب بصفة مباشرة إلى قبائل الماندنجو وبصورة غير مباشرة لقبائل الولوف ، بدايتهم كانوا كاثوليك بصورة شكلية مع احتفاظهم بمعتقداتهم الوثنية القديمة ، ثم أصبح معظمهم مسلم على أيدي التجار الماندنجو ، متمسكون بالطريقة القادرية مع احتفاظهم أيضاً بعاداتهم وتقاليدهم الاجتماعية . أنظر مهدي ساتي صالح ، مع الإسلام والثقافة العربية فى السنغال ، مرجع سابق ، ص15-16 .

([7]) الموشي : كانت قبائل الموشي الوثنية تعيش منذ القرن الحادي عشر الميلادي جنوبي نهر النيجر فى مناطق فولتا ووادي نهر باني أحد روافد نهر النيجر ، وقد لعبت دوراً كبيراً بتكتلها الوثني في الوقوف أمام تقدم الإسلام جنوباً نحو الساحل الغيني وكانوا يشنون حملات عنيفة ضد المسلمين في مالي وصنقي حتي إستطاع آسكيا محمد الكبير سلطان صنقي أن يهزمهم ويستولي على بلادهم فوجد الإسلام منفذاً إليهم منذ ذاك التاريخ . أنظر عبد الباقي محمد أحمد كبير، مرجع سابق ، ص224 الحاشية ..

([8]) الصنقامي:صفاتهم الجنسية متأثرة بصفات الحاميين الوافدين من الشمال ويظهر هذا فى لون البشرة البني النحاسي والأنف الدقيق نسبياً والقامة الطويلة لكن بقي شعرهم مفلفلاً وهو من الصفات الزنجية الأصلية وقد إعتنق أكثرهم الإسلام . أنظر : أحمد نجم الدين فليجة ، مرجع سابق ، ص195 .

يتحدث معظم سكان غرب أفريقيا لغات تنتمي إلى عائلة النيجر كنغولية التي تسمي بالنجيرتية بجانب لغة الهوسا واللغات التشادية وهي لغات قبائل البوهل ، والولوف والسيرر والتكرور والمالنكة والديالونكة والسوسو والصنقامي والهوسا والكانوري ثم المجموعة الليبيرية الداهومية أشهرها لغة الأشانتي في غانا واليوربا في نيجيريا ([1]).أما اللغة العربية هي من أهم اللغات في غرب إفريقيا ولها حضور قوي وتأثير فعال علي النواحي الدينية والاجتماعية وحتى علي اللغات المحلية نفسها سوف يتناول الباحث هذا الأمر في الفصل الثالث المبحث الثالث من البحث.

هذه الشعوب تعيش حياة سياسية واجتماعية تسودها القبيلة وكل شعب يخضع لمملكة معينة ويعمل هؤلاء بالزراعة وتجارة الذهب.

[1]) نعمة عبد السلام الحسن ، مرجع سابق ، ص12 . عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص224 .

المبحث الثاني : الأحوال العامة في المنطقة :

بعد البحث والتنقيب في المصادر والمراجع القليلة التي وقعت في يد الباحث والتي تتحدث عن غرب أفريقيا في الفترة التي أؤرخ لها هي فقيرة من حيث المصادر فلم يهتم بها الرحالة العرب إلا لماماً وهذا ما عناه المؤرخ فيج بقوله "وكانت تقارير العلماء العرب في القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديين أقل وضوحاً وتفصيلاً عن السودان الأوسط والغربي"([1]) وذلك عند استعراض كتاباتهم حول المنطقة وربما هذا يتعلق بعدم معرفة القبائل للكتابة وإخفاء الملوك لتاريخهم كما سبق القول .

ولولا كتاب البكري(المسالك والممالك) لما عرفنا عن هذه الفترة شيئاً . لكنه والذين من قبله انصب اهتمامهم حول إمبراطورية غانا ، أما بقية الممالك التي كانت تملأ غرب أفريقيا لم يتحدثوا عن حياتها بشيء يشفي الغليل رغم إنهم ذكروا أسماء بعضها مثل مملكة تكرور وصنقي وسيلا وغيرها ، وقد أرجع فيدج سبب إعراض الرحالة عن تفاصيل تلك الممالك إلى أنها كانت فقيرة لا تملك الذهب وأن عدداً قليلاً من تجار الشمال الأفريقي قد قاموا بزيارتها وقد يكون هذا التعليل صحيحاً لأن الرحالة إنما يزورون المناطق التي كان التجار يترددون إليها وبالتالي أهملها الرحالة والمؤرخون الأوائل ، ومن هنا تبدأ المعاناة في كشف الغموض وارتياد ذلك المجهول ([2]).

منطقة غرب إفريقيا كانت بها الكثير من الممالك التي سبقت مملكة مالي والمعاصرة لها واهم ما يميز هذه الممالك إن لكل جماعة كينونتها الخاصة ، وكانت قراهم تنتشر حول القرية الكبيرة التي ينزل فيها الزعيم الأكبر ، وكان قد وصلهم بصيص من الحضارة عبر الصحراء فعرفوا صناعة الذهب والحديد وبناء الزوارق وقطعوا مساحات واسعة من الغابات وهيئوها للزراعة في وسائلها البدائية ([3]).

وهي عبارة عن مجموعات متناثرة من القبائل المتجانسة في العادات والتقاليد والمنتمية إلى أصل واحد لكل مجموعة لها مملكة تسمي باسم زعيمها أو باسم المنطقة التي كانت تشغلها وكانت هذه الممالك كثيرة بكثرة تلك القبائل التي تسكن المنطقة فقد كان العداء مستحكماً

---

[1]) فيج ج جي دي ، تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة السيد يوسف نصر ، مراجعة بهجت رياض صليب ، مطابع سجل العرب ، مصر ، 1983م ،ص25 .

[2]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص225-226 .

[3]) حسن أحمد محمود ، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ، ج1 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1963م ، ص203 . أنظر : نعمة عبد السلام الحسن ، المرجع السابق ، ص 13 .

بينهما ولهذا لم تنعم بالهدوء والاستقرار بسبب تلك المنازعات الداخلية التي كانت من أهم أسباب ضعفها وخضوع بعضها للممالك الكبرى ذات القوة والنظام ومن أهم هذه الممالك **مملكة غانا :** وهي ليست غانا الحالية التي كان أسمها ساحل الذهب والتي حصلت علي استقلالها من الاستعمار البريطاني عام 1957م[1] وهي ليست التي تقع في أقصى الجنوب من غرب أفريقيا وعاصمتها أكرا[2] والتي اتخذت غانا تيمناً باسم أول إمبراطورية قامت في غرب إفريقيا وذلك علي اعتبار أن غانا الحديثة هي أول دولة في غرب إفريقيا تحصل علي استقلالها منذ العام 1958م[3] .

وتعد غانا من أقدم الإمبراطوريات في السودان الغربي التي تسربت إليها العروبة والإسلام وهي التي نهضت بالسودان الغربي وبلغت به عهداً ذهبياً بين القرنين التاسع والحادي عشر الميلادي[4] .

تقع غانا بين منحنى النيجير ونهر السنغال غرب مالي وشرق غينيا كوناكري وجنوب شرق موريتانيا الحالية[5] وكانت تسمى عاصمتها كومبي صالح[6] عثر الفرنسيون علي اطلال هذه المدينة وهي تقع حوالي مائتي ميل شمال باماكو وكان فيها فن معماري متقن جداً[7] .

ومعنى كلمة غانا كما ذكر المؤرخ الغيني جبريل نيان في كتابه عن غانا بلغة السونك (القيادة العسكرية) ثم صارت تعني العاصمة ، مركز القيادة ثم أتسع المدلول ليطلق علي الإمبراطورية[8] .

وكانت العاصمة تنقسم الي أثنين يبعدان عن بعضهما قرابة ستة أميال وكانت أحدى المدينتين مخصصة للسكان المسلمين بها أحدى عشر مسجداً يتجمع فيها الفقهاء البارزون بينما الأخرى قد أطلق عليها اسم الغابة وبها بلاط الملك[9] .

---

[1] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا ، مكتبة نهضة الشرق جامعة القاهرة ، القاهرة ، 1985م ، ص 81 .

[2] شوقي الجمل وآخرون ، الموسوعة الإفريقية لمحات في تاريخ القارة الإفريقية ، تقديم أ.د. رجب محمد عبد الحليم ، المجلد الثاني ، جامعة القاهرة ، 1997م ، ص 167 .

[3] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، مرجع سابق ، ص 81 – 82 .

[4] الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية بغرب إفريقيا ، ط1 ، دار حنين للطباعة والنشر ، بيروت 1996م ، ص 23 .

[5] محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية ، مرجع سابق ، ص 60 .

[6] د. عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر ، القاهرة ، 1961م ، ص 77 .

[7] د. شلبي، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج6 ، دار النهضة المصرية ، الظاهرة (تاريخ بدون) ، ص 102 – 103 .

[8] د. إبراهيم طرخان، أمبراطورية غانا الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1970م ، ص 17 .

[9] زاهر رياض ، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو مصرية ، االقاهرة 1968م ، ص 17 .

والاراء حول أهل ومؤسسي غانا القدماء كثيرة فهم يسمون أنفسهم بالتورود أو الثورات Taurud@ Thowrat وأنهم جاءوا أصلاً من وادي دجلة والفرات أي أن أصولهم أشورية قديمة وهذا العنصر يرجع موطنه الي جبال منطقة اروس ووصل ذورة مجده في التاريخ في وادي دجلة والفرات[1] .

بعضم يقول انهم جماعة من البيض وفدوا من الشمال وكانوا أكثر ثقافة من السكان المحلين المنتمين الي قبائل السوننك يقال أنهم من صنهاجة كما يقول القاضي والمؤرخ كعت، أما المؤرخ السعدي يرى أنهم من البيضان ولم يحددهم. أما المؤرخ Winfeld يرى أصولهم من فارس[2] . وقد اختلط البيض بدماء السوننك عن طريق الزواج وهاجر هؤلاء البيض بعد سقوط دولتهم الي بلاد التكرور وقد أظهر هؤلاء البيض طبقة الثوكورلور[3] فقد أتضح من الأدلة الأثرية أن تجمعات السوننك قد شهدت وصول بعض القبائل البربرية من الشمال الإفريقي في نهاية القرن الأول قبل الميلاد ، لكنها زادت بصورة واضحة في القرون الأولى من الميلاد وذلك للأوضاع السياسية في شمال إفريقيا وعند النظر الي السوننك أنفسهم لا توجد معلومات عن بداية التنظيمات السياسية لديهم قبل قيام مملكة غانا لكن يبدو أن تجمعاتهم تطورت الي قرى قليلة العدد ربطت بينها صلة القرابة وكان الرئيس في هذه المرحلة أكبر الذكور سناً[4] .

يرى بعضهم أنهم من اليهود الذين جاءوا الي إفريقيا عندما دمرت معابدهم وطردهم من فلسطين سنة 70م لكن أحمد شلبي يقول أن هذا الرأي مردود وغير صحيح لعدم وجود أثار لليهود هناك[5] لكن أحمد الياس يؤكد علي إن الحدود الجنوبية لمملكة غانا في مدينة لامي فيقول (أهلها يهود يعرف جنسهم في الرقيق ببلاد المغرب وأهل منطقة الملك فيما يذكره أهل تلك الناحية يهود)[6] .

عموماً يميل بعضهم الي رأي Fage أن الدولة قامت أمتداداً لقوي مجاورة والذين وفدوا إليها وعانوا علي قيامها أمتزجوا مع السكان المحليين مما ادي لظهور الدولة للتاريخ في القرن الثالث الميلادي .

---

[1] إبراهيم طرخان ، إمبراطورية غانا الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 18 .

[2] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 103 – 104 .

[3] حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ، ط3 ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1984م ، ص 97 .

[4] أحمد الباس حسين ، العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي بين القرنين الثاني والخامس الهجريين ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية – قسم التاريخ جامعة القاهرة (1982م) ص 5-6 .

[5] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 5-6 .

[6] أحمد الياس حسين ، العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي في القرنين الثاني والخامس الهجريين ، مرجع سابق ، ص 8 .

اتسعت غانا في عهد السوننك فشملت البلاد الواقعة الي الشمال من نهر السنغال ونهر النيجير وأمتداد نفودها الي اودغشت (الآن نجد أودغشت في مورتنايا) فأستفاد ملوك مملكة غانا من الضعف الذي أصابها عقب وفاة ملكها(أتيتورثان) فمدت نفوذها إليها[1].

وفي نهاية القرن التاسع الميلادي قامت قبائل السوننك وقضت علي ملك الكيمغ وحلت محلها وكان الصوصو قد أختلطوا بأهل البلاد لذا بسطوا سلطانهم بكل يسر علي ما كان يملكه أسلافهم أما بقايا السوننك من البربر قد هربوا الي اقليم التكرور عن مجرى الغامبيا وتغلبوا علي التكرور الذين يعرفون في المصادر الأوربية باسم التكلور فتفرقوا في البلاد وأقام البعض الأخر في الصحراء واختلطوا بالطوارق ومنهم ذهب الي بلاد غانا[2] .

أما مملكة مالي فيأتي الحديث عنها مفصلاً

مملكة صنقي :

قامت مملكة صنقي في منطقة وسط نهر النيجر بغرب إفريقيا في القرن السابع الميلادي كانت قوية اقتصاديا واعتمدت علي الزراعة وصيد الأسماك لذا ارتبطت مجتمعاتها في بادي الأمر بتقديس الأنهار[3] .

مملكة الصنقي كانت تعيش علي شاطئ النيجر في الجزء الممتد من الانحناء الي قرب المصب تقريبا وفي أرض الدندي شمال غرب نيجيريا الحالية وشمالي داهومي وقد انقسمت هذه القبائل الي قسمين قسم أشتغل بالزراعة مستقر وقسم بالصيد غير مستقر متنقل من مكان لأخر علي طول منحنى النهر وكان هؤلاء يسمون (سركو) Sorko وكان الصيادون في عدوان دائم من الفلاحين لأن الفلاحة عندهم عملاً فيه الاستسلام وذلة لا تليق بالمغامرة وكانوا يهاجمون الفلاحين من حين لآخر ويخطفوا متاعهم ويقتلون من يعترضهم و في سنة 300 تجمعت قرى الفلاحين واتخذوا لهم ملكاً لعلهم يستطيعون التغلب علي الصيادين لكن الملوك لم يستطيعوا أن يضمنوا لرعاياهم كل الحماية رغم الانتصار البسيط الذي أحرزوه، وفي هذا العهد أخذت مملكة صنقي تدفع بحدودها لتضم بعض المناطق الزنجية المجاورة[4] .

---

[1] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 105 .

[2] د. حسن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، ط1 ، الزهراء ، للإعلان والنشر ، القاهرة ، 1987م ، ص 387 .

[3] عثمان برايماباري ، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، ط1 ، دار الأمين للطابعة والنشر والتوزيع ،2000م ، ص 44 .

[4] زاهر رياض ، مرجع سابق ، ص 131 – 132 ، محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية ، مرجع سابق ، ص 123- 124

وفي حوالي 700م هاجرت قبائل لمطة من البربر الي مناطق الفلاحين من قبائل صنقي وكان قائد المهاجرين أسمه ذا اليمن وقد أستطاع أن يهاجم الصيادين ويطردهم بعيداً الي الشمال فرح صيادو صنقي بهذا البطل الذي أنقذهم وجعلوه قائداً عليهم وأصبح الرجل أول ملك من أسرة كثر ملوكها وهكذا أصبح ملك صنقي من البربر (البيض) ظلوا فترة طويلة حتى أنتقل الملك الي السود[1] .

ويؤكد السعدي أن النظام بدأء في صنقي إبتداءاً من ذا اليمن وأن الحكومات السابقة هي حكومات قبائل وليس نظاماً ملكياً وأول من تملك فيها ذا اليمن ثم ذا ذكي .. الخ وكان عددهم أربعة عشر ملكاً ماتوا جميعاً في جاهلية وما أمن منهم بالله إلا الملك الخامس عشر وأسمه ذا كوسي ويقال في لغتهم (مسلم دم) ومعناه أسلم طوعاً بلا أكراه وكان ذلك سنة أربعمائة من هجرة النبي (صلي الله عليه وسلم) ونقل عاصمته من (كويا) الي (جاوا)[2] .

وكان الملوك المسلمون يلقبون بلقب (ذا) فغير اللقب (علي كلن) الي(سني) في القرن 15 ويذكر أن الملك الأول الذي أعتنق الإسلام هو ضياء كوسي 1009م وكان ذلك قبل غزوات المرابطين وهذا يشير الي أن المرابطين كان لهم دوراً كبيراً في نشر الإسلام في صنقي سواء كانوا دعاة أو تجار ومع أن ملوك صنقي دخلوا الإسلام في القرن الحادي عشر فإن شعب صنقي لم ينشر الإسلام فيه إلا أبان حركة المرابطين[3] .

يذكر أنه قد تم العثور في بلدة (ساني) علي بعد أربعة أميال من مدينة جاوا الحالية علي شواهد قبور ملكية يعود تاريخها الي نهاية القرن الحادي عشر مكتوب عليها أي في شواهدها هنا جثمان الملك الذي دافع عن دين الله ، ويرقد الآن في رعايته أبو عبد الله محمد سنة (494هـ – 1100م) [4] .

عندما سقطت غانا وقامت علي أنقاضها مالي الإسلامية بدأت حروب بين مالي وصنقي لعدة أسباب كان منها محاولة تكوين وحدة إسلامية وهذا يفسر لنا سبب شدة الصراع بين الدول الإسلامية أكثر مما كان بين دولة إسلامية و دولة وثنية[5].

---

[1] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 122 .

[2] إسماعيل محمد إسماعيل ، أثر الإسلام وثقافته في غرب أفريقيا (غانا – مالي – صنقي) من القرن الخامس عشر إلي التاسع عشر ، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس ، كلية التربية ، قسم التاريخ ، جامعة الفاشر ، 2005م ، ص 7 .

[3] د.(حسن الصادقي ،(أضواء علي ممالك غرب أفريقيا وعلاقتها ببلاد المغرب)،مجلدات الإسلام في أفريقيا ،الكتاب 14دارجامعة إفريقيا للطباعة، الخرطوم،2006، ، إسماعيل محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 7 .

[4] إسماعيل محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 7 .

[5] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 125 ,

مملكة التكرور :

سبق الحديث عن شعبها وعنها ، فهذه المملكة التي اشتهرت فيما بعد . تقع غربي غانا وكانت مستقلة عنها وكان أهلها وثنيون على حد قول البكري حيث يقول "ويلي مدينة صنغانة ما بين الغرب والقبلة مدينة تكرور وأهلها سودان وكانوا على ما ساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير *"([1]) .

ومن هذا الوصف نجد أهل تكرور وثنيين مثل غيرهم من أهل أفريقيا . وقد اتسعت هذه المملكة وشملت جملة هامة من مدينة سلي وهي مدينة كبيرة يقول عنها الإدريسي "ومدينة سلي على ضفة النيل* وشماله وهي مدينة حاضرة وبها مجتمع السودان ومتاجر صالحة وأهلها أهل نجدة وهي من عمالة التكروري"([2]).

وكان سلطان تكرور كما وصفه الإدريسي بأن له عبيداً وأجناداً وله حزم وجلادة وعدل مشهور وبلاده آمنة وادعة وموضع مستقر ولها تجارة على قدر حالها فكان يسافر إليها بعض تجار المغرب الأقصى حاملين معهم البضائع كالصوف والنحاس والخرز ويخرجون منها بالتبر* والخدم ، ويعتمد أهل تكرور علي الذرة والسمك والألبان وأكثر مواشيهم الجمال والماعز وأهلها يلبسون قداوير الصوف وعلي رؤوسهم الكر زاي ولباس الخاصة القطن والمآزر([3]) ويتسلحون بالقسي* والنشابات والدبابيس ويتخذونها من شجر الأبنوس بصناعة متقنة ويصنعون قسيهم من القصب الشركسي وكذلك السهام والأوتار أما مساكنهم فكانت من الطين والخشب، و أهل تكرور مزارعون يزرعون البصل والقرع والبطيخ والذرة وبحلول القرن العاشر الميلادي تخلصت تكرور من قبائل الفولاني([4]).

---

* الدكاكير : مفردها دكر ، وهي الصنم .

[1]) أبي عبيد البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك ، مكتبة المثني ، بغداد ، (بدون تاريخ) ص172. كتاب الاستبصار في عجاب الأبصار ، للكتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري 12 ميلادي ، نشر وتعليق ، سعد زغلول عبد الحميد ، مطبعة جامعة الإسكندرية ، 1958م ، ص16 .

* النيل : المقصود به نهر السنغال .

[2]) الشريف الإدريسي ، مصدر سابق ، ص18 .

* التبر : مقصود به الذهب.

[3]) الإدريسي ، مرجع سابق ، ص 18 .

* القسي : مقصود به العصا .

[4]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، 260- 261 . وللمزيد عن تكرور أنظر : عبد الحي عبد الحق ، حول انتشار الإسلام في السودان الأوسط ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، معهد البحوث والدراسات العربية بالاشتراك مع جامعة أم درمان الإسلامية ، الخرطوم ، 1983م ، بغداد ، 1985م ، ص119 – 120 .

مملكة الصوصو :

تقع في جنوب غانا في إقليم كانجابا وقد خضعت الصوصو لغانا ودفعت لها الجزية ولكنها لم تكن قط مخلصة لغانا وظلت على وثنيتها تترقب فرصة الوثوب عليها أو الاستقلال عنها وقد أتيحت لها هذه الفرصة عند غزو المرابطين لغانا فيما بعد([1]).

أما مالي فلم يظهر لها أثر حتى ذلك الوقت .

مملكة الكانم برنو :

هي من الممالك التي كانت معاصرة لمملكة غانا في غرب أفريقيا وقد ظهرت هذه المملكة في المنطقة الشمالية من الأراضي الزراعية الواقعة حول بحيرة تشاد ، تحدها من الشرق بلاد مالي ومن الشمال بلاد صاحب أفريقيا ومن الجنوب بلاد الهمج وأكثر بلاد برنو تقع الآن في إتحاد نيجيريا في الشمال الشرقي ، ومن أهم قبائل برنو الكانوري([2]).

إن تاريخ ظهور مملكة كانم يرجع إلى حوالي القرن الثامن الميلادي ثم نمت واتسعت خلال القرنين التاسع والعاشر ([3]). وكانت في كل تلك الفترة تحاول أن تتوسع صوب الشمال في اتجاه مراكز التجارة في فزان ويبدو أن هذا التوسع لم يكن له تأثير بسبب قلة الذهب وبسبب التجارة غير المربحة ([4]).

وتنتسب الحكومة الأولي التي قامت في إقليم كانم إلى قبيلة الزغاوة ففي الوقت الذي كانت فيه قبائل بربرية من لمطه تؤسس دولة في صنقي وكانت دول الهوسا تمارس نشاطها وأعمالها وحياتها البدائية فيما هو معروف الآن بنيجيريا الشمالية ، كانت هنالك قبيلة من الجنس الحامي قريبة الشبه بقبائل الطوارق الملثمين تفتك بالمزارعين المستقرين حول بحيرة تشاد تلك هي قبيلة الزغاوة ، فلم تلبس إن بسطت قوتها على البلاد وكونت طبقة أرستقراطية استطاعت أن تحكم البلاد وعملت على توسيع دائرة حكمها خلال القرن الثامن حتى امتد نفوذها من كاورا في تشاد وحتى دارفور في سودان وادي النيل . غير أن الوضع لم يستقر للزغاوة ففي مطلع القرن التاسع قامت أسرة جديدة واستلمت مقاليد الحكم من الزغاوة وطردتهم من دائرة نفوذهم وهذه الأسرة هي المعروفة باسم الماغوميين الذين ينتسبون إلى سيف بن

---

[1]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص262 .

[2]) أحمد سمي جدو ، مرجع سابق ، ص38 .

[3]) د . إبراهيم طرخان ، إمبراطورية البرنو الإسلامية ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة ، 1975م ، ص46 .

[4]) فيج ج جي دي ، مرجع سابق ، ص 46 .

ذي يزن الحميري ، ويري المحققون أنهم من أبناء عمومة الطوارق وبذلك ينتمون إلى أصول حامية . وقد شهدت البلاد تطوراً عظيماً على يد هذه الأسرة وذاعت شهرتها حتى ظهرت هذه المملكة في الخرائط الأوربية في العصور الوسطي وشهدت علاقاتها التاريخية تطوراً ملموساً خاصة مع مصر . ثم تعرضت لهجوم البول أو الغلب* ، ثم آلت إلى محمد الأمين الكانمي ثم انتهت أخيراً على يد رابح فضل الله عام 1894 – 1895م بالإتحاد مع حياتو بن سعيد الفوتي([1]).

مملكة أود غشت : هي من الممالك الصحراوية التي خضعت لغانا وقد استعادت استقلالها عن غانا بعد غزو المرابطين لها بقيادة عبد الله بن ياسين ، وهي تعتبر من أغني الممالك المعاصرة لمملكة غانا فقد كانت مدينة تجارية فيها مختلف الأجناس من التجار من كل بلاد المشرق والمغرب . وقد ذكرت في جل كتابات الرحالة والعرب المؤرخون الذين تناولوا تاريخ المنطقة ([2]).

تلك باختصار، أهم الممالك التي عاصرت مملكة مالي التي تشكل في مجملها الأحوال العامة في المنطقة قبل ظهور مملكة مالي ، وهذه الممالك تقريباً متشابهة في كثير من النواحي السياسية والاجتماعية.وهذا بدوره يسدل الستار حول ما أثاره الغربيون بان إفريقيا لا تاريخ لها وان شعوبها غارقة في البربرية والتوحش وعدم الاعتراف الكامل بالحضارات الإفريقية بل كان تعليلهم لاستعمار إفريقيا هو إخراج أهلها من الظلمات إلي النور

---

* البول والغلب : هم قبائل البلالة التي أسقطت الأسرة الأولي (الزغاوة) مؤسسة مملكة كانم

1) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص262-264 . إبراهيم طرخان ، إمبراطورية البرنو الإسلامية ، مرجع سابق ، ص46 ، 20 . الإدريسي ، مصدر سابق ، ص29 – 30 . أحمد سمي جدو ، مرجع سابق ، ص37 – 39 . عبد الحي عبد الحق ، مرجع سابق ، 113 – 117 ، 120 – 123 . ولعل أهم المراجع التي تحدثت عن الزغاوة وتأسيس حكمهم هو كتاب عثمان عبد الجبار عثمان ، الزغاوة في السودان وتشاد ، مرجع سبق ذكره .

[2]) أبي عبيد البكري ، المسالك والممالك ، تحقيق وتقديم أدريان فان ليوفن و آندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، 1992م ، ص848 – 850 وما بعدها

3). أحمد إبراهيم دياب ، طبيعة المجتمعات الأفريقية وأثرها على تاريخ القارة ، الندوة السنوية للمجتمعات الأفريقية تطورها التاريخي ودورها الحضاري حتي مطلع القرن الحادي والعشرون ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، 2005م ، ص52 . انظر: شيخ أنتا ديوب ، أصل المصرين القدماء ، تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثاني ، جون أفريك للنشر، باريس ، مطابع كانلي ،تورينو ايطاليا ، 1985م، ص40

4) يوسف فضل حسن ، (بعض مظاهر التواصل الأفريقي) مجلة دراسات أفريقية ، العدد (35) ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، 2006م ، ص14 . يوسف روكز ، أفريقيا السوداء سياسة وحضارة ، ط1 ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1986م ، ص9 .

5) مهدي ساتي صالح ، محاضرات قدمها لطلاب الدفعة (16) تخصص تاريخ ، عن تاريخ أفريقيا القديمة وحضاراتها ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقا العالمية ، في الفترة من نوفمبر 2008م إلى مارس2009م .

6) [2]) ان جاتي ، حكايات من السهول الأفريقية ، ترجمة عزت مصطفي ، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر ، 2004م . يونى لين ، قصص شعبية أفريقية ، ترجمة محمد كامل كمالي ، مراجعة محمد سمير عبد الحميد ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، 1990م . وولي سوينكا وآخرون ، إيقاعات الخلق ، ترجمة وتقديم محمد هارون كافي ، ط1 ، دارة النفيرة للترجمة والنشر ، نيروبي ، مطبعة أرو ، الخرطوم ، 1999م . الهادي المبروك الدالي ، آفاق لأدب أفريقيا فيما وراء الصحراء ، ط1 ، الدار المصرية اللبنانية ، 2001م

والحضارة.(3) وهذا خطاء كبير لان كل الدلائل تؤكد عراقة الإنسان الإفريقي وحضارته(4) ويظهر ذلك من خلال محاضرات نالها الباحث(5) وكتب اطلع عليها(6)

الفصل الأول

مملكة مالي الإسلامية في العصور الوسطي

المبحث الأول

شعب الماندنجو

تعد مملكة مالي منٍ أهم الوحدات السياسية التي قامت في السودان الغربي من أفريقيا خلال العصور الوسطي وذلك لدورها في توحيد القبائل الزنجية ونشر الإسلام والدعوة له في جميع بلاد غرب أفريقيا وتبني ثقافته ([1]) وقد وصف قاضي تمبكتو محمود كعت ([2]) صاحب تاريخ الفتاش سعة الأرض وازدهار القرى و المدن فيها ، وقال أن ملك مالي هو أحد سلاطين الدنيا الأربعة بعد الخليفة العباسي في بغداد وسلطان المماليك في مصر ومايات الأسرة السيفية في برنو ، وذكر أن يده مبسوطة علي الكل بالقهر والغلبة([3]).

وكتب غيره عن استتباب الأمن وتفشي العدل واهتمام الحكام بشؤون الحكم وتعليم القرآن وإكرام أهله في القرن الرابع عشر الميلادي ([4]) وهو القرن الذي بلغت فيه دولة مالي شأوا بعيداً في الازدهار والرقي بعد أن ملكت الأدوات وأعملت الآليات ، فالدولة التي توحد شعبها وتنشر الأمن ويحرص ملوكها أن تؤدي مؤسسات الحكم دورها علي الوجه الأكمل وتتبني العلم وتكريم أهله لهي مملكة امتلكت مقومات البناء وجديرة بأن يذكر حكامها ضمن أعظم سلاطين الدنيا ، ولكي نبحث قيام مملكة مالي وتطورها والدور الذي لعبته علي مسرح التاريخ لابد أن نتعرف علي الشعب الذي أنشاءها ورعاها حتى شمخت ولفت إليها الأنظار من كافة أرجاء المعمورة .

شعب الماندنجو : الاسم ، الموقع الانتشار

تطلق الدراسات الإفريقية علي القبائل التي أسست مملكة مالي اسم المانديغ (Man ding) وهذا المصطلح حديث أخذه المؤرخون من المختصين في الدراسات الأثتغرافية

---

[1]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ،الهيئة المصرية العامة ،1973، ص35،25.

[2]) كعت القاضي محمود ، هو أبو الثناء محمود بن عمر كعت الصنهاجي التمبكتي ، 1463 – 1548م ، قاضي تمبكتو فقيه ومؤرخ صاحب تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريغ أنساب العبيد من الأحرار، بداء تأليفه عام 925هـ - 1515م ، نشره هوداس ودوفولاس ، باريس ، 1913م .

[3]) المصدر نفسه ، ص38.

[4])ا بن بطوطة ، وهو شمس الدين بن عبد الله بن محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي ، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ج4 تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ، 1997م ، ص263.

واللسانية المتعلقة بأفريقيا ([1]) إلا أن سليجمان ([2]) يقول الأصح تسميتهم باسم الماندي .

أما بقية المراجع الحديثة تسميهم الماندنجو أو الماندي وتذكر في كتابتهم الماندجو أو الماندي هكذا ([3]) وقد عثر الباحث علي بعض الرسائل الجامعية الحديثة أصحابها من منطقة الدراسة تسميهم بأسماء مختلفة من الذي سبق ذكره، مثل الماندنكو ([4]) والماندنقو ([5]) وهذه الأسماء للعناوين الرئيسية لرسائلهم أما القبائل المجاورة لهمُ تطلق عليهم أيضا أسماء مختلفة فمثلاً الفولاني تطلق عليهم اسم "مالي" والبربر اسم "مل أو مليت" وفي غينيا (مانكا) وغامبيا وكازامانس (ماندكو) وفي ساحل العاج وبوركينافاسو (جولا) ([6]) فاختلاف الأسماء ناتج عن اختلاف اللهجات لكن الشعب واحد .

أما المراجع العربية لم تعين لنا اسماً لتلك القبيلة واختصرت علي نعتهم بأهل مالي أو أهل ملل أو التكرور ، وبموازاة ذلك كانت تشير إلي قبيلة سودانية كبيرة تختلق اسمها من مصدر إلي آخر ، فهي مرة (لملم) وتارة (ننم) وأخري (دمم) و(ملل) ([7]) .

واتفق مع الرأي الذي يقول (علي الرغم من أن جل المصادر العربية توحي لنا بأنها تتحدث عن قبائل مختلفة إلا أنها في الواقع قبيلاً واحداً لا غير... وجل الدارسين الذين تناولوا تاريخ مالي ينطلقون من المعادلة التالية (أهل مالي (لملم) المانديغ ، علي الرغم من إيمانهم بصوابها فلا أحد منهم يعلن عن قناعتهم تلك بكل صراحة ويعود حرجهم هذا ، كون المصادر العربية منذ البكري تتحدث بحماس عن حضور الإسلام في مالي غير أنها حينما تتناول (لملم) تصفهم دائماً بالوحشية والكفر والمجوسية وفي أحسن الأحوال تعتبرهم مهملين

([1]) Fage / 1 An Atlas of African History , Cambridge . 1958 . p227 نقلاً عن جعفر محمد خلف الله محمد شبو ، الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولة مالي الإسلامية في العصور الوسطي ، 5-8 هـ / 12 -15 م ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الدراسات العليا كلية الآداب ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة امدرمان الإسلامية ، 2008م ، ص51.

([2]) س – ج سليجمان ، السلالات البشرية في أفريقية ، ترجمة يوسف خليل ، مراجعة محمد محمود العباد ، مكتبة العالم العربي ، القاهرة (بدون تاريخ) ، ص54 .

([3]) محمد عوض محمد ، الشعوب والسلالات الأفريقية ، تقديم عبد القادر حاتم ، الدار المصرية للتأليف والترجمة 1965 ، ص54. أنظر إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية، مرجع سابق ، ص33.

([4]) عبد الله تراوري ، تأثير اللغة العربية علي الماندنكو من ناحية المفردات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 2001م ، أنظر أيضاً عيسي دياموتيني ، استخدام المفردات العربية المنقرضة في لغة ماندنكو في تأليف النصوص التعليمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 2002م .

([5]) أبو بكر محمد كوناتي ، دراسة تقابلية بين اللغة العربية والماندنقو علي مستوي الضمائر وأسماء الإشارة . رسالة ماجستير غير منشورة معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1998م .

([6]) عيسي دياموتيني ، المرجع السابق ، ص 12 . أنظر دياغاتي سعيد ، لغة الماندنكو بالحرف العربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1994م ، ص5.

([7]) الإدريسي، مصدر سابق ، ص19 . البكري ،المسالك والممالك ، مصدر سابق ، 875 . البكري ، المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب، مصدر سابق ، ص180.

غير مسلمين ، وبناءاً علي ما تقدم تصبح المعادلة التي ينطلقون منها غير سليمة بالنظر إلي ما تتضمنه من تناقض واضح (أهل مالي (مسلمون) ولملم (كفار) = الماندينغ ([1])) .

وأول ما يجب التنبيه إليه في هذا الصدد هو أن المصادر العربية قد اهتمت بأسماء القبائل السودانية ومواقعها بصورة واضحة وكانت تكتفي بجمعها تحت أسم واحد : أهل السودان أو السودان بدون ذكر أسم الأهل ، أو أهل التكرور أو التكارنة أو أهل سلي ([2]). وإذا ما حصل أن أشارت إلى بعض أسماء القبائل فإنها في غالب الأحيان تطرح الاسم كالطلسم يصعب تحقيقه لغوياً كما يصعب تحديد موطن هذا القبيل المشار إليه وتمييزه عن القبائل الأخرى ، وهذا ما توصل إليه الباحث شبّو أيضاً عند حديثه في هذا الأمر .

وقد تفوقت المصادر البرتغالية على المصادر العربية في اهتمامها بالقبائل السودانية حيث أوردت الكثير من المعلومات القيمة من حيث الكم والنوع ، لكن معلوماتهم لا تنسحب إلا عن القبائل السودانية القريبة من الشاطئ الأطلسي ([3]).

لعلّ من أهم أسباب عدم اهتمام المصادر العربية عن القبائل السودانية في جنوب الصحراء بدرجة كافية عدم الاحتكاك المباشر لأصحاب هذه المصادر ببلاد السودان ، فأبن بطوطة مثلاً قد زار مالي ودخل عاصمتها لم يعرّفنا بالقبائل المؤسسة لإمبراطورية مالي أو تلك التي خضعت لها ، أو لم يخبرنا باسم القبيل الذي ينتمي إليه حكام مالي ولا الأسرة التي ينتسبون إليها ، وأهم ما يشد انتباهنا ونحن نستعرض مذكرات ابن بطوطة هو أنه بمجرّد اجتيازه للصحراء وتقدمه داخل بلاد السودان أصبح الكلام عن القبائل السودانية شيئاً منسياً ومهمشاً واختفت حتى الإشارة العرضية عن الموضوع ، ومن كثرة إلحاحه على الالتقاء بالجاليات العربية والمغربية المقيمة في مالي ومعاشرته لها يتملكنا إحساس إنه أخذ على نفسه أن لا يختلط إلا بالبيضان الشيء الذي أعاق أي محاولة للتعرف على السودانيين وأحوالهم في غرب أفريقيا وذلك على الرغم من إقامته معهم حوالي سنتين . لدرجة عدم تلبية كل الدعوات التي قدمت له بما فيها السلطانية التي يسميها بالتافهة ([4]).

---

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص51

[2]) البكري ، المغرب في ذكر أفريقيا والمغرب ، مصدر سابق ، ص163 . البكري ، المسالك والممالك ، مصدر سابق ، ص868 – 869 .

[3]) جعفر خلف الله محمد شبّو، مرجع سابق ، ص53 .

[4]) ابن بطوطة،مصدر سابق ، ص239 وما بعدها . أنظر: ص225 عندما سمي دعوتهم بالتافهة . جعفر خلف الله شبو ، مرجع سابق ، ص53 .

ومثل هذا الإحساس لا نشعر به مع الحسن الوزان([1]) الذي أبدي اهتماما بالشعوب والقبائل الأفريقية السودانية ، إلا أن إقامته القصيرة ببلاد السودان خلال الفترة (1511-1513م) وتعذر زيارته للمناطق الجنوبية حيث قبائل الماندنجو حالت دون تمكنه من إيراد معلومات دقيقة عنهم.

تاريخ وصول الماندنجو في غرب أفريقيا :

لا توجد معلومات مفصلة عن تاريخ وصول الماندنجو لغرب إفريقيا من موطنهم الأول وأسباب هجرتهم غير إن السعدي يذكر عدد ملوكهم والحروب التي دخولها مع جني واستقبال اسكيا مملكة صنقي لهم، فوجدت نص يشير إلي موطنهم الأول به بعض التفاصيل عن تاريخ وصولهم لغرب إفريقيا.

متفق عليه من المؤرخين والمدونين منهم والشفويين إن الشعب الذي يطلق عليه الآن بـ "مندن" ما كان كذلك بل تحت "وأنكرا" وإن المنطقة التي يستوطنوها الآن في غرب أفريقيا جاءوا إليها من الشرق على الأرجح ، ومن ما نقلناه من كبار مؤرخي مندين إن أسلافنا وإنكارا جاءوا من الشرق بدون الدخول في أي تفاصيل أو ذكر دولة ما .

وإن المنطقة التي هاجروا منها كانت مسكونة من قبائل متقاتلة ومتحاربة في صورة لا تعرف الهدوء ولا السلام ... وتعهدت الماندنجو لنفسها مغادرة المنطقة لو استمر الحال سوءاً ، ونوت الأسرة المسالمة الهجرة بعد كل محاولة ممكنة بقية السلام بدون جدوى تذكر .

وأخيراً اجتمعت قبيلة وإنكارا أمرها للمغادرة معاً رجالاً ونساءً وأطفالاً على الحمير ، بصحبة أغنامهم متجهين غرب الأرض الممتدة التي عرفت عندهم فيما بعد (فدفننا *Fadafnna) وكانوا على درجة كبيرة من البطء في هذا السير تخفيفاً من التعب وخصوصاً هم مع الأولاد والشيوخ وقضوا أربعة أعوام على هذه الحالة ليصادفوا مكان انحناء نهر جيليبا ويستقرّوا في ملتقي هذا النهر وبافن أكبر وأطول نهر في غرب أفريقيا بعد أن عبروا مسافة 6.000كيلومتر عبر الصحراء الكبرى من الشمال متجهين صوب الغرب . وإذا كانت تقديرات شيوخنا في تحديد سنين ماضيهم صحيحة فإن هجرتهم من الشرق إلى الغرب حوالي (2790– 2746 ق م) لأن في تحديد عصورهم الأولي يستعملون طريقة الألفية .

---

[1]) الوزان : الحسن بن محمد ألفاسي (ليو الأفريقي) ، وصف أفريقيا ، ط 1 ، ج2 ، ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ص77 .

* تعني : بلاد السود .

وبعد أن استقرّ هذا الشعب أسسوا تجمعاً حضارياً في المنطقة التي انتهت إليها الهجرة التي عرفت باسم "وانكرادو" أي أرض وإنكارا وسمّوا عاصمتها بـ "صو" أي وطن ... وعاش شعب وإنكارا في السلام قرابة ألف عام في وانكرادو.

وكانوا على مدار هذه الحقبة يحيون ذكري هجرتهم بعقد مؤتمر شعبي كبير في مدنهم الإقليمية قائلين فيها "إن الحرب ... والاستقرار في السلام هي السبب الرئيسي لمغادرتنا لأرض الأسلاف الأولي وذلك لننعم براحة النفس وغُرة العين وليعم السلام ... ومهما كانت الظروف لا ننسي هذه الأهداف ... بالتقاتل وإزهاق أرواحنا هباء" ويختمون مؤتمرهم بالدعاء وإلقاء اللعنة على " كل أسلوب ينتهك هذه المعاهدات، وإن أنتهك منتهك منا فليقم كل واحد منا بتصحيح ذلك حتماً " وهكذا قضى أسلاف مندين عشرة قرون في وانكرادو في سلام ووئام ([1]).

ويدعم قصة هجرتهم من الشرق إلى الغرب الباحث "تراوري" لكن بدون ذكر تفاصيل ([2]). الأمر الذي جعل قبائل الماندنجو لاحقاً أن تدعي أصولاً شرقية في نسبها وهي تقاليد متوارثة في غرب أفريقيا ، فملك غانا كان يدعي النسب إلى صالح بن عبد الله بن الحسين بن علي بن أبي طالب ويخطب له ([3]). وكذلك ملك صنقي يدعي النسب العربي في عهد الخلافة العباسية ([4]) وقال في التعريف "وصاحب التكرور هذا يدعي نسباً إلى عبد الله بن صالح بن على بن أبي طالب كرم الله وجهه"([5]).

وظاهرة الانتساب إلى البيت العلوي هي غير صحيحة من الناحية التاريخية إلا أنها تدل على أهمية* النظرة التي كان ينظرها ملوك الإمبراطوريات الإسلامية التي قامت في غرب إفريقيا إلى الشرق والى الصلة التي كانوا يودون أن يربطوا أنفسهم بها مع مسلمي هذا الشرق([6]) وهذا ما يؤكده الفقيه السعدي حينما يقول "إن الماندنجو سودان في الأصل "([7])

---

[1]) قطرة من محيط تاريخ بلاد (مندان) وأيامها الغابرة ، على الموقع ،www.kanjamadi.com

[2]) عبد الله تراوري ، مرجع سابق ، ص33 .

[3]) أحمد بن على القلقشندى ، مصدر سابق، 1987م ، ص286 .

[4]) محمد أنور توفيق أبو عليم ، دولة صونقي الإسلامية ، تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري ، 1494 – 1591م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1997م ، ص29 .

[5]) أحمد بن على القلقشندى ، مصدر سابق ، ص186 .

* مكتوبة في المرجع (أمية) ، يعتقد الباحث هنالك خطأ مطبعي والصحيح (أهمية) .

[6]) شوقي الجمل وآخرون ،مرجع سابق ، ص163 .

[7]) عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي ، تاريخ السودان ، حققه ونشره وترجمه للفرنسية ، هوداس وتلميذه بنوه ، باريس 1981م ، ص9 .

أما الروايات الشفوية تقول: أن أسرة كيتا التي نتطرق لها لا حقاً مؤسسة مملكة مالي إنها من نسل دجون جلالي أو بلال بن رباح من الصحابة وأول مؤذني الأمة الإسلامية ويقال أن لوالو بن المؤذن قدم للاستيطان في بلاد منديه حيث أسس مدينة كيري أو كي([1]) وهذا اتجاه إلى الجنس الزنجي . وتتميز صفاتهم الجنسية بطول القامة التي أخذوها من الحاميين مع بشرة فاتحة([2]).

تفسير كلمة ماندنجو :

تعني كلمة الماندنجو عند السونيك أحدي فروع الماندنجو "السيد أو مركز إقامة السيد أو الحاكم "([3]) أو حيث يعيش الملك ثم أطلقت على بقية المنطقة ([4]) وهناك تفسير آخر يقرب من هذا التفسير تتكون الكلمة من مقطعين هما (ما) Ma + (دي) Di وحرف الربط هو (ن) N ، ويعني المقطع (دي) في لهجة السونيكة (في) أو (عند) ويعني المقطع (ما) السيد . فتصبح الكلمة عند السيد أو في مركز إقامة السيد أو الحاكم ، وبمعني آخر العاصمة ([5]).

وهناك تفسير آخر أيضاً (ما) تدل على معني الأم و (دينج) تدل على الطفل أو الابن فيكون المعني (ابن الأم) ([6]).

عندما نقول "ماندنكو" فيكون تفسيرها كالآتي : (ما) بمعني أمي ، أو جدي ، أو ربي ، (ندي) بمعني ابن في اللغة الماندنكية و (كو) أو (أنكو) تعني في لغة ماندي أو كلام ماندي أو قول ماندي ، وقد أطلق هذه اللغة لكلمة (أنكو Ko و N) وكلمة أنكو مركبة من كلمتين شقها الأول هو (أن) أي ضمير (أنا أو التاء المتحركة) وشقها الثاني (كو) أي أداة التعبير عن الضمير إلى اقرب كلمة بمعني (قلت) ، وقد أستعمل هذا اللفظ للدلالة على مجموعة اللهجات الماندنكية حيث لا يتكلم أحد منهم إلا باستعمال هذه الكلمة (أنكو) الشائع في لهجات الماندنكو لأن هذه الكلمة أنكو اسم لجميع لهجات الماندنكو وهو بمعني (قلت) وعموماً الكلمة هي غير عربية ([7]).

---

[1]) جبريل ت – نياني ، مالي والتوسع الثاني للماندانغ ، تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الرابع ، بيروت ، 1988م ، ص141 .
[2]) أحمد نجم الدين فليجة ، مرجع سابق ، ص195 .
[3]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص27 .
[4]) عبد الرحمن زكي ، مرجع سابق ، ص97 الحاشية .
[5]) عبد الله تراوري ، مرجع سابق ، ص29 – 30 . أبوبكر محمد كوناتي ، مرجع سابق ، ص14 .
[6]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص27 .
[7]) عبد الله تراوري ، مرجع سابق ، ص29 -30 ، ديابا غاتي سعيد ، مرجع سابق ، ص14 .

الدكتور طرخان بذل محاولات أخري لتفسير كلمة (مالنك) أو (مالنكا) باعتبارها مشتقة من كلمة مالي أو مرّي Mari، أي فرس النهر أو أصحاب فرس النهر ، أو الناس الذين يكثر في مياه أنهارهم فرس البحر . والذي ثبت من البحوث اللغوية إن هذا التخريج غير صحيح المقطع (كا Ka) يدل على معني التبعية المحلية أو الوطنية ويضاف عادة إلى الموطن الأصلي الذي نشأ فيه هذا الجنس أو هذا العنصر أو هذه القبيلة ولكن لا يمكن أن يلحق أو يربط باسم حيوان ([1]) .

عموماً كلمة ماندنجو مصطلح لغوي أكثر من جنسي فهو يطلق ويراد به مجموعة القبائل المتكلمة بلغة الماندي ([2]) .

فروع الماندنجو :

للماندنجو فروع كثيرة ، منهم الديولا أو الجيولا والسومونو والبوزو والسونيك وكاسنكي وجا لنكي ودبمبارا وما لنكي وغيرها ، على أن أهم فروعهم المالنكي والبمبارا والديولا والسوننيك ([3]). أما محمد عوض محمد ([4]) يعتبر هذه الفروع هي أسماء للماندنجو ويصنف الفرد من الماندنجو شكلاً بأنه طويل نحيل ، تقاطيعه تقربه من السحنة القوقازية وغزير شعر اللحية إذا قورن بسائر الزنوج والبشرة خفيفة السمرة .

لكن الباحث يتفق مع إبراهيم طرخان، إن القبائل التي وردت هي فروع للماندنجو وليس أسما لها.

مجال انتشار الماندنجو :

تجمع المصادر علي أن (لملم) الكفار يوجدون جنوب مملكة غانا ويقول الإدريسي "وبلاد لملم تتصل من جهة المغرب بأرض مقزارة ومن جهة المشرق بأرض الشمال وبأرض غانا ومن الجنوب بالأرض الخالية"([5])، فالجنوب كما ذكرنا كان مجهولاً لأصحاب المصادر العربية . ونستخلص من كلام الإدريسي إن مجال انتشارهم يمتد جنوب مدينة (غياروا) إلى خط الاستواء ومدينة غياروا تلك تمثل حدود مملكة غانا من الجنوب ، كما أنها تشكل آخر موقع جغرافي عرّف به المؤرخون العرب .

---

[1]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص29 .
[2]) المرجع نفسه، الصفحة نفسها . عبد الله تراوري ، مرجع سابق ، ص30 .
[3]) إبراهيم طرخان ،دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص29-30 ،
[4]) الشعوب والسلالات الأفريقية ، مرجع لسابق ، ص55 .
[5]) الإدريسي ، مصدر سابق ، ص19 .

الباحث شبو انتقد وصف الإدريسي بقوله "قد بالغ الإدريسي في تقدير مجال انتشارهم ويصبح من الصعب علينا قبول كلامه وربما كان وعيه كأحد الجغرافيين الكبار هو الذي جعله يتحدث عن دمدم وننم بجانب لملم ، ويظهر صاحب النزهة في وصفه لحدود لملم لم يكن يستند إلى المعلومات التي كانت دون شك قليلة وفقيرة بقدر ما كان يعتمد على معرفته النظرية بعلم الأحوال والعروض وتقويم البلدان "([1]).

وقد لاحظ "الباحث" أن أصحاب المصادر العربية يحددون المسافات والمجال الجغرافي بالأيام والمراحل والرمال .

وهذا ما جعل "ريموند موني" إلى التنبيه بجهل أصحاب المصادر العربية بمنطقة الغابات الاستوائية بدليل أياً منهم لم يتحدث عنها بالتعريف بها([2]). وهذا الأمر قد نبه إليه فيدج أيضاً عندما استعرض كتابات أصحاب المصادر عن المنطقة ([3]). وأتفق مع الباحث شبو بالإضافة إلى ملاحظات ريموند وفيدج ، إن معرفتهم بالمجال المنحصر فيما بين غياروا والغابة الاستوائية كانت ضعيفة جداً ومضطربة وهذا ما يفسر اعتقاد الجغرافيين العرب في إن المنطقة مأهولة بأقوام طبيعتهم أقرب إلى الحيوان منه إلى الإنسان ، وقد تحكمت هذه الفكرة في صياغة معلومات أصحاب المصادر العربية عند المنطقة وأهلها لذلك لا نستغرب وصف الإدريسي لـ (لملم) بالوحشية وأكل لحوم البشر والكفر، ولا نستغرب احتفاظ المصادر اللاحقة لهم بهذه الأوصاف وهذا هو بعينه ما ذهبت إليه بعض الدراسات الحديثة ([4]).

انتهي الباحث شبو إلى خلاصة مفادها تعميق الوعي بضرورة الالتجاء للدراسات الانثربولوجية الحديثة إن أردنا بحث قضية تحقيق الماندينج . لكن هجرات القبائل السودانية وتحركاتها وانصهارها ببعضها بالإضافة عدم إلي توافق المعايير اللسانية وتجاهل التقسيمات السياسية الحديثة لمجال الوحدات الأثينية كل ذلك يعوق عملية تحقيق مجال انتشار الماندنجو ورصد مواقعهم الأصلية بدقة لكن شبو يفتح الباب للتسديد والمقارنة ([5]).

---

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص54 .

[2])R . Maunny ' Bibliograbhiguedei , Empire dumali , Notes Africans No 82 . Paris 1959 , P 397
نقلاً عن جعفر خلف الله محمد شبو، المرجع السابق ، ص54

[3]) فيدج ج جي دي ، المرجع السابق ، ص46 .

[4]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص54 .

[5]) جعفر محمد خلف الله شبو ، مرجع سابق ، ص54

ومن خلال المقارنة والتسديد نستطيع القول أن شعب الماندنجو منتشر بين المحيط الأطلسي غرباً إلي منحني نهر النيجر شرقاً ، ويمتد جنوباً إلى قرب خط العرض 9ْ شمالاً . وهو لا يحتل وحده كل هذه المساحة ولكنه بلا شك له النصيب الأكبر منه ، وهي الإقليم الكبير الذي يوصف بالسودان الغربي أو الفرنسي ، أيام كانت لفرنسا النفوذ التام فيه ، والوحدات السياسية التي ظهرت أخيراً في هذا الإقليم مثل : جمهورية السنغال مالي ، غامبيا ، غينيا ، لا تخلو من قبائل تنتمي إلى شعب الماندنجو وإن كان ميدانه الأكبر في الجزء الأوسط الممتد من أواسط نهر السنغال إلى منحني نهر النيجر في إقليم تمبكتو والدولة التي يتمثل فيها الماندنجو أكثر من سواها هي جمهورية مالي ([1]).

[1]) عوض محمد عوض ، مرجع السابق ، ص45 . إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص26 .

المبحث الثاني

مراحل تأسيس المملكة

إن تاريخ مالي في بدايته غامض ومضطرب وذلك بسبب ندرة المصادر واختلاط الروايات الشفوية بالأساطير ، ثم أن السجلات والوثائق الخاصة بهذه المملكة لم تدون إلا بعد مرور سبعة أو ثمانية قرون من ظهورها وعنت بأخبار الأسرة الحاكمة دون الرعايا([1]).

وهذا ما جعل صاحب تاريخ الفتاش أن يقول "لا يأتي لمؤرخ في هذا اليوم أن يأتي بصحبة شيء من أمورهم يقطع بها ولم يتقدم لهم تاريخ يعتمد عليه([2])" إلا أن الباحث كوناتيي ([3]) يقول "أكدت الشواهد التاريخية قيام دول كثيرة في أرض ماندينج أعترف بها العالم شرقاً وغرباً مثل مملكة مالي القديمة وغانا وصنقي وتكرور ، لكن عند قراءة الكتب التاريخية التي تكلمت عن غرب أفريقيا وبالأخص إمبراطورية مالي وغانا أغلبهم عرب أو من اخذ عنهم نجدهم لم يتعرضوا لذكر تاريخ منطقة الماندينج القديمة التي أصبحت مالي بالتحريف فيما بعد مع اعتناء المؤرخين بها ، كما نجدهم عند كلامهم عن إمبراطوريتي غانا ومالي يجعلون منها سابقة ولاحقة ، ويقولون أن قيام مملكة غانا سبقت قيام مملكة غانا بنحو أكثر من سبعة قرون ، كما أن بعضهم لا يفرق بين قيام المملكة وقيام ملك ماري جاطه ... وعند التحقيق نجد أنه من الصعب التنبؤ بمعرفة السابق من اللاحق بين الممالك الثلاثة غانا والماندينج القديمة والصوصو ... المؤرخون المحليين منهم من يقول إنها قامت معاً ، كما يظهر من كلام المؤرخ المحلي الشيخ الحاج سليمان كانتي ، ولكن نمو الثانية والثالثة كان تدريجياً ولم تكونا معروفتين لدي المسافرين والمؤرخين لوقوعهما وراء الأولي غانا مع إشارة بعضهم إليهما عند ذكر حدود غانا كما نجد أن هنالك فروقاً بين مملكة الماندينغ القديمة التي قامت في جنوب إمبراطورية غانا لكنه يستدرك بالقول أنه لم يعرف التاريخ بداية قيامها إلى يومنا هذا ، غير أن المؤرخين المحليين يعتبرونها أكبر الممالك في المنطقة ". وهذا ما يؤكده الباحثون أن المملكة تأسست منذ زمن قديم يعود إلى عام 1000 ق م ، لكن دون ذكر تفاصيل كثيرة ([4]).

---

[1]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 32 .
[2]) محمود كعت ، مصدر سابق ، ص42 .
[3]) أبوبكر محمد كونتاتي ، مرجع سابق ، ص23 – 24 .
[4]) محمد على فاضل باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص77 .

ويقولون في هذا الصدد إن أسرة كيتا لم تكن هي الأولي في حكم مالي فقد سبقتها أسر عديدة منها ، أسرة كروما ، أرسرة ديارا ، وأسرة تراوري([1]) ، "تتفق الروايات الشفوية على أن أسرة التروريين حكمت شعب الماندنجو من أعلي نهر باخوى إحدى فروع السنغال وأن مؤسس هذه الأسرة منسا توفي تارا وارا أعتنق الإسلام ، ثم جاءت أسرة الكوناتيين وأقامت بإقليم(داو جو) شمال كيري وعرف موطنها باسم دو Do إختصاراً ، وربما كانت هذه المملكة هي التي ذكرها البكري باسم دو في القرن الحادي عشر ولعل إلى هذه الأسرة ينتمي جور ماند كوناتي الذي اشتهر بأنه أول ملوك مالي إسلاماً وهو الذي فاضت الكتب العربية بذكره فهو المعروف بالمسلمان عند البكري وباسم برمندانا عند المقريزي والقلقشندى وابن خلدون ، والمؤكد لدينا أن هذا الملك اعتمد على طبقة العبيد المحررين الذين عرفوا بالبولا وكوّن منهم جيشاً نظامياً حسن التدريب وأعد منهم الحكام الإداريين وعلى عهده بدأت دولة الماندنجو تتوسع جنوباً ، ولقد أصبح لطبقة البولا هذه شأن عظيم في مملكة مالي وبلغ من نفوذهم أن من بينهم من استلم العرش في مالي نفسه ([2]) "

وكانت عاصمة الكوناتيين الأولي (تاهو) أما الملك الآخر بجانب نورماندا كوناتي ويعرف أيضاً منسي بورامغانديغ أو بورماندان كوناتي 1050م الذي ذكره ابن خلدون باسم برامندن ([3])، أما الثاني منسي كوناتي ، والمعلومات عن هذا الأخير ضئيلة جداً ([4]).

إذاً يتضح إن أسرتي التروراريين والكوناتيين حكمت مملكة مالي الأولي القديمة المكونة من إقليمي كيري ودو ، أما في عهد الشهرة والعظمة في هذه المملكة فقد أتي مع ظهور أسرة كيتا التي تعتبر أهم أسرة في تاريخ مالي في العصور الوسطي .

لا تحدثنا المصادر كثيراً عن أسرة كيتا ولا عن حال المملكة القديمة قبل ظهور سندياتا الملقب بماري جاطه* ، لكن أسلاف أسرة كيتا أنفسهم يقولون أنهم من نسل بلال ابن رباح الحبشي كما سبق ذكر ذلك ، وتقول الرواية "إن رجلاً مسلماً من الماندنجو أو الفولا الخاضعين لهم يسمي موسي ويجيبو تولي العرش في مالي 597 – 615هـ إلى 1200 – 1218م وتذهب الرواية إلى القول أنه من نسب بلال الحبشي مؤذن الرسول صلي الله عليه وسلم وإنه جاء طفلاً من الحجاز أو جاء أبوه إلى بلاد الماندنجو وتزوج منهم

---

[1]) الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية في غرب أفريقيا ، مرجع سابق، ص33 .
[2]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية، مرجع سابق ، ص33 .
[3]) أبن خلدون ، العبر ، ج6 ، مصدر سابق ، ص 200 – 201 .
[4]) أبوبكر محمد كوناتي ، مرجع سابق ، ص25 – 26 .
* المقصود به : الأمير الأسد .

وأستقر في بلاد التكرور ثم دخل في عدد جماعة البولا وهم جماعة من العسكريين المرتزقة كان ملوك الكوناتيين يعتمدون عليها ودخل أبنه في عداد هذه الطبقة وتمكن من الوصول إلى السلطان وأنشأ أسرة كيتا ، وكيتا لقب اتخذه وهو محرف من عبادة ماندنجية هي (كوي) أي الله خالق كل شيء ، ثم حرّفت إلى (الله كوي) ثم إلي (الكويتا) ثم (كويتا) ثم (كيتا) ، وأتخذ من مدينة جريبة في إقليم كانجاب عاصمة له وأنجب عدداً من الأولاد خلفه أكبرهم فاري فانما جان أو ناري فامغان الذي ظل يحكم حتى عام 1220م وبذل أثناء حكمه جهوداً كبيرة لنشر الإسلام ونقل عاصمته إلى الفوتاجالون ، ثم تعرضت مالي إلى هجوم عنيف من الصوصو ولم ينجو من هذه الأسرة إلا الابن الأصغر سندياتا الذي يعتبر المؤسس الفعلي لمملكة مالي الإسلامية وهو الذي قاد الحرب ضد الصوصو وانتصر عليها([1])".

الروايات الشفوية تظهر هذا البطل بالفاتح العظيم الباهر الأعمال ولو لم يذكره المؤرخون العرب كابن بطوطة وابن خلدون لأعتبره المؤرخون الأوربيون شخصية أسطورية أو خيالية ، وقد عاش طفولة صعبة ومعقدة وعاش عليلاً كما تقول الروايات ([2]).

تمكن الأمير سندياتا أو ماري جاطه من جمع فلول جيش الماندنجو المنهزم أمام الصوصو وأحلافهم من التكرور والهوسا والفولاني وأشعل فيهم روح الوطنية وخاض بهم المعارك كانت المعركة الفاصلة ضد قوات سومانجورو وتمكن في نهايتها من تحقيق نصر حاسم في معركة (كيرينا) Kirana وقتل الملك الأسطوري (سومانجورو) ملك الصوصو معلناً نفسه أنه ملك الماندنجو عام 1235م ([3]).

معركة كيرينا لم يرد ذكرها في الحوليات العربية لكتاب القرن الثالث عشر الميلادي فهي آخر معركة بين أسرة كيتا وملك الصوصو وفيها توحدت القبائل المالكنية في جيش واحد لهذا الأمر ، وقد ذكر جبريل نياني الكثير عن تفاصيل هذه المعركة ولكن الذي يهمنا إن ملك الصوصو حقق انتصاراً في بادئ الأمر لكن سرعان ما انقلب الأمر ضده عندما هربت زوجته شقيقة ماري جاطه التي تزوجته مكرهة وأفشت سره لأخيها بأنه كان يعتمد على السحر والتمائم بطوطمه ظفر "الديك الأبيض" ([4]).

---

[1]) حسن مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ، مرجع سابق ، ص 373 .
[2]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص142 – 143 .
[3]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص80 .
[4]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص43-44 .

وبهذه المعركة الفاصلة بزغ عصر جديد في تاريخ بلاد السودان الغربي وهو عصر مملكة مالي مما أتاح لماري جاطه التوسع شمالاً لتضم الأجزاء التابعة لمملكة غانا بأن يقيموا على أنقاضها مملكة عرفت باسم مالي أو ملي عام 1240م ([1]) وتذهب الروايات أنه أحجم عن فتح ولاته عند أطراف الصحراء الشمالية التي تعرف عند ابن بطوطة باسم (ايولاتن) ([2]). رعاية لحق من لاذ بها من العلماء والفقهاء والتجار هرباً من بطش ملك الصوصو الوثني ، وكان لهذا التصرف من ماري جاطه دلالات هامة أجملها شبو في الآتي :

أ) تجذر الإسلام وعمق أثره بالبلاد : فإذا كان عدد العلماء والفقهاء والدعاة بتلك الكثرة التي تلفت انتباه قائد فاتح تحركه الدوافع الإستراتيجية أكثر من أي دوافع أخري فلا شك أن الإسلام قد أنتشر إنتشاراً واسعاً .

ب) أكّد هذا التصرف ، إن ماري جاطه قد أصبح عاملاً فاعلاً في تحديد علاقات مملكة مالي* ورسم سياستها الداخلية والخارجية .

ج) كما دل أن الامتداد الطبيعي لمملكة مالي كان باتجاه الشمال وليس الجنوب كما كان الحال على أيام الممالك الإسلامية ، لعل جاطه مهتماً بالطرق التجارية ومراكزها لأن ولاته من المراكز الهامة على طريق القوافل القادمة من شمال أفريقيا ([3]).

ومن هنا ندرك إن ممتلكات غانا أصبحت ضمن نطاق مملكة مالي الإسلامية وظهرت مالي الكبرى تضم الأجزاء الشمالية إلي جانب الإقليم الجنوبي من مملكة كانجاب وبذلك تبوأ الماندنجو إدارة المنطقة بعد أن كانوا تابعين تحت إقليم كانجابا ([4]). أما عن حدودها في زمن الزعيم ماري جاطه كما ذكرها الوزان تمتد على طول فرع نهر النيجر على مساحة تبلغ 300 ميل وهي تتاخم المملكة السابقة من الشمال وتتاخم صحراء وجبال قاحلة من الجنوب وتحدها من الغرب غابات متوحشة تمتد حتى المحيط الأطلسي وتتاخم من الشرق أرض تشاد ويوجد في هذا القطر قرية كبيرة جداً تضم 6 ألف أسرة تدعي مالي ، ومنها جاء اسم بقية المملكة التي يقطنها الملك وحاشيته ([5]) أما القلقشندى فقد ذكر خمسة

---

[1]) أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص241 . جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص144 . جعفر خلف الله محمد شبو،مرجع سابق ، ص59 .

[2]) ابن بطوطة ، مصدر سابق ، ص244 الحاشية .

* استخدم الباحث جعفر خلف الله محمد شبو كلمة (دولة مالي) على عكس ما إستخدمه الباحث (مملكة مالي) .

[3]) جعفر محمد خلف الله شبو ، مرجع سابق ، ص58 – 59 .

[4]) الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية فى مواجهة التحديات الإستعمارية فى غرب أفريقيا ، مرجع سابق ، ص31 .

[5]) حسن الوزان ، ج 2 ، مصدر سابق ، ص 164 .

أقاليم مكونة لهذه المملكة ، وهي : إقليم مالي ، إقليم صوصو، إقليم بلاد غانا إقليم بلاد كوكو وإقليم بلاد تكرور ([1]).

ومن أهم أعمال ماري جاطه نقل العاصمة من كانجاب إلي نياني وذلك للأسباب الآتية ([2]):

أ) لم يكن الفاتح يشعر بالأمن بين أفراد عشيرته ذاتها في داكا ديالا .

ب) كان من الصعب الوصول إلى هذه المدينة المحصورة بين الجبال .

ج) يتميز موقع نياني بحصانته الطبيعية فهي تقع في سهل واسع محاذي لنهر سنكراني تحيط به نصف دائرة من المرتفعات بينها ممرات ويشرف عليها مرتفع صخري "نياني كورا" ، كما أن نهر سنكراني عميق وصالح للملاحة طول السنة .

د) متاخمتها للغابة مصدر للذهب والكولا وزيت النخيل .

وكذلك من أعماله بجانب التوسع العسكري الاهتمام بوضع دستور البلاد ، تقسيم المملكة إلى مقاطعات ، ولي عليها أقربائه وجعلها وراثية فيهم ، شجّع زراعة القطن وأهتم بالصناعة وكلف بها الأسري الذين وقعوا بيده أثناء الحرب ، أتبع سياسة الصداقة بين مختلف القبائل "القرابة الوهمية" بأن تزوج عدداً من نسائها ... كما جعل في بلاطه عدداً من الشعراء والأمراء يمثلون مختلف القبائل ([3]).

ثم توفي ماري جاطه في ظروف غامضة ، وهنالك اختلاف في سبب وفاته بين الكتاب ، منها : أنه مات دون قصد في احتفال ، وحتى الروايات الشفوية لا تبوح بموقع عظماء الماندنكو وهي تختلف في نهايته أو وفاته إلا أن القول الراجع أن وفاته كانت غرقاً في نهر السنكراني في ظروف غامضة ([4]).

وبعد وفاته سنة 1255م أصبحت مالي بالفعل أهمّ دولة ببلاد السودان الغربي ولكنها لم تبلغ أقصي اتساعها إلا في عهد السلطان منسي موسي حفيد ماري جاطه وأستمر خلفاء جاطه في توطيد أركان الدولة بتوسيع حدودها ، وقد امتدت مرحلة تأسيس مملكة مالي الإسلامية حتى نهاية القرن السابع الميلادي وتعاقب على الملك خلالها مجموعة من الملوك أشهرهم : منسي ولي بن ماري جاطه بتوليه تكون مالي قد قطعت صلتها بالتقليد السياسي

---

[1]) القلقشندي ، 1963، مصدر سابق ، ص282 – 287 .

[2]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص146 – 147 .

[3]) عبد الباقي محمد أحمد كبير ، مرجع سابق ، ص306 .

[4]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص149 .

الوثني الذي يجعل من أبن الأخت المرشح الوحيد لخلافة الملك بعد وفاته ([1]). وسنة تولي بن الأخت قديمة يمارسها جميع أهل السودان إذا هلك الملك أن يقعد بن أخته دون كل قريب أو حميم من ولد وأهل كما في النوبة والحبشة ([2]).

مالي في عهد منسا ولي : هو بن سندياتا كما سبق القول ، عرف بالتقوى والصلاح ، وكان حكمه أيام الطاهر بيربس صاحب مصر سنة 658هـ . تابعَ فتوحات والده في الجنوب وسيطر على بلاد الو نجارا الغنية بالذهب ومد نفوذه على مملكة صونغاي الناشئة في حوض نهر النيجر الأوسط . وأخذ رهينتين هما على كولن وسليمان نار أبناء ملك صونغي (ذا اليمن) المعاصر له حتى يضمن ولاءه له ([3]).

ومنسا ولي أسمه الحقيقي "أولين" فالعرب هم الذين أطلقوا عليه "علي" وتكتب "ولي" عند الباحثين ، وهو أول من أدخل لقب "منسي*" على ملوك مالي([4]). وامتدت فتوحاته أيضاً في بلاد التكرور والسنغال وغامبيا وأقام الماندنجو في هذه الحقبة مستعمرات استيطانية فيها ([5]).

مالي في عهد الملك ساكورة : جاء إلى الملك عام 1270م عندما تعرضت البلاد لفترة من الاضطرابات تتالي خلالها عدد من الملوك الضعاف كان منهم منسا واتي ثم منسي خليفة وهما أخوة منسا علي وكان منسا خليفة معتوها يسلي نفسه بإطلاق النبال على الناس فثار عليه شعبه وقتلوه ، ثم جاء من بعده أبوبكر وهو حفيد سندياتا ودام حكمه حتى عام 1285م حيث أغتصب الحكم ساكورة وهو أحد عبيد العائلة المالكة حكم حتى عام 1300م . ومن أعماله التوسعية غزو بلاد التكرور في السنغال ومنطقة وانقارة ومدينة غاو التي تقع علي نهر النيجر ، وقد تمتعت البلاد في عهده بشيء من الاستقرار والرخاء عاصر الملك الناصر محمد قلاوون سلطان المماليك . اغتيل في بلدة تاجورا الصومالية في القرن الأفريقي على يد أهالي الدنكل عند عودته من رحلة الحج ([6]).

---

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص60 .

[2]) أبن حوقل ، مصدر سابق ، ص61 .

[3]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص60 . الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص36 .

* منسي : تكتب أيضاً (منسا) وتعني السلطان .

[4]) محمد على فاضل باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص80 .

[5]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص157 .

[6]) محمد فاضل على باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص80 – 81 . الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع السابق ، ص26 – 27 . جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص157 – 158 .

مالي في عهد منسا موسي : في عهده عادت السلطة مرة أخري إلى أسرة كيتا بعد وفاة ساكورة وهو منسا موسي بن بكر بن سالم بن أخت ماري جاطه ، قبل وصوله السلطة بعد وفاة ساكورة حدث فراغ سياسي كبير في المنطقة ترتب عليه تولي ملوك ضعاف لم يكن لهم تاريخ يذكر . فبقيت المنطقة سبع سنوات تعاني من الفراغ السياسي إلى أن تولي مقاليد الأمور سلطان منسي موسي 1312 – 1337م ، بلغت مالي في عهده أوجّ مجدها سياسياً وإقتصادياً وإجتماعياً وارتبطت بعلاقات سياسية واقتصادية ودينية مع المغرب الأقصى في عهد المرينين مع أبي الحسن المريني ([1]) ومن جاء بعده وبعلاقات ثقافية واقتصادية مع تلمسان وتوات وغدامس وطرابلس وجبل نفوسا وفأس وسلجماسة ومراكش([2]).

في عهده أصبحت مالي إمبراطورية واسعة الأتساع مترامية الأطراف تمتد من غاو في الشرق إلى المحيط الأطلسي بالغرب مروراً بمدينتي تمبكتو وجني ومنطقة فوتا جالون * في الشمال امتدت مالي داخل الصحراء مستولية على مناجم الملح والنحاس وصولاً حتى ولاتة * ، أما في الجنوب فقد لامست مالي حدود نيجيريا وما يسمي اليوم بدولة بنين وبهذا تكون دخلت إقليم زاغا في بلاد التكرور وسلي في عصمته ، إضافة إلى استعادة مملكة صنقي التي شقت عصا الطاعة وأخذ منها رهائن وهم أبناء الملك. ويعرف منسي موسي باسم كنكن أو كونكور موسي نسبة لأمه ([3]).

وقد سأل الأمير أبو الحسن علي والي مصر زمن الناصر بن قلاوون منسي موسي ... عن سبب انتقال الملك إليه فأجابه "إن الذي قبلي كان يظن إن البحر المحيط له غاية تدرك فجهز السفن وشحنها بالرجال والأزواد* التي تكفيهم سنين وأمرهم أن لا يرجعوا حتى يبلغوا نهايته أو تنفذ أزوداهم فغابوا مدة طويلة ثم عادت معهم سفينة واحدة فقرر السلطان أن يغزو البحر بنفسه فجهز ألفي سفينة : ألف للرجال وألف للأزواد واستخلفني وسافر وكان ذلك آخر العهد به وبمن معه "([4]).يبدو إن هذه القصة بها الكثير من المبالغة

---

[1]) عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلى اليوم ، المجلد السابع ، عهد بني مرين والوطاسين ، مطابع فضالة المحمدية ، 1986م ، ص40 – 41 .

[2]) الهادي مبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص37 . جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص158 . جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص63-64 .

* فوتا جالون : تقع الآن في غينيا كونا كري .

* ولاته : تقع اليوم في موريتانيا

[3]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص64 ، محمد فاضل باري وسعيد كردية، مرجع السابق ، ص81 . السعدي ، مرجع سابق ، ص

* الأزواد : جمع زاد وهو ما يحمله المسافرون من أكل وشرب .

[4]) القلقشندى ، 1963، مصدر سابق، ص295 . جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص64 . محمد على فاضل باري وسعيد كردية مرجع سابق ، ص83 .

كذلك فتح منسي موسي مدينة تمبكتو وقد رحب به العلماء وسكانها واعتبروه بطلاً مخّلصاً لهم من تعسف ملوك الصنقي . أما جني فقد تمتعت باستقلالها رغم قربها من نياني عاصمة الدولة ، وقد أثار هذا الأمر دهشة بعض المؤرخين خاصة الأوربيين ومنهم من علل ذلك بحصانة المدينة واستماتة أهلها في الدفاع عنها . لكن الباحث شبو يري غير ذلك فيقول "أهل جني هم من قبائل الماندنجو الذين أسسوا مالي وقدموا مساعدة مشروطة بالسماح لهم بنوع من الاستقلال الذاتي ... وعدم الاستيلاء عليها يدل على قوة الحلف الذي ربط مختلف جماعة الماندنجو وقد تواترت الروايات إن أهل جني كانوا شديدي التدين وتكثر لديهم المساجد ويفشو في بلادهم الآذان والقرآن وبالتالي لم يكن لسلاطين مالي ما يدعوهم لغزو جني " ([1]) .

خلاصة القول ، إن فترة منسي موسي كانت من أعظم فترات الإمبراطورية في كل المجالات . وكانت المملكة عبارة عن شكل مربع الشكل يبلغ طولها مسيرة أربعة شهور وعرضها مثل ذلك ، وروي عن بن سعيد الدكالي التاجر العربي المشهور الذي أقام في مالي أكثر من 35 عاماً "إن مملكة مالي ضمت 14 إقليماً كلها مأهولة بالسكان"([2]).

مالي في عهد منسا سليمان :

توفي منسي موسي عام 1337م وخلفه ابنه مغان الأول الذي كان ولي العهد خلال وجود والده في مكة ودام حكمه حتى عام 1341 وكان مغان عديم الخبرة والتبصر وفى عهده عادت الفرقة للبلاد وبدأ الضعف يدب فيها ، وذلك بكثرة الفتن الداخلية واختلال الأمن وعدم الموالاة للسلطان ، كما شهدت البلاد مرحلة من الانهيار يضاف إليها هجمات القبائل المجاورة والتي شكلت خطراً حقيقياً على استقرار الإمبراطورية فقد قامت قبائل الموسى جنوب مالي بالغزو والتخريب حتى وصلت إلى تمبكتو فأحرقتها وأبادت حاميتها من الماندينغ ([3]).

وبهذا تمكن منسي سليمان من تولي السلطة وهو أخ منسي موسي وعم مغان الأول ودام حكمه حتى عام 1360م ، وتميّز بالتقوى والصلاح ، استطاع أن يعيد معظم البقاع التي خرجت عن طاعة المملكة ومع ذلك فشل في استعادة مدينة غاو . أما على الصعيد الخارجي فقد أقام علاقات ودية مع سلاطين المغرب وفى عام 1353م زار الرحالة العربي

---

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص66 .
[2]) القلقشندى ، 1963 ، مصدر سابق ، ص282 .
[3]) محمد فاضل على باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص85 .

المشهور ابن بطوطة بلاده ([1]) وفى عهده أخذ أبناء ملك صونغي رهائن وهما على كولن وسليمان نار للخدمة عنده([2]) أدركته المنية دون أن يكمل طموحاته التي وضعها نصب عينه فمات بعد أن حكم تسع عشر سنة 1360 – 1379م ([3]).

[1]) محمد فاضل على باري وسعيد كردية ، مرجع سابق ، ص85. إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص94 ، 96 . أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص246 .

[2]) السعدي ، مصدر سابق ، ص5 – 6 .

[3]) الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع السابق ، ص38 .

الفصل الثاني

دور الثقافة الاسلامية في بناء مجتمع مملكة مالي

مدخل (1) الديانة التقليدية والقابلية للإسلام

يمكن القول علي وجه الإجمال إن قبل إنتشار الإسلام في مملكة مالي عموماً وإفريقيا خصوصاً إن البؤرة التي تمركزت فيها ثقافات بلاد السودان الغربي قبل الإسلام هي الدين فما من نظام يشاهد بين قبائل إفريقية سواء كان اجتماعياً او افتصادياً او سياسياً إلا وهو يرتكز علي فكرة دينية.([1])

اما فيما يختص بنشاة الاديان الإفريقية القديمة فهناك مذهبان الأول يري إنها نبعت من الأرض([2]) والجماعة التى تعيش على تلك الأرض بدليل أن طقوس هذه الأديان تتمثل فى تقديس ظواهر الطبيعة المختلفة كالرعد والبرق والكواكب وتقديس أرواح الأسلاف والإعتقاد فى وجود كائن أعلي مجهول يتقرّب إليه بعبادة الأنصاب والتماثيل والحيوانات([3]). اما المذهب الثاني يري: أن الأديان التقليدية ما هي الا إمتداد للأديان السماوية وقد وردت شواهد تؤكد ذلك منها ([4]).

هذه الأديان لا تزال تمارس بواسطة أفراد موجودين اليوم بالتبعية لأبائهم وأجدادهم وتمثل بالنسبة لهم رابطة بين الماضي والحاضر والأبدي ، و هنالك بعض المحاولات لاحيائها حتي بين الذين دخلوا في الأسلام والمسيحية علي حدٍ سواء، بإعتبارها جزءاً من الأصالة الإفريقية.([5])

وتكمن أهمية الوقوف علي بعض المعتقدات الأرواحية في انه يساعد علي فهم علقية المسلم في (منطقة الدراسة) وتعليل بعض موافقه وتصرفاته التي قد تتنافي مع مبادئ الإسلام ، فهي مواقف وتصرفات يستغربها من يجهل حقائق إجتماعية وتاريخية كانت خلفية لها .([6])

---

[1]) مهدي ساتي صالح، الاسلام وتداخل الثقافات في السنغال ، مرجع سابق، ص63. لمعرفة اثر الاديان التقلدية علي مجالات الحياة المختلفة انظر مهدي ساتي صالح وآخرون ، من حضارات افريقية القديمة ، دار السداد للطباعة ، 2009م، ص37-45

[2]) كلود فونية ، إفريقيا للافريقين ، ترجمة احمد كمال يونس ، دار المعارف ، القاهرة ، 1987م ، ص65ومابعدها.

[3]) عبد العزيز كامل ، جغرافية الإسلام في إفريقيا ، دار النشر العربي ، القاهرة ، 1968م ، ص 3-7 عبد اللطيف البوني ، الأديان التقليدية في أفريقيا ، مشروع رؤية إسلامية ، أوراق قدمت في مؤتمر الإسلام في أفريقيا ، تحرير مدثر عبد الرحيم ، وتجاني عبد القادر ، الخرطوم ، 1992م ، ص44 . عبد اللطيف البوني ، (الدين والمجتمع عامل تقسيم أم تكامل) ، مجلة دراسات أفريقية ، العد 11 ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، 1999م ، ص 114

[4]) جاك مندسون ، الرب والله.وجوجو ، ترجمة ابراهيم اسعد محمد ،دار المعارف المصرية ، القاهرة ، 1971م ، ص9

[5]) حورية توفيق مجاهد ، الإسلام في إفريقيا (واقع المسيحية والديانة التقليدية) ، مكتبة الانجلو المصرية ، 2002م ، 49

[6]) عبد القادر محمد سيلا ، السلمون في السنغال معالم الحاضرة وافاق المستقبل ، ط1، دار القلم للطباعة والنشر ، الكويت ، 1986م ، ص 37

تعددت تسميات هذه الديانة وتباينت بين مصطلح الفتشية Fetshism الذي استعمله البرتغاليون الأوائل فى وصف الديانات الأفريقية التقليدية ثم بعد أربعة قرون تقريباً من ذلك ظهر مصطلح (الأرواحية) أو الإحيائية Anismism لأول مرة فى أبحاث أدوارد تايلور عندما كتب عن البدائية فأصبحت الكلمة تعني (الإعتقاد فى كائنات روحية لا حصر لها تؤثر نفعاً وضراً فى شئون البشر) وعلى وجه العموم ظلت ديانة أفريقيا القديمة يشار اليها بالديانات البدائية ثم أسغني عن هذا المصطلح للدلالة الدونية بإستبداله بكلمة أكثر إعتدالاً وهي الديانات التقليدية ([1]) ،

قامت فكرة هذا الدين التقليدي على دعائم ومرتكزات تقوم على الإعتقاد فى وجود إله ثانٍ خالق للكون بعيد له أسماء حسني تدل على عظمته وقداسته و لبعده أنابت عنه عدداً من الآلهة الصغري ويتم إرضاءه عن طريق تقديم القرابين والعطايا وإيفاء النذور جلباً للمصلحة ودرءاً للشرو([2]).

إذاً النظرة الأفريقية التقليدية للكون نظرة شمولية تجمع بين سائر الكائنات الأحياء منها والأموات لان كل شيء بالروح والتي منها جاءت فكرة الاسلاف التي وصفها سنجور* بإنها وجدان عالم لا معقول يربط الإنسان الأفريقي بأخيه الإنسان من جهة وبالله من جهة أخري بواسطة أرواح الأسلاف ([3]).وظاهرة الأسلاف هي قديمة ليست افريقية فقط ([4]) . فجميع الاديان الافريقية تعتقد فيما وراء الموتي بشكل أو باخر. ([5])

ولهذه الديانة او الثقافة الاحيائية التقليدية وسائل تعليم وخصائص ومميزات منها([6]).

1. مقومات الثقافة الإحيائية : "الإعتقاد فى إله الخالق الأوحد ، الإعتقاد فى الأرواح عبادة الأسلاف ، الحياة بعد الموت ، السحر" .
2. وسائل تعليم القيم التقليدية الوثنية :" التعليم بالتثاقف ، التعليم بالتنشئة" .

---

[1]) مهدي ساتي صالح ، الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال ، مرجع سابق ص 49 ، انظر : قنسان مونتاني ، الاسلام في إفريقيا السوداء، ترجمة الياس حنا الياس ،ط1، أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983م ، ص40.

[2]) مهدي ساتي ، الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال ، مرجع سابق ، ص 50 .

* سنجور شاعر وكاتب سنغالي وكان رئيس للسنغال بعد الاستقلال

[3]) مهدي ساتي ، الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال ، مرجع سابق ، ص 50 .

[4]) للمزيد عن هذه الظاهرة في المجتمعات الاخري. انظر: إيناكورين براون ،الملونون،مطبعة المعرفة،(بدون تاريخ) ، ص 33- 34

[5]) جاك مندلسون ، مرجع سابق ، ص 9 . انظر : سعد زغلول نصار ، دفاع عن أفريقيا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، (بدون تاريخ) ، ص 127 . حيث أورد قصيدة توضح مكانة الموتى عند الإفريقي الوثني .

[6]) مهدي ساتي صالح ، الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال ، مرجع سابق ، ص 50 ، 57 ، 68 . أنظر (مهدي ساتي صالح ، الإسلام والقيم الاجتماعية الأرواحية في أفريقيا جنوب الصحراء) ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد38 ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، 2007 ، ص91 . أنظر.شيخ صمب ، مرجع سابق ، 392 – 393.

3. خصائص ومميزات الثقافة التقليدية : "الوثنية الروحية ، الدينية ، الجماعية الشمولية ، السلطوية ، التعسفية ، الترخص فى بعض المسائل الإجتماعية ".

كما لها الكثير من الانماط وتعدد الاسماء تتوزع في غرب افريقيا والسودان الاوسط (1) والسودان الشرقي ([1]). لكن الملاحظ انها تتركزبشكل اكبر فى مناطق الأدغال فى الغرب والوسط والجنوب (3).لكن رغم ذلك كانت الفكرة السائدة الى عصر غير بعيد عند ديانة الأفريقيين فكرة مشوهة ، وسطحية ([2])

لذا لم يسجل التاريخ وجود أي إلحاد فى أفريقيا ([3]) لذا إعتقاد الأفريقيين فى وجود خالق للكون من شأنه أن يسهل تقبلهم للعقيدة الإسلامية فهم لا يجدون أي صعوبة فى التسليم بفكرة التوحيد ، وقد لاحظ الباحثون الأوربيون سرعة الأفريقيين فى تجاوبهم مع العقيدة الإسلامية فى مقارنتها مع العقيدة المسيحية ، وفى ذلك يقول مارتي "إن الإعتقاد بالله يتماشي مع عقيدة الوثنية وهي أنه يوجد خالق أعظم للوجود ينعم بالقوة الحيوية على جميع مخلوقاته" ، ويقول أيضاً ديشان فى تفسيره لسرعة إنتشار الإسلام فى أفريقيا " ... هذا الى أن عقيدة التوحيد التي جاء بها الإسلام لم تكن غريبة عليهم بل كانت تتماشي مع عقيدتهم القديمة بوجود إله خالق" ، وقد كان من نتائج شعور الأفريقيين بأن فكرة التوحيد الإسلامية مطابقة لفكرتهم السابقة عن الإله الخالق إنهم مازالوا فى كثير من المجتمعات التي إعتنقت الإسلام يستعملون نفس الألفاظ التي كانوا يطلقونها من قبل عن الإله الخالق كمقابل لكلمة الله العربية ([4]).

---

1) شيخ صمب ، مرجع سابق ، ص 388 – 391 .. قنسان مونتاني ، مرجع سابق ، ص 45. سعد زغلول نصار ، مرجع سابق ، ص 108 ، 111 ، 114 ، 116 ، 121 ، 127 .

[2]) عون الشريف قاسم (حول الأديان في أفريقيا) ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد 11 ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، 1994م ، ص40. أمباي لو بشير ،قضايا اللغة والدين والأدب ، جامعة أفريقيا العالمية للطباعة والنشر ، الخرطوم 1995 ، ص 26 – 27. شوقي عطا الله الجمل وعبد الله عبد الرازق ، مرجع سابق ، ص ، 9 ، 10 ، 14

3) محمد عبد العزيز إسحق ، نهضة أفريقيا ، تقديم عبد الملك عودة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، 1971م ، ص33

[4]) محمود سلام زناتي ،الإسلام والتقاليد القبلية في افريقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،لبنان،1969، ص 193 .

[5]) عبد اللطيف البونى ، الدين والمجتمع عامل تقسيم أم تكامل ، مرجع سابق ، ص 123

[6]) محمود سلام زناتي ، مرجع سابق ، 195 – 196 .

مدخل 2) : وسائل إنتشار الإسلام فى غرب أفريقيا:

تعددت وسائل إنتشار الإسلام في إفريقيا (وغربها) وما يلاحظ هو كثرة الوسائل التي إنتشر بها الإسلام وتعددها فقد تمثلت فيها كل الوسائل تقريباً بشكل لا تشاركها فيها منطقة اخري في العالم تقريباً. ([1]) الأمر الذي يدعو إلي إعادة التفكيروالتقيم لأطوار و مراحل إنتشار الإسلام ومساهمات العلماء والتجار في نشر الإسلام وإندماجهم في المجتمعات الافريقية .([2]) إن دخول الإسلام لغرب إفريقيا يؤرخ لدخول الكامل لسكان شمال إفريقيا والصحراء. لقد لعب علماء الخوارج والتجار وخاصة طائفة الإباضية دوراً رئيساً في العملية بفترة تسبق فترة المسلمين السنة، لقد سهل إنتشار الإسلام لظهور المستوطنات التجارية علي طول طريق التجارة في الساحل والصحراء . ولقد ظهر الإسلام ولكن ليس كحدود متحركة تمثل الإعتناق الجماعي في منطقة متصلة ولكن كان علي شكل سلسلة مقاطعات حضرية في المراكز التجارية والسلطة السياسية التي كانت بمثابة مناطق حضارية تعزز إنتشار الإسلام([3])

ويمكن تقسيم توغل النفوذ الإسلامي إلي غرب إفريقيا الي ثلاثة مراحل هي :.

المرحلة الاولي :. مرحلة ما قبل الفتح المرابطي . وهي إلتي يغلب عليها الإحتكاك السلمي وكان تجار البربر دعامته .

ب/ المرحلة الثانية :. مرحلة ما بعد الفتح المرابطي . الذين أعطوا النفوذ الإسلامي المتنامي ثقافياً واقتصادياً سنداً سياسياً.

ج / المرحلة الثالثة :ـ تجمع بين السلم والجهاد وتربط بالدعوة للعقيدة الإسلامية وتعميق مفاهيمها بين المواطنين . وفي هذه المرحلة انتقلت الزعامة الدينية والقيادة السياسية والاقتصادية والريادة الثقافية الي السكان الوطنيين من (السودان) بعد أن تشبعوا بروح

---

[1]) عبد العزيز بن راشد العبيدي ،(وسائل انتشار الاسلام في افريقيا) مجلة دراسات إفريقية، العدد 6 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم (1990م) ، ص37

[2]) حسين احمد ،،(إنتشار الاسلام في افريقيا دور العلماء والتجار) ، مجلدات الإسلام في أفريقيا ، الكتاب الرابع ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2006م. ص 101

[3]) للمزيد عن دور التجار في نشر الاسلام في غرب افريقيا انظر: نبيلة حسن محمد ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الازبطية (بدون تاريخ) ، ص 211 .يسري الجوهري وآخرون ، جغرافية العالم الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية 1992م ، ص 285 . د. عمر أحمد سعيد ،(انتشار الإسلام في إفريقيا بين السيف والقلم) مجلدات الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الحادي عشر، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، 2006م ، ص 327 . عثمان عبد الجبار عثمان ، السنوسية ودورها الديني والسياسي في السودان الأوسط ، المرجع السابق ، ص 175 .إسماعيل أحمد باغي ومحمود شاكر ، تاريخ العالم الإسلامي الحديث والمعاصر في الفترة من 1492م – 1980م ، دار المريخ للنشر ، الرياض 1980م ، ص 39 .أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 204 – 205 .

الإسلام واقترنت هذه المرحلة بقيام عدد من الممالك الإسلامية السودانية (مالي , صنقي ، امارات الهوسا) تعاقبت علي حكم المنطقة بين القرن الثالث عشر والسابع عشر([1]).

الفقرة (ج) الحديث والجدل والاراء حولها كثيرة([2]) إن المرابطون لم يكن غرضهم نشر الإسلام فقط بل إقامة مجتمع إسلامي كامل، ولعل كلمة (الجهاد) التي إستخدموها هي التي شوشت علي الباحثون لان الجهاد لا يكون إلا مع الكفار لذا اعتبر اهل المنطقة كفار ([3])

العلاقات و الصلات الإنسانية والهجرات العربية بين بلاد السودان الغربي والشمال الأفريقي والشرق العربي قديمة الأمر الذي ساعد كثيراً على تسهيل وصول الدعوة الإسلامية فى وقت مبكر وربما منذ القرن الأول الهجري فالعروبة أسبق من الإسلام فى تلك المناطق من غرب إفريقيا ([4]).

أورد البكري "إن الأمويين أرسلوا فى صدر الإسلام بعثة أو جيشاً إلى غانا لهم ذرية تسمي بالهنيهين" وبهذه الحملة جاء الإسلام ، ثم عن طريق التجارة والهجرات العربية إلى هذه المنطقة الى أن إنتشر فى كل قرية ومدينة([5]) .

حديثاً هنالك إكتشافات علمية في المنطقة تؤكد أن الوجود الإسلامي في غرب إفريقيا يعود الي أزمنة قديمة جداً قبل المرابطين بمئات السنين . ففي بداية التسعينات من هذا القرن وقع إكتشاف ثلاثة مقابرفي شمال مالي يعود تاريخها الي 407هـ 1017م وهي في المناطق الاتية (السوق ، ساني ، ايغفين توقست) وقد وجد في جميعها كتابات منقوشة علي الحجر المرمر * تبين إسم المتوفي وعائلته وجنسه وتاريخ وفاته ([6]) لكن هذا لايعني إن ليس للمرابطين دور في نشر الاسلام في المنطقة بل هنالك كتب ورسائل جامعية كثيرة كتبت توضح ماقاموا به من جهود في سبيل نشر الإسلام والثقافة الإسلامية في غرب إفريقيا.

أما وسائل إنتشار الإسلام فى أفريقيا عامة وغرب أفريقيا خاصة يمكن إجمالها فى الآتي ([7]):

---

[1]) يوسف فضل حسن ، الجذور التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع منتدي الفكر العربي، ط1، بيروت 1984م ، ص40 .

[2]) الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص13 .

[3]) الحسن سعيد جالو ،،،(الاسلام في افريقيا نهاية المرحلة ام بداية لمراحل اخري اكثر تطوراً) ، مجلدات الإسلام في أفريقيا ، الكتاب الخامس ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2006م. ص 232233

[4]) النقد الذي وجه إلي الباحثين انظر:الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص13

[5]) البكري ، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب ، مصدر سابق ، ص179

* الصخور الصلبة.

[6]) للمعرفة نتائج هذه الاكتشافات التي قرنت مع الاحتمالات انظر: الحسن سعيد جالو ، مرجع سابق ، ص233-234

[7]) حسن عابدين والسر سيد أحمد العراقي ، معالم التاريخ الأفريقي ، ط1 ، الطابعون المؤسسة العامة لمطابع التربية ، الناشرون دار النشر التربوي ، السودان ، 1976م ، ص 30 – 31 . مهدي ساتي صالح ، مع الإسلام والثقافة العربية في السنغال، مرجع سابق ، ص 18 – 24 .

أولاً : كان الطابع الأساسي فى نشر الدعوة الإسلامية هو السلم والإقناع مما جعل الأفريقيين يقبلون على إعتناق الإسلام إقبالاً شديداً ، فلم يشهر حملة لواء الإسلام والدعوة له السيف إلا فى الحالات الدفاعية ونشط الدعاء والتجار المسلمين فى نشر الإسلام وإلتفوا حول الملوك وحببوا الدين إليهم وشرحوا لهم أحكامه ، فمثلاُ كان فى حاشية ملوك غانا ومالي عدد كبير من العلماء .

ثانياً : الإندماج والمصاهرة التي تمت بين التجار والدعاة المسلمين من العرب والبربر من جهة ، وبين الأفريقيين الوثنيين من جهة أخري ... وبهذه الطريقة الهادئة دخل الأمراء ورؤساء القبائل فى الإسلام وتحمسوا بدورهم لنشر الدعوة بين الجيران الوثنيين .

ثالثاً : سهولة الإسلام نفسه ، حيث أنه دين فطرة سهل التناول لا لبس فيه ولا غموض ولاتعقيد ولم ترتبط به صور مقدسة أو أيقونات* ، فهو لا يطلب من الشخص لإعلان إسلامه أكثر من النطق بالشهادتين ، ثم إن فكرة التوحيد التي جاء بها الإسلام لم تكن غريبة عن الأفريقيين الوثنيين إذ كانوا في وثنيتهم وإن تعددت آلهتهم يعتقدون فى وجود اله أعظم خالق للكون .

رابعاً : لعل ما يميز طبيعة الإسلام ويفسّر سرعة قبوله والتحمس له أنه جاء أفريقيا وأهلها سادة فى بلادهم يتمتعون بكامل حريتهم وسيادتهم وإستقلالهم ويمارسون حكوماتهم وينظمون شئونهم الخاصة في مجتمعاتهم وفق تقاليدهم ، ولم يكن للدعاة والمسلمين من العرب والبربر والأفارقة أنفسهم اي قسط من السيطرة عليهم ، كما لم يلجأوا الى وسائل الإغراء المادية ، وكان للوثني كامل الحرية أن يختار بين الرفض والقبول ، حتي شعر الأفارقة بالأخوة مع الدعاة المسلمين ، ولذا تقبلوا الإسلام وتحمسوا له وقاموا بدورهم بنشره ، ومعني هذا إن الإسلام لم يعمل علي تدمير النظم المحلية بل إنّ الوطنيين أنفسهم هم الذين إختاروا الصورة الجديدة للحياة بمحض إختيارهم ، ومن أجل هذا نظر السود إلى الإسلام أنه دين السود.

خامساً : إحترام الدعاة المسلمين للعادات والتقاليد ولم يحتقروها وهذا أحد أسباب نجاحهم ووضح أثر الإسلام عن مختلف القبائل من ناحية الإصلاح والتهذيب والتقريب بين القبائل المتناحرة ، وكان لعلماء الدين مكانة سامية فى نظر شعوب تلك البلاد .

الهادي المبروك الدالي ، الإسلام و اللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع السابق ، ص 14 – 16 . محمد موسي البر ، الإسلام والمسلمين في أفريقيا ، مرجع السابق .

* الأيقونات : هي صورة السيد المسيح والعذراء والقديسين التي ظهرت في الدولة البيزنطية 1453م وقد احتلت هذه الصورة مكانة خاصة في العبادة .

سادساً : وضع الإسلام الأسس والمبادئ العامة التي تمجد المثل العليا والآداب الراقية ووضع أسس الحرية للأخاء والمساواة والتسامح الديني .

سابعاً : نشاط الطرق الصوفية والتجار والمعلمين والدعاة كان يقوم فى الغالب على الإرشاد ويعتمد على إنتشار التعليم الإسلامي وإستخدام كل وسائل الترغيب فى نشر الدعوة الى الإسلام رغبة فى نشر الدين الإسلامي إبتغاء مرضات الله وحسن الثواب فى الآخرة وهداية الناس وذلك بتأسيس المساجد وفتح المدارس والمصاهرة مع أهالي البلاد التى يترددن عليها أو يستوطنوها أو بشراء العبيد لتعليمهم الدين الحنيف .

مدخل (3) الإسلام في مملكة مالي

يحيط الغموض بتاريخ مالي المبكر قبل قيام إلامبراطورية بأنها في النصف الأول من القرن السابع الهجري،الثالث عشرالميلادي لأن معظم ما كتبته المصادر العربية عن مالي تتناول الفترة التالية لقيام الإمبراطورية ولا توجد إلا أشارات قليلة في الفترة السابقة لذا أقدم نص عن دخول الإسلام في مملكة مالي ما ذكره البكري عن إسلام ملكها المسماني[*] الذي أعتنق الإسلام علي يد أحد الفقهاء[1] ولعل قصة أسلامه ظريفة بعض الشئ، أصاب الجدب والقحط والجفاف مملكته وعندما أشتكى الي هذا الفقيه الذي كان يقرأ القرآن تفاوض معه بأن يسلم ويحسن أسلامه وعلمه مبادئ الإسلام وما يجب القيام به من دعاء وصلاة وتوسل إلي الله سبحانه وتعالى للدفع هذا البلاء وإنزال المطر وبالفعل عندما حل الصباح في ليلة توجههم إلي الله سبحانه وتعالى عمت السقيا، فأمر الملك بكسر الدكاكير أي الأصنام وأخرج السحرة من بلاده وصح أسلامه وأسلم عقبه وخاصته، وأهل مملكته كانوا مشركين فسموا ملكهم من ذلك الوقت بالمسلماني[1] .

ويفهم من ما أورده البكري أن الدعوة للإسلام كانت قائمة في مالي قبل إسلام ملكها وكان الفقهاء يقومون بالتدريس لأن الرجل الذي أسلم الملك علي يده كان يقرأ القرآن ويعلم السنة[2] .

واعتماداً علي ما ذكره يكون الإسلام قد دخل مالي قبل القرن الخامس الهجري، الحادي عشر الميلادي ، وإذا رجعنا إلي ما ذكره يؤكد أن أهل مالي كانوا أول من دان

---

*) أحد ملوك مالي .

1) إبراهيم طرخان ، دولة مالي ، مرجع سابق ، ص 50 – 51 .

1) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 50 – 51 .

2) أحمد الباس حسين ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن 16 ، مرجع لسابق ، ص 194

بالإسلام، وأتضح أن المعلومات التي أعتمد عليها (ليوالافريقي) تّرجح دخول الإسلام في مملكة مالي الي وقت مبكر يمكن اعتباره معاصراً لدخوله في منطقتي غانا ونهر السنغال[3] .

إذاً كان منتصف القرن الحادي عشر الميلادي هو أعتناق ملوك الماندنجو في كانجابا الإسلام[4] لذا عرفت مملكة مالي الإسلام كغيرها من بلاد غرب إفريقيا قبل حركة المرابطين الذين لم يكونوا هم فقط الذين أدخلوا إليها الإسلام، فكان فيها التجار والدعاة لكن خلال حركتهم زاد عدد الداخلين في العقيدة الإسلامية بفضلهم من غير شك .

ويدل علي قدم الإسلام في مالي ما ذكره ابن خلدون من أن أهل مالي كانوا مسلمين قبل انهيار غانا، وأعتنق ملوكهم الإسلام وأول من أسلم منهم ملك أسمه برامندا الذي حج إلي بيت الله الحرام عام 1050م[5]. وكان الماندنجو أكثر شعوب غرب إفريقيا تمسكاً بالإسلام بل قاموا بنشره بين بلاد الهوسا[6].

دور ملوك مالي في نشر الإسلام وثقافته

أبدي ملوك مالي شأنهم كملوك السودان الغربي أهتماماً كبيراً بالجوانب الفكرية شأنهم في ذلك شأن خلفاء وأئمة العالم الإسلامي ، خاصةالذين زارو أمصار العالم الإسلامي الكبرى في طريقهم الي الحج إذ عايش هؤلاء الملوك الحضارة الإسلامية وتلمسو المدى الذي وصلته فكان طبيعياً أن يجاهدوا في هذا الميدان لتحقيق الصحوة الإسلامية والرقي في ممالكهم [1] .

وأدى تشجيع ملوك مالي والسودان للثقافة وأحترامهم للعلم والعلماء الي ظهور الكثير من المدارس التي تخرج منها جيل من العلماء قادوا النهضة الفكرية وتركوا تراثاً ضخماً من أعمالهم التي لا يزال الجزء الأكبر منها محفوظاً في مكتبات ودور الوثائق [2]

ومن هؤلاء الملوك:الملك سندياتا: او (ماري جاطة) ومعناها أمير(جاطة أي الأسد الأمير أو الأسد الشجاع[3] حقق انتصارات باهرة ومد إمبراطوريته من جبال الأطلس غرباً الي بلاد الهوسا شرقا ومن المحيط الأطلسي جنوبا إلي الصحراء الكبرى شمالاً ، حج شكراً لله علي

---

[3] نفس المرجع ،نفس الصفحة

[4] حسن إبراهيم حسن ، مرجع السابق ، ص 103 .

[5] أحمد الياس حسين ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن 16 ، مرجع سابق ، ص 195

[6] إبراهيم طرخان ، دولة مالي ، المرجع السابق ، ص 53 – 55 .

[1] أحمد الياس ، الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن 16، مرجع سابق ، ص 208 .

[2] نفس المرجع ، ص 209 .

[3] عبد الرحمن زكي ، مرجع سابق ، ص 101 – 102 .

أعانته له في الفتوحات، وأستقدم العلماء في ظل الدولة الجديدة علي نشر العلم والعلماء[4]. كان عظيم الاهتمام بإدخال كل رعاياه في الإسلام وحاول إدخال فرع الونجارا أكبر فروع المادنجو للإسلام[5]

الملك منساولي 1255 – 1370م[6]:

هو ابن ماري جاطه وكلمة ولي معناها (علي) وينعت باسم (السلطان الأحمر) أي الأبيض[7] جلس علي العرش بعد وفاة أبيه ، فهو سلطان عظيم محب للسلم ، عرف بالتقوى والصلاح ، قام بتأدية فريضة الحج عبر مصر في أيام السلطان الظاهر بيربس الملوكي ،وفي ظل حكمه أنتشر الرخاء في مالي وحافظت البلاد علي رقعتها وعمها الهدوء وشملها الرقي[8]

منسا موسى :هو من أعظم سلاطين مالي وابرز شخصية تاريخية في أسرة كيتا[9] ففي عهده زاد الإسلام رسوخاً، كان محبوباً عند عموم المسلمين وعلمائهم الذين وجدوا التشجيع منه مما كان له أثراً كبيراً في انتشار الإسلام في مملكته[10] .

وهو صاحب الرحلة الشهيرة للحج، في عهده اتجهت عناية مالي لنشر الإسلام حتى غمر أكثر بلاد نيجيريا وأصبح أهل يوربا يدعون الإسلام بدين مالي حتي العهد الحاضر ويقرر تريمنجهام (Trimingham) أن منسا موسي صبغ مالي بصبغة إسلامية واضحة بما شيد بها من مساجد، وبالاحتفالات الباهرة في المناسبات الإسلامية المختلفة، وبرعايته للعلم والعلماء ، وأنشأ الكثير من المساجد والمدارس[1] .

وكانت أرض المملكة شاسعة عندما تولي منسا موسي الحكم فأدخل أهلها في دين الإسلام وقام بعد ذلك بتشييد المساجد ذات المآذن الشامخة التي يجتمع فيها الناس للعبادات والاحتفالات وأستقدم العلماء من المذهب المالكي الي بلاده لاستشارتهم في أمور الدين

---

[4] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 244 – 245 ، زاهر رياض ، مرجع سابق ، ص 116 .
[5] حسن مؤنس ،أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص 273 .
[6] عبد الرحمن زكي ، مرجع سابق ، ص 103 .
[7] إبراهيم علي طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 63 .
[8] عبد الرحمن زكي ، مرجع السابق ، ص 103 – 104. إبراهيم طرفان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 63 .
[9] إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص71 .
[10] عثمان برايماباري ، مرجع سابق ، ص 39 .
[1] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 246 ، زاهر رياض ، مرجع سابق ، ص 117 .

والدنيا وهو من المتشبثين بالعلوم الإسلامية والثقافية العربية[2] . وكان عادلاً في توزيع الخيرات بين مواطنيه، ومحباً للسلم و مجاهداً في سبيل الإسلام ومصلحاً كبيراً [3].

منسا سليمان 1352 – 1359م[4]

هو شقيق منسا موسي وتولى العرش من بعد مغان الاول ابن منسي موسي ، أعاد ما لحق بالدولة من ضعف ، أهتم ببناء المساجد ونشر الشعائر الدينية ، وأقام الجمع والجماعات وجلب إلي بلاده الفقهاء علي مذهب الإمام مالك ، وكان متفهماً في الدين معروفاً بالصلاح والتقوى ، أدى فريضة الحج في 1351م وقد مكنته رحلة الحج من إعادة بسط نفوذ الماندنجو علي أطراف البلاد التي مر بها وفي عهد زار الرحالة الشهير ابن بطوطة البلاد[5] .

[2] عثمان برايماباري ، مرجع سابق ، ص 40 .

[3] حسن مؤنس ،أطلس تاريخ الإسلام، مرجع سابق ، ص 274 .

[4] عبد الرحمن زكي ، مرجع سابق ، ص 104 – 105 .

[5] إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 94 – 96 ، أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 246 ، زاهر رياض ، مرجع سابق ص124 ، عبد الرحمن زكي ، مرجع سابق ، ص 104 – 105 .

المبحث الأول

المساجد والمراكز الثقافية وأثرها علي المجتمع

المسجد ينبغي أن يكون محط تربية ومكان صياغة للرجال ومركز أشعاع علمي وعملي بإقامة هذه الأمور فيه ، أو أنشاء مؤسسات علمية تربوية حوله وربط هذه المؤسسات به أن كانت مستقلة حسب مقتضى العصر ومتطلباته ، ومن خلال بناء المسجد في وسطها يسد حاجة المتعلمين إليه ويمدهم بروحه ويزودهم بزاد التقوى الذي يحتاج إليه أفراد المجتمع المسلم في كل شأن من شئون حياتهم[1] .

وقد جعل الله المسجد مباركاً، والبركة هي الخير الكثير الذي فيه المنافع والمصالح للناس، ما يعني أن المسجد لا يقتصر دوره على العبادة، بل يتسع لكل منافع الناس، سواء كانت علمية أو اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو غير ذلك من الأمور المتصلة بحياة الناس العامة. وفي ضوء ذلك كان المسجد يلعب دوراً رياديا في الإسلام حيث كان يشكل الملتقى الروحي للناس، فيعبدون الله فيه ويتعلمون العلوم النافعة لهم في دينهم ودنياهم، ويجتمعون فيه للتداول في أمورهم الداخلية والخارجية، فكانت تنطلق من منابره التوجيهات والتخطيط المتعلقة بتنظيم حياتهم كما تنطلق منها صيحات الجهاد. وسارت حياة المسلمين في مساجدهم على هذا الخط، بحيث جسّدت المفهوم الإسلامي للعبادة التي تنفتح على الله سبحانه، لينفتح الناس من خلال ذلك على الحياة من مواقعها المضيئة المتحركة في سبيل الخير.

ارتبطت الدعوة الإسلامية منذ فجرها الأول بالمسجد وذلك باعتباره أداء الثقافة والأعلام والتعليم والأداء الاجتماعية لتقوية الصلة بين جماعة المسلمين وكان لهذه المساجد باعتبارها مراكز ثقافية كبرى في المنطقة أثره الكبير في بعث الحركة الثقافية الإسلامية في المنطقة فكانت منطقة جاذبة للعلماء في المشرق[2] .

والمسجد يكتنفه جو عبادة يشعر المعلم والمتعلم والسامع فيه أنه في بيت الله فيكون أقرب الي الإخلاص والتجرد والنية الحسنة ... ومنه تخرج الخلفاء الراشدين والصحابة ...

---

[1] أبو أسامة محي الدين ، منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم ، ط1 ، مكتبة الخدمات الحديثة ، جدة ، 1994م ، ص 56 .

[2] عمر أحمد سعيد ، مرجع سابق ، ص 330 – 332 .

فيستفيد من المسجد جمع غفير عالم متعلم – مستمع ، ومن ذلك نري أن المساجد جامعات شعبية صالحة للمتعلمين علي جميع المستويات ، وبني الرسول عليه الصلاة والسلام المسجد حتى يكون متعدد الجوانب شاملاً لكل الأغراض فهو مؤسسة إسلامية واجتماعية وتربوية[1] .

تتكون المجتمعات من شرائح مختلفة وأطياف متعددة تجمعها أهداف مشتركة، وعوامل موحدة، تخلق التجانس والعمل المشترك بين تلك الشرائح والأطياف.

وتكمن قوة المجتمع في وحدة شرائحه وانسجام أطيافه، مع بعضهم البعض. وقد كان للمسجد دوره المميز في وحدة أفراد المجتمع وانسجامه، فهو ملتقى الكبير والصغير، والشريف والوضيع، والعالم والجاهل، والأبيض و الأسود، مما تذوب فيه الفوارق الطبقية، والقبلية، والعنصرية ويتم فيه، التعارف، والتعاطف، والتشاور، والتعاون، واستشعار هموم الآخرين.

وقد لعب المسجد دورا في مجالات الخدمة الاجتماعية في مساعدة الفقراء والمساكين، وذوي الحاجات، في عهد رسول الله (ص)، وقد سجل لنا التاريخ أروع الشواهد في مسجد رسول الله (ص)، وآية الولاية دليل على ذلك.

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾(2) وأهل الصفة (الفقراء المعدمين) في مسجد الرسول (ﷺ) شاهد آخر على ذلك.

فإذا ما نظرنا في سجل الحكام والأمراء لهذه الممالك الإسلامية نجدهم يهتمون اهتماما بالغاً بأمر المساجد . فيحكي عن منسي موسي أنه في كل قرية تدركه صلاة الجمعة يبّني فيها مسجداً ، بل جلب المهندس المعماري أبا إسحاق إبراهيم الساحلي الاندلسي من المشرق لبناء وإصلاح المساجد التي كانت تعتبر حرمة لا يجوز التجرؤ عليها إذا أحتمي بها أحد حتي ولو كان السلطان وكان لكل مدينة مسجدها له أئمة وواعظ تصرف لهم مرتبات شهرية[1] .

أهم المساجد في مملكة مالي:

---

[1] أبو أسامة محي الدين ، مرجع سابق ، ص 56 – 67

2) . سورة المائدة، آية55.

[1] إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 48 ، أحمد الشكري ، مرجع سابق ، ص 209 ، شوقي الجمل،مرجع سابق ص 181

مسجد تمبكتو:

يعتبر المسجد أول معهد في تاريخ التعليم الإسلامي منذ انبثاق فجر الإسلام وظل يقوم بدوره هذا منذ ذلك الزمان إلي يومنا هذا[2] . وللسلطان منسا موسي دور كبير في بناء هذا المسجد[3] .

مسجد سيدي يحي : هو من المساجد القديمة في تنبكت كما تتحدث عنه الرويات ويقال بناه ملك مقشرن وذلك قبل منسا موسي وفد إمتدت اليه يد التخريب فاندثر حتي تم تجديد بناءه مرة اخري 1568م

ولعل الذي شيده محمد نقي من (أجرا الصنهاجية)[4]. وبني تخليداً لذكري أحد علماء المغرب ويسمى بأسمه يقال عنه (الامام الوالي العارف القدوة المكاشف القطب الغوث الجامع ، السالك ، السيد ، الشريف ، الرباني)[5] .

مسجد جينقري بير

يمثل مسجد جينقري بير لؤلؤة معمارية، قام ببنائه إبراهيم أبو إسحاق الساحلي عام 1325م الذي تلقى من يد الإمبراطور كانكو موسى أربعة آلاف مثقال من الذهب. يوجد بهذا المسجد منارتان وخمسة وعشرون صفاً من الشمال نحو الجنوب وتسعة صفوف من الشرق نحو الغرب. ومن المميزات الدالة على انتمائه للأسلوب المعماري السوداني أعمدته الضخمة وفناؤه الداخلي ومنارته الرئيسية الهرمية الشكل. منذ عام 1989، يحظى هذا المسجد المدرج في قائمة التراث العالمي بـ"مشروع حماية" بإدارة مشتركة من مركز التراث العالمي لمنظمة اليونسكو ووزارة الثقافة في مالي(6)

مسجد الونكرين(المسجد الجامع)

هوثاني مسجد في تنبكت ، يقع في وسط المدينة الجامع المبني من الحجارة منحوتة من طين الكلس علي يد مهندس من الأندلس كما أن قصراً كبيراً بناه المهندس نفسه وحيث يسكن الملك وقد بناه منسي موسي سلطان مالي الذي أشتهر بأنه كان يبني مسجداً في كل

---

[2] محمد فاضل علي باري وكردية ، مرجع سابق ، ص 115 .
[3] عثمان برايما باري ، مرجع سابق ، ص 24
4)موقع السيد محمد الطالب محمدعلي (الانترنيت) .
[5] محمد فاضل باري وكردية ، مرجع سابق ، ص 120 .
[6] جميلة أحمد ، مرجع سابق ، ص 179 – 180 .

مدينة تدركه صلاة الجمعة فيها ، وقدم له (أسكيا محمد ملك صنقي) خدمة جليلة إذ جعل من مسجد الونكرين مؤسسة تعليمية مدعومة بالكتب الدينية والثقافية[1] .

صومعته من خمس صفوف والقبور لاصقة بها من خارجها في جهتي اليمين والمغرب وتلك عادة أهل السودان، أما أهل المغرب لايدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم وجوانبها من خارج ، جدد الفقيه القاضي العاقب بن القاضي محمود بناءها وخربها وسواها مع جميع القبور بلارض من كل جهة صيّر الجميع مسجداً وزادها زيادة كبيرة ، فأول من تولي إمامتها الفقهاء السودانيون كانوا أئمة فيها في دولة مالي وفي طائفة من دولة التوارق وأخر الأئمة منهم الفقيه القاضي كاتب موسي الذي مكث في الامامة اربعين سنة[2]

كانت هذه المساجد معاهد تعليمية كبرى ومراكز ثقافية وتربوية هامة مثل الأزهر فالمرحلة العليا من التعليم كانت تشبه ما كان بالأزهر قديماً وحتى الآن ، ولدورها الكبير الذي قامت به في المنطقة أطلق عليها الكثير من الأسماء والألقاب منها: (الجامعات العامة) لانعدام فكرة التخصص الدقيق بها وهو تعليم إسلامي أصيل وضعت بذرته الدعوة إسلامية ونمأ تحت ظلالها وأحضانها، و(الجامعات) تقديراً لدورها الحضاري في المنطقة، ويطلق علي مدرسيها لقب (دكاترة*) [3] .

الباحثة الهام الاقرع أوردت الكثير من المعلومات عن تعريف المسجد وأثره في إعداد الفرد ومن خلال ذلك يظهر مدي اثره كمحطة إجتماعية مهمة لدي المسلمين[4].

أهم المراكز الحضارية :

تنبكتُ*:

هذه المدينة الصحرواية الإفريقية والعربية الإسلامية العتيقية ، العالمة المثقفة التي تنطلق أزقتها وحارتها القديمة المشعبة بلسان العلم والمعرفة ، انها مخزوننا المعرفي الفياض ،وذاكراتنا الحية الوقادة وعبق التاريخ المجيد. المسكون بمفردات التاريخ ونضالات الأسلاف

---

[1] جميلة أحمد ، مرجع سابق ، ص 179

2).السعدي ، مصدر سابق ،ص 56-57

* هذه مبالغة بكل تاكيد

[3] محمد فاضل باري وكردية ، مرجع سابق ، ص 121 .

4) إلهام محمد أحمد الأقرع ، دور المسجد وأثره في إعداد المرأة المسلمة،(دراسة ميدانية لمساجد ولاية الخرطوم)، رسالة ماجستير غير منشورة جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية،كلية الدراسات العليا، قسم الدعوة والإعلام، 1999م، ص5 ومابعدها

المخصبة بدماء مجاهدينا الزكية . المتثاقلة بصحائف بطولاتهم ، وبيض وقائعهم المترنمة بتسبيحات وازكار أوليائنا وصالحينا المتمنطقة برياضهم ومزاراتهم الكريمة.

تأسست تنبكتُ في القرن الحادي عشر الميلادي(الخامس الهجري) علي أيدي قبائل الطوارق الصحراوية المشهورين (بمقشرن) الذين إتخذوها مكاناً لرحلتهم في الخريف، هنالك ذكر إمراة تسمي تنبكت ومعناها في لغة الطوارق (العجرة) وهي التي سميت تنبكت بإسمها (1) وأول من ملكها من الملوك هم ملوك مالي (منسا موسي) وجعل خليفته فيها ، وإبتني بها دار السلطنة فسميت (مع دك) معناه في كلامهم دار السلطان (2) وتعتبر تنبكت مكاناً لتلاقي اجتماعي كبير حيث وفد اليها اهل مصر ، ووجل ، وفزان ، وغدامس ، وتوات ، وفاس، وسوس، ثم القبائل الصنهاجية والإفريقية. وبهذه الأجناس تطورت تنبكت من مساكن كانت في شكل زرائب واشواك وبيوت أخشاش إلي تطور معماري من الخيوط وبناء اسوار قصيرة من وقف بخارجها يرى ما بداخلها حتي تم بناء المساجد(3)

وصفت بانها مدينة ذات جمال رائع وكان أهلها يدينون بالإسلام ويحيون السنة ويحاربون البدع من دخلها خائفاً وجد الطمأنينة ومن سكن فيها عام أو أكثر نسّي فعلته فهي دار فقه وعلم وصلاح ، حيث سكنها صفوة العلماء ... حتي لا تجد مكانا في المدينة إلاّ وفيه ولي من أولياء الله ... وأمتاز أهلها بالسماحة ... وكانوا كرماء يحبون الغريب ويحترمونه ويقدمونه علي أنفسهم ولا ينسون من عاشرهم(4) .

وهذا مايؤكده إبنها السعدي بقوله(هي مسقط راسي وبقية نفسي ، ما دنستهاعبادة الأوثان ولا سجد علي أديمها قط لغير الرحمان ، مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء والزاهدين وملتقي الفلك والسيار(1)

* تكتب بصيغ مختلفة مثل تمبكتو أو تنبكتو أو تنبكتُ لكن المعني واحد

1)السعدي , مصدر سابق ، ص20-12

2) نفس المصدر ، ص7-8

3) نفس المصدر ، ص21

4) الهادي مبروك الدالي ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي،مرجع سابق، ص 94

وقد إشتهرت بالأنشطة الثقافية المتميزة وأتصف ملك مالي منسي موسي بالتدين وتقوى الله وشجع شعبه علي طلب العلم وإبداء الاحترام لعلماء الدين وطلبة العلم وأخذ يرسل كثيراً من طلاب العلم إلى مدينة فاس المغربية لتحصيل العلوم[2]

ولقد كانت أحد معاقل الإسلام في غرب إفريقيا وصارت منارة للعلم والثقافة يشع منها نور الرحمن لينتشر في ربوع أفريقيا السوداء ... ومكانتها الروحية جعلتها عاصمة للبلاد حيث إزدهرت فيها الثقافة والتجارة وتبوأت مكانتها العلمية والثقافية في غرب إفريقيا بكل جدارة . وأدى الإستقرار فيها إلي تطور الحركة الفكرية والعلمية التي شهدت تطوراً علمياً ... وكان موقعها الفريد عاملاً في إستقرار العلماء الذين عاشوا في رحابها وساهموا في تطويرها وإزدهارها[3] .

ثلاثة قرون إتسعت الحركة العلمية فيها بفضل علمائها ... ومدارسها القرآنية التي تعج بالاف من طلبة العلم ... بل أمتد الإشعاع ينساب كما تنساب مياه نهر النيجر العظيم المجاور لها[4] .

كانت عالية الشأن في المجال التجاري لكن في الجانب الثقافي كانت أرجح وقد كتب لها كثير من الخلود وحتى الكتاب السودانيين الذين يتحدثون عنها كأنهم يتحدثون عن مكان مقدس ، فهي مأوى العلماء والعابدين ومألف الأولياء[5] .

وقد إتجهت تنبكتُ إلي الإتجاه الثقافي منذ زمن مبكر ، فإن تشييد المساكن بها صحبة تشيد المساجد والمدارس والمعابد ، وإقبال العلماء عليها ، وكثرت حلقات التدريس بمعابدها ومساجدها ، وفي عهد منسا موسي حظيت بمزيد من الإزدهار وقد أقام بها مسجداً كبيراً أصبح جامعة إسلامية يؤمها الطلاب من كل فج كما جعل جامعها القديم معهداً علمياً تلقى فيها المحاضرات والدروس ، ودعى منسا موسى للتدريس في جامعة تنبكت أشهر فقهاء العصرمن مختلف البلدان وأغدق علي الطلاب الذين يفدون بها لتلقي العلم. وأهم

---

[1] السعدي ، مصدر سابق ، ص21

2) إسماعيل محمد إسماعيل ، مرجع السابق ، ص 41 ، زاهر رياض ، مرجع سابق ، ص 120 .

[3] أ.د. عبد الله عبد الرازق إبراهيم ، (دور تمبكتو الجغرافي والاقتصادي في التجارة الصحراوية) ، مجلدات الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثالث دار جامعة إفريقيا للطباعة ، الخرطوم ، 2006م ، ص 166-176 .

[4] عمر بامبا ، (الحركة العلمية في مدينة تمبكتو) ، مجلدات الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثاني، دار جامعة إفريقيا للطباعة ، الخرطوم ، 2006 ، ص 27

[5] جميلة أحمد ، مرجع سابق ، ص 176 .

الكتب التي كانت تدرس بها (موطأ مالك ، المدوّنة ، مختصر خليل، أصول السبكي ، نسيم الرياض ، جامع المعيار للونشري ، المنطق ، صفر السنوسي ، شرح زروق)[1] .

وتحولت تنبكتُ إلي مركزاً ثقافياً مهماً في إفريقيا جنوب الصحراء ، وجلس علماؤها في المساجد والمدارس يعلمون الطلاب الذين وفودوا لها من مختلف النواحي من إفريقيا وسرعان ما هاجر إليها العديد من الجنسيات من المغرب والأندلس ومصر وبالتالي جذبت لها مزيداً من الطلاب والراغبين في تحصيل العلم من السنغال والنيجر وإمارة الهوسا والسودان الغربي فنافست بذلك مراكز الشمال في خدمة الإسلام وأصبحت مكانتها شبه مكانة القيروان وفاس وقرطبة والقاهرة[2] .

وهنا لابد من إضافة معلومات قد تكون خارجة عن الفترة المحددة للبحث. لكنها توضح التطور الذي مرت به تنبكتُ من الناحية الثقافية خاصة في فترة مملكة صنقي من حيث وجود الكتب والمكتبات وحركة نسخ الكتب التي عمت المدينة ، وهذا التطور ماهو إلا نتيجة للتطور واللبنة الأولي التي وضعتها مملكة مالي للمدينة تنبكت ثم إستفادت منها مملكة صنقي كتيراً من هذه اللبنة لان تصور الحياة الثقافية يبدو واضحاً في هذه الفترة التي الت اليها تنبكت الي مملكة صنقي.

وقد كان بها مسجدان كبيران في نهاية القرن الخامس عشر وهما الجامع الذي بناه الملك منسا موسي وجامع سانكوري الذي أصبح فيما بعد أول جامعة تعليمية في إفريقيا جنوب الصحراء وكان الجامع المركزي الذي تقام فيه صلاة الجمعة و يقع في الجزء الغربي من المدينة بينما يقع جامع سانكوري في الجزء الشمالي منها وقد تحول هذا الجامع فيما بعد الي مركز ثقافي كبير لدراسة العلوم الإسلامية علي قرار الجامع الأزهر بالقاهرة وجامعة القيروان بفاس والزيتونة بتونس وإستوطن أفراد الأسر التي اشتهرت بالتبحر في العلوم الإسلامية بمدينة تنبكتُ وظهر فيها أجلة العلماء الذين لعبوا دوراً حيوياً في مجال الثقافة العربية الإسلامية ، وكانوا ينتمون إلى عائلتي العالم عقيت أندق محمد والفقيه محمد، العلام أحمد بابا بن عبد الله أندق بن محمد عقيت قاضي مدينة تنبكتُ الذي عاش في القرن الخامس عشر [1] .

---

[1] إسماعيل محمد إسماعيل ، المرجع السابق ، ص 40 ، الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع مراكز الشمال ، المرجع السابق ص 107 ، 108 .

[2] أحمد شلبي ، المرجع السابق ، ص 232 – 233 .

[1] عثمان برايماباري ، مرجع سابق ، ص 24 .

وقد تخرج كثير من أجلة العلماء من جامعة سانكوري وكان أحد أئمة الجامعة الشيخ موسي كاطب وهو من العلماء الذين أرسلوا الي فأس في القرن الخامس عشر لإكمال دراسته هناك ، وكان هناك عدد كبير من خريجي جامعة سانكوري الذين سافروا الي القاهرة والتحقوا بجامعة الأزهر وقام كثير منهم بعد تخرجهم بالتدريس في المشرق والمغرب . وكان أحمد بن عمر جود الأمين من الذين سافروا الى المشرق العربي، والعالم الأخر الذي يذكره التاريخ هو الشيخ مخلوف البيلي الذي كان قاضياً وعالماً جغرافياً ، تتلمذ علي يد أبن الفازي المغربي ، ومحمد بن أحمد[2] .

ويذكر السعدي نماذج من الكتب التي كانت تدرس في جامعة تنبكتُ منها صحيح البخاري وصحيح مسلم، والشفاء للقاضي عياض ، والموطأ والألفية للإمام مالك ، ومن أشهر العلماء والصالحين الذين سكنوا تمبكتو وخدموا العلم والمعارف فيها عمر الساكن وابو عبد الله محمد ، وأبو جعفر عمر بن محمد ، ومخلوف بن علي ، وأحمد بابا التنبكتي القاضي محمد الكابري ، أحمد بن عمر أقيث[3] .

وقد كثرت المكتبات في تنبكتُ وكانت مفتوحة لإطلاع الطلاب والراغبين في العلم واشتهرت بعدد كبير من المكتبات المملوكة لعلمائها ، و عرف عن هؤلاء أنهم كانولايبخلون بكتبهم علي الراغبين في الإستعارة مهما كانت الكتب قيمة ، وكانتتدوربها حركة نسخ نشطة ليحصل عن طريقها بعض الناس علي نسخ من الكتب التي يريدونها[4].

ويبدو أنه كانت هنالك صلات ثقافية بين تنبكتُ والقاهرة وبوجه خاص في العهد المملوكي حيث أصبحت القاهرة مقر الخلافة الإسلامية ومركز الثقافة التي يتطلع إليه الناس من كل مكان ، وفي تاريخ السعدي ما يدل علي أن الإمام السيوطي المصري كان واسع الشهرة في جامعة تنبكتُ [5] .

أتصفت فئة من العلماء بحمل كميات من أمهات الكتب والمخطوطات العظيمة التي تتعلق بثقافتهم الإسلامية ولعل الفقيه أحمد بابا أحد أبرز العلماء في منطقة الغرب الإفريقي وهو خريج جامعة سانكوري وينتمي الي أسرة مثقفة أسرة محمد عقيت وشهرته طبقت الآفاق في تمبكتو من أصداره للفتاوى والتشريعات الإسلامية الهامة[1] .

---

[2] نفس المرجع ، ص 25 .
[3] السعدي ، مصدر سابق ، ص37- 56.
[4] جميلة أحمد ، مرجع سابق ، ص 163 – 164 ، محمد فاضل علي باري وكردية، مرجع سابق ، ص 114 .
[5] أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 234 .
[1] إسماعيل محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 42 .

وتعد حيازة الكتب بصفة عامة كنزاً مهماً وعلمياً في مجتمع السودان الغربي حيث كان الأثرياء والمقتدرون يقومون بشراء كميات كبيرة من الكتب الدينية والفقهية ويحتفظون بها ويتوارثونها كابراً عن كابر إجلالاً وافتخاراً وحباً للعلم . وكانوا يفتخرون ويتباهون بعدد الكتب التي تكون لديهم خاصة عند الأفراد وكان الشيخ يحي يفتخر بجده الذي توفى وترك مكتبة من سبعمائة مجلد وأغلب هذه الكتب نسخت باليد مما يشير إلى الأهمية التي يعلقها أهل المنطقة علي العلم وتحصيله وكان الكتاب فيها يباع بسعر الذهب[2] .

وكان طلاب العلم يستعيرون الكتب من أساتذتهم كما يستعير الأساتذة من بعضهم وكان الفقيه أبوبكر من أسخى المتعاونين في تسليف الكتب رغم شققه الحاد وحرصه الشديد عليها بإعتبار أنها من أغلى الكنوز . ونسخ الكتب وطباعتها وجدت أهتماماً كبيراً من الأمراء مثل الملك أسكيا داؤود ملك صنقي ويقوم بتوزيعها علي العلماء والطلاب مجاناً بل هو أول من أنشأ مكتبة عامة للمطالعة في هذا الجزء من العالم ، المؤرخ الإفريقي ليو الإفريقي قام بزيارة الي تنبكتُ في القرن السادس عشر وذكر أن هنالك مستوى عالى وصلت إليه جهود محو الأمية وتوفير الكتب والمراجع الإسلامية[3] .

ومن أشهر أبناء تنبكتُ عبد الرحمن السعدي صاحب تاريخ السودان وكان هو الإمام الراتب لأحد مساجد تمبكتو ويتناول كتابه الأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية في الممالك السودانية في الغرب الإفريقي ، فهناك محمود كعت وهو من خريجي جامعة سانكوري الذي بدأ في تأليف تاريخ الفتاش (1519م) لكن المنية عاجلته فقام أحد أحفاده بإستكمال التاليف.

وهنا لابد ايضاً من الاشارة الي أن من المراكز الثقافية التي عاصرت تنبكتُ مدينة جني والتي تعتبر من أشهر المراكز الإسلامية في السودان الغربي أسست في منتصف القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي اسلم ملكها (كنبرو) في نهاية القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في عهد المرابطون وحذت الرعية حذوه، ودخلت الإسلام في القرن السادس الهجري الثاني عشر ميلادي، وكان كنبرو مهتماً بقضايا شعبه ومساعدتهم في بناء المساجد والماوى لطلاب العلم[1] .

---

[2] عثمان برايماباري ، مرجع سابق ، ص 28 ، عمر بامبا ، مرجع سابق ، ص 27 .
[3] عثمان برايماباري ، مرجع سابق ، ص 29 .
[1] محمد أنور توفيق ، مرجع سابق ، ص 172 .

ويتفق صاحب مخطوط جني مع السعدي في روايته من حيث عدد العلماء وإسم الملك والدعوات وتاريخ بداية إسلامها ولكن يزيد عليه بأن ملكها حج بعد إسلامه وإشترى من خلال رحلة الحج كتباً وأمر الناس بالتعلم وعمل علي صرف مرتبات للمعلمين والمأذنين والأئمة سنوياً، لذا قد كان لجني في القرون المتعاقبة أن تتأثر تأثيراً قوياً في تقدم الإسلام في السودان الغربي[2] وأصبح مسجدها الذي بناه أحد المغاربة معلوم إدريس والمساجد الأخرى جامعات يؤمها الطلاب ويجلس بها العلماء[3]

توضح الدراسات حول جني أن المساجد التي أقيمت بها سرعان ما أصبحت جامعات يؤمها الطلاب ويجلس بها العلماء ،وقد صاغ الله لمدينة جني كما يقول السعدي ، سكان من العلماء والصالحين من غير أهلها من قبائل وبلاد شتى منهم يورمغ كتكي الذي رحل الي بلاد كثيرة لتلقي العلم ثم جاء الي جني في أواخر القرن التاسع فكان فقيها عالماً صالحاً جليل القدر ، فأسرع إليه الطلبة لإقتباس الفوائد منه وكان في هداة الليل يخرج من داره إلي الجامع لنشر العلم فيجلس الطلبة حوله يأخذون العلم حتي مطلع الفجر ثم يعودون بعد الصلاة يجلسون إليه إلى الزوال تقريبا ويعود لهم مرة أخرى في النصف الثاني من النهار[4] .

تحدث الباحث هلاسي كثيراً عن هذه المراكز الثقافية وأفرد مساحة كبيرة للحياة الاجتماعية والعناصر السكانية ويتضح جليا من سرد الباحث إن الحياة الاجتماعية في هذه المراكز راقية ومتينة وذلك بفضل الاسلام والثقافة الاسلامية(5).

المبحث الثاني

دور الحج في ربط العلاقات الإجتماعية في مملكة مالي

---

[2] حسين مجدي صالح ، (جني من المملكة الوثنية إلي السلطنة الإسلامية) ، مجلدات الإسلام في إفريقيا، الكتاب الحادي عشر، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، 2006م ، ص 428 .

[3] محمدا نور توفيق ، مرجع سابق ، ص 174 .

[4] السعدي مصدر سابق ، ص 16-20. 1

5) محمد ألامين هلاسي، تطور الثقافة الإسلامية في مالي (الماضي والحاضر والمستقبل) ، رسالة ماجستير غير منشورة، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم ، 1996م ، ص28-29، 71-75 ،131- 133

الحج لغةً : القصد الي بيت الله الحرام علي هيئة خاصة لأداء مناسك معينة ، وله أربعة أركان هي الإحرام من الميقات والوقوف بعرفة وطواف الإفاضة والسعي بين الصفاء والمروة . وللحج فوائد اجتماعية وسياسية واقتصادية ناشئة عن اجتماع العدد الكبير من رجالات العالم الإسلامي ، حيث يتم التعارف ويروي العلماء ، وتكتسب المعارف وتتبادل الآراء وتعرض السلع ويطعم الفقراء والمساكين باللحوم والهدايا الكثيرة[1].

إذا كانت الصلاة الجماعية لها دور في الترابط في الحياة اليومية للمؤمنين في نطاق السكان فيما يحيط بالمسجد ، وإذا كانت صلاة الجمعة لها دورها كذلك في الترابط وتقوية الشعور بالإخاء بين المؤمنين في دائرة أوسع علي فترة تتجاوز اليوم الي الأسبوع. فإن الحج لبيت الله الحرام هو العبادة السنوية التي تجمع بين المسلمين ممن يستطيعون أداءها في مشارق الأرض ومغاربها في صفاء نفسي ، وفي مساواة تامة لا يتميز فيها غني عن فقير ولا صاحب جاه عن عديم الجاه(2)

ووظيفة العبادة في الإسلام إذا كان من شأنها أن تخلق في نفوس المؤمنين بالله روح المساواة في الاعتبار البشري وروح المساواة أيضاً أمام الله فإن الحج بوجه خاص يؤكد هذه المساواة ، منذ اللحظة الأولى في مباشرة أدائه فالإحرام– وهو أول شعيرة من شعائره – هو إعلان من المحرم أمام الله وأمام نفسه ، بتحريم كل ما يحول دون المساواة في الاعتبار البشري ، أو يحول دون إخلاص النفس لله وحده وصفائها في العلاقات بين المؤمنين[3] .

وروح الجماعية الكبرى المستهدفة إذن من أداء عبادة الحج هي مجموع هذه " المثل" أو المعاني ، والتي هي :

- المساواة في الاعتبار البشري .
- الترابط بين المؤمنين في حاضرهم وماضيهم .
- الإخلاص لله وحده ومحبته .
- الصبر والمثابرة ، والسرعة في الاستجابة الي أصحاب الحاجة من الآخرين .
- الحرص علي القوة المادية والمعنوية .
- الإصرار علي مناوأة الباطل الممثل بالأخص في الوثنية المادية الإلحادية .

---

[1] أبوبكر جابر الجزائري ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ، ص 47 .

2) إسماعيل محمد إسماعيل، مرجع سابق ، ص23.

[3] محمد البهي ، الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم ، دار الفكر العربي ، بيروت ، ط1 ، 1971م ، ص 257 .

- التضامن والإخاء بين الغني والفقير وصاحب الجاه ومن لا جاه له[1] .

وإذا كانت شعائر الحج هي رموز أو تعبيرات حسية عن معان مستهدفة ، فتكون منها الروح العامة للمؤمنين ولجماعتهم ، فإنه من غير المعقول أن تؤدي شعيرة منها في غير الرموز والتعبير الذي وردت فيه ، أو علي الأقل عندئذ تعظيم الشعيرة عند المستوى المطلوب علي نحو ما يوصى القرآن في قوله تعالى (ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه) ، وفيما تنتهي به هذه الآية من قوله تعالى (.. وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم)[2] أي إلا يتلى عليكم تحريمه في كتاب الله (فأجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ، حنفاء لله غير مشركين) ، قصد منه تحذير : أن ينتقل تعظيم هذه الشعائر الحسية لما فيها من معان مستهدفة ، إلى صورها المادية فتقدس هي كأمكنة محسوسة ترى وتشاهد ، وليس كتعبيرات ورموز عن معان مطلوبة فإذا نقل التعظيم علي هذا النحو صار الأمر الي رجس الأوثان ، الذي نهت عنه الآية فأجتنبوا الرجس من الأوثان ، لأنها تصبح عندئذ أوثاناً مادية ، وصار الأمر كذلك إلي قول الزور المنهي عنه هنا أيضاً (واجتنبوا قول الزور)[3] لأن المعظم للمكان ، وليس لما يوحيه من معنى ينسب الي الله الآ أن الأمر بتعظيم مالا يعظم كما جاء في قوله (ذلك ومن يعظم حرمات الله) فهو يدعو ﷺ الي تعظيم المعنى المستهدف وليس تعظيم الصورة الحسية التي يظهر فيها وكان الذين يفعلون هذا النقل والتحويل عندئذ من المشركين بالله علي النقيض عما يطلبه الله في قوله _ حنفاء لله غير مشركين به)[4] .

وإذا ضمت عبادة الحج هذه الشعائر العديدة فإن الثمرة المرجوة منها هي البقاء علي ذكر الله وحده بحيث يكون ذكره في السلوك والأفعال والموافق ، وفي التفكير والتصور كذكر الآباء ، أو أشد ذكراً ، ولذا يربط القرآن هذه النتيجة ، بالانتهاء من أداء مناسك الحج في قوله (فإذا قضيتم مناسككم فأذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكراً)[1] .

وإبداء ذوي الإمكانيات منهم استعدادهم للسفر إلى الأراضي المقدسة ، حيث يشهدون أداء مناسك الحج وسط أمواج من التجمع البشري الذي يهتف بالتهليل والتكبير قائلاً(لبيك اللهم لبيك .. لبيك لا شريك لك لبيك) [1].

---

[1] محمد البهي ، المرجع السابق ، ص 266 .
[2] سورة الحج الآية 30 .
[3] سورة الحج الآية
[4] محمد البهي ، مرجع سابق ، ص 267 .

ويستفسر حجاج الغرب الأفريقي عن معنى هتافات الحجيج ، فيعلمون أن الله الذي يستحق التفريد بالعبادة لا يجوز أن يكون له أي شريك في الملك أو في القضاء والقدر كانت لتلك الأنشطة كلها آثار قوية وإيجابية علي نفوس وعقول سكان المنطقة ، مما هيأهم للاندفاع إلى الإسلام طوعاً ، فتزداد عقيدة التوحيد رسوخاً في نفوس حجيج بلاد السودان الغربي بتشجيع من أهاليهم ثم يعودون بعد شهور عدة وبضع سنوات حافلة بعناءات ومشقات لا يضاهيها عناء أو مشقة ، يحمل كل واحد منهم لقب الحاج أو الحاجة ذكراً كان أو أنثى ، ويحظى كل منهم باحترام بالغ في مجتمعه لدى العودة، لأن اللقب يميزه عن سواه الذي لم يتح له استكمال هذا الركن من أركان الإسلام ، وليس بوسعنا في هذه العجالة أن نصف علي وجه التحديد مدى الفرحة والسرور والابتهاج التي تغمر نفوس المسلمين بسبب تجاربهم الروحية في رحلتهم تلك ، كما يزداد هؤلاء الحجيج خبرة وسعة أفق حول طريقة التعامل مع الآخرين وأساليب إدارة الحكومة تحت ظل الشريعة الإسلامية[2] .

ولا شك فإن الدافع القوي لأداء فريضة الحج كان يشجعهم ويطمئنهم ويقويهم فهو إحساس يشعر به الحاج كثيراً ويطمئن إليه لإتجاهه نحو بيت الله الحرام حيث الأمن والأمان[3] .

ويبدو أن سلاطين مملكة مالي كانوا كثيري الإهتمام بالحج و بربط صلاتهم بمركز الخلافة الإسلامية حتي يضفي ذلك عليهم مظهراً إسلامياً و هي سنة قديمة إتباعها سلاطين مملكة مالي منذ السلطان برمندا، ثم المؤسس الحقيقي للملكة ماري جاطة ثم منسا ولي الذي حج عبر مصر أيام الظاهر بيربس وكذلك صاحب الرحلة إلي الحج الاكثر شهرة التي فاضت بذكرها المراجع العربية والاجنبية والتي اعطت مملكة مالي شهرة واسعة وإبرزت إمكانيات المملكة الاقتصادية من خلال كمية الذهب الوفيرة والعبيد والتي أنزلت أسعار الذهب في مصر التي مرّ بها مدة ثلاثة عشرة سنة، وكذلك حج الي بيت الله الحرام منسا سليمان [1] .

كما تركت رحلة الحج علامات مميزة في استمرار العلاقة بين غرب إفريقيا ومركز العالم الإسلامي في مكة والمدينة وأصبح وسيلة من وسائل الاتصال بشمال إفريقيا ومراكزها

---

[1] محمد البهي ، مرجع سابق ، ص 267 .

[2] عثمان برايماباري ، مرجع سابق ، ص 807 .

[3] د.عوض عبد الهادي العطاء ،(الرحلة الحجازية وأثرها العلمي علي إفريقيا) ، العدد 23 ، مجلة دراسات إفريقية ،مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 2000 ، ص 191 .

[1] ، انظر احمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 244-246. عبد الرحمن زكي ، مرجع سابق، ص104-105. السعدي، مصدر سابق، ص7.

الثقافية ، فقد استفاد من ذلك السلاطين فائدة عظيمة ، فقد كانوا يتصلون بالعلماء والمعلمين ويأخذونهم إلى بلادهم[2] .

عندما ظهرت في الجزيرة العربية دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية أيقظت الشعور الديني لدى المسلمين وبدأت هذه الدعوة تشق طريقها إلي الآلاف من الحجيج الوافدين كل عام إلي مكة والمدينة فيقتبس هؤلاء ثم يعودون إلي بلادهم ويقومون بما يستطيعون من إصلاح ، ثم اتسعت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أتساعاً كبيراً حتي اعتبرت رائدة اليقظة في العالم الإسلامي[3] .

إن رحلة الحج قد عادت بكثير من الفوائد العلمية في مجالات مختلفة وعلي رأس ذلك مجال الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام وفي مواجهة كثير من العقبات التي تواجه الدعوة سواء من المبشرين والميسرين في مواجهة الصعاب التي تواجه الدعاة المسلمين كما استفاد السلاطين من رحلة الحج باتصالهم بالعلماء والمهندسين يأخذونهم الي بلادهم لتطوير الإدارة بها لرفع المستوى الثقافي والعمراني والاجتماعي ، فقد سافر الساحلي المعماري الأندلسي مع متا موسي حيث شيد له مسجدين وقصراً في جاوا وتمبكتو علي الطراز الأندلسي مما جعل هذا الطراز هو الغالب في تلك البلاد[1] .

وكان لرحلة الحج فوائد كثيرة أيضاً في تصحيح عقائد القبائل ، فقد كان يعود الحجيج بعد أداء الفريضة وهم أكثر وعياً وحماسة لدينهم بسبب ما يقوم به الدعاة المسلمين والعلماء والوعاظ في مكة والمدينة من إرشاد وتقديم محاضرات دينية ، كما أعطت الرحلة الحجازية المسلمين الأفارقة وعياً دينياً واضحاً في طريقة الاستعداد للحج[2].

ومن هذا يتضح جلياً : حرص السودانيين علي أداء فريضة الحج التي وفرت لهم أحسن فرصة للاحتكاك مع المسلمين ويبدو مدهشاً أن نلاحظ أصرار الحجاج السودانيين علي أداء هذا الركن الإسلامي رغم حداثة أسلامهم وبعدهم عن الحجاز ويتأكد أن أهل غانا وجاوا كانوا يحجون الي بيت الله الحرام منذ بداية القرن السادس الهجري – الثاني عشر الميلادي وكان أهل مالي يحرصون بدورهم علي أداء هذه الفريضة وكان أول من حج منهم

---

[2] عوض عبد الهادي العطاء ، ص 200. للمزيد عن لقاء العلماء وأصحاب المذاهب انظر.د. نوال علي محمد،(بعض المظاهر الثقافية والدعوات المذهبية لرحلات الحج الأفريقية في العصر الإسلامي) ، الندوة السنوية للمجتمعات الأفريقية تطورها التاريخي ودورها الحضاري حتى مطلع القرن الحادي والعشرين ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، 2005م، ص49.

3) عوض عبد الهادي العطاء، مرجع سابق ، ص200 .

[1] إسماعيل محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 24 .

[2] عوض عبد الهادي العطاء ، مرجع سابق ، ص 202 .

هو برامندانا ثم أقتفي أثره كل من منسا ولي وساكورة ومنسا موسي[3]. بل كان موسم الحج مناسبة هامة في حياة أبناء كل من مصر وبلاد التكرور ، ففي مصر كانت تسري الحركة والنشاط في أوصال المجتمع ، فتزدهر الأسواق المخصصة لبيع لوازم الحجاج وينتظر الناس هذه المناسبة بشوق وتلهف، كما أصبح دخول مصر بالنسبة للحاج الإفريقي لا يعني فقط مجرد المرور في طريقهم الي مكة ومصاحبة ركب الحجيج المصري بل أصبح في نظر أولئك الحجاج اتصالا عميقاً بحضارة إسلامية متطورة ذات تراث عربي إسلامي عميق الجذور[4] .

ومن خلال استعراض دور الحكام والملوك في نشر الإسلام وثقافته البحث يبدو إن الصورة واضحة في مدى الإهتمام والحرص على أداء هذه الفريضة . وبهذا يمكن القول إن رحلات الحج ساعدت كثيراً علي تقوية العلاقات الإجتماعية في مملكة مالي بالدخول في علاقات إجتماعية ذات طابع إسلامي رأقي ويظهر ذلك من خلال إحتفالأتهم بوداع وإستقبال الحجيج لتضيف هذه الإحتفالات بعداً إجتماعياً أخراً في المملكة.

المبحث الثالث

دور اللغة العربية فى التواصل الإجتماعي

إختلف الباحثون كثيراً حول تعريف اللغة ، فعلماء الإجتماع يركزون على دورها الإجتماعي فى إرساء التعارف والتواصل بين الأفراد والجماعات ، أما علماء النفس فيهتمون بما تقوم به اللغة فى التعبير عن العواطف والأحاسيس ، وعلماء اللغة يعنيهم كثيراً دور

[3] أحمد الشكري ، مرجع سابق ، ص 239- 240 .

[4] العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، مقرر سمنار التاريخ – كلية الآداب جامعة القاهرة أشراف د. رءوف عباس حامد ، دار الثقافة العربية للنشر ، القاهرة ، 1987 ، ص 87 .

الصوت ونظم بنية الكلمة والجملة ودلالتها ، وعلماء السياسة يحتفلون بأهميتها فى تقوية الوحدة الوطنية ولم الشمل ، ولعلماء الفلسفة والمنطق والجغرافيا والحاسوب والطب والفيزياء وغيرهم نظريتهم الخاصة . ويدل هذا التشعب على أهمية اللغة فى مختلف مناحي الحياة الإنسانية لذلك تعتبر اللغة أداة إجتماعية ذات خطر كبير بل قالوا اليد واللغة فيهما تنحصر البشرية ، وقالوا أيضاً يتعذر بين الشعب وأسلوبهم فى التفكير فاللغة هي وعاء الفكر والثقافة والحضارة وهي وسيلة الأمم للإنعتاق والتحرر والإنطلاق لآفاق المستقبل الواعد ([1]).

يرى الباحثون أن وحدة اللغة عنصر هام من عناصر الوحدة الوطنية بإنها أكبر عامل يولد فى الناس إدارة الإنتظام فى أمة واحدة ، وإذا كان الإنسان يتميز عن الحيوان بأنه مدني (إجتماعي) وإنه ناطق مفكر، فإن الشعوب تتميز عن بعضها بأن لكل منها لغة خاصة تتكلم بها ، فما لا شك فيه إن اللغة هي أقوى رابط معنوي بين الأفراد وكما قالوا اللغة أصوات يعبر عنها كل قوم عن أغراضهم ، ومعني هذا إن لكل قوم لغتهم ومتى تفاهم الأفراد بلغة واحدة تقارب تفكيرهم ونشأ فيهم شعور بالتعاطف قلما ينشأ مثله بين أفراد يتكلمون لغات مختلفة ، لهذا التعاطف أمل عظيم فى جعل المتكلمين لغة واحدة يؤلفون أمة واحدة ، وكما كانت اللغة هي عماد الثقافة للأمة ، والثقافة بالنسبة للأمة هي بمثابة الروح بالنسبة للإنسان لذلك يذهب بعضهم الى أن الأمة ليست ملايين البشر يعيشون على نفس الأرض أو يرجعون لأصل واحد فحسب بل الأمة وحدة من الفكر والشعور والإدارة والعمل ومن أجل المشاركة فى الفكر والشعور والإدارة والعمل لا بد وأن يكون هنالك إتصال بين أعضاء الجماعة القومية ، ثم كان للغة المشتركة أهميتها وأثرها فهي أداة فاعلة فى تشكيل الوحدة القومية ([2]) .

إن اللغة ذات أهمية كبرى فى كونها أداة الإتصال بين الناس ووسيلة للتفاهم بينهم وتبدو هذه الأهمية حيث يعيش الناس زماناً فى مجتمع لا يعرفون لغته فيشعرون بالعزلة عن هذا المجتمع لأن الإنسان يعيش عيشة جماعية مع مجموعة من الجنس البشري تربطهم به عوامل متعددة من النسب والجوار ووحدة الأهداف والآمال ومن ثم فهو أشدُّ الحاجة الى

---

[1]) الطاهر محمد داؤود (عشيرة اللغات الآسيوية الأفريقية كنموذج للتداخل والتواصل الأفريقي) ، ملتقي الجامعات الأفريقية ، التداخل والتواصل في أفريقيا ، الكتاب الأول ، مطبعة جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم 2006م ، ص 179 ، 180 .

[2]) أ . د محمد عبد الغني سعودي(مكان اللغة العربية ومكانتها التي تواجهها في أفريقيا) ، مجلدات الإسلام في أفريقيا ، الكتاب السابع ، مطبعة جامعة أفريقيا العالمية ، 2006م ، ص 167 .

التفاهم مع هذه المجموعة لتستقر حياته وتنتظم أموره لذلك لا يمكن أن تجد مجموعة من الناس تستغني من وسيلة التفاهم بينهم ([1]) .

لذلك أتحدت المجموعات البشرية منذ العصور التاريخية القديمة فى سبيل الوصول الى التفاهم المنشود فإتخذت الإشارة والحركات والأصوات والرموز وسائل تعينها على تحقيق هذا التفاهم بينها ، ثم إنتقلت من هذه الأصوات الى المقاطع والألفاظ وأحكام الألفاظ ودقة الأدلة على المعاني . ووظيفة اللغة هو تحقيق الإتصال ، وعن طريق الإتصال يدرك الإنسان حاجاته ، وهي أداة التفكير وكما يقال : إن التفكير كلام نفسى والكلام تفكير جهري ، ويقول الشاعر :

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما * * * جعل اللسان على الفؤاد دليلاً

فالكلام هو الشكل الأساسي فى عملية الإتصال بين الأفراد وهو أكثر أنواع التعبير شيوعاً وأكثرها قدرة على ترجمة المشاعر والحوافز والأفكار والإنفعالات بشكل مباشر([2]).

فاللغة هي أداة الإتصال الرئيسية فى المجتمع الإنساني حيث أنها الوسيلة الأكثر فعالية فى جعل الفرد للدخول فى علاقات وتفاعلات إجتماعية مختلفة ، واللغة اللفظية ضرورية لكل مجتمع إنساني وبدونها يصعب علينا أن نتصور تطور الثقافة الإنسانية في الصورة التي نجدها اليوم وكذلك تعتبر اللغة من العوامل الأساسية ووسيلة مهمة من وسائل التماسك والتضامن والتكامل فى المجتمع ([3]).

إن اللغة العربية هي إحدي اللغات السامية التى تنتمي الى الأسرة الإفريقية الآسيوية إحدي لغات القارة الإفريقية ، وتسمي أيضاً باللغات الحامية السامية وتنتشر فى كل أفريقيا الشمالية وجل القرن الأفريقي وأهم فروعها البربرية ، المصرية القديمة، و الفرع الثاني الكوشية ([4]) .

وموطن هذه اللغة العربية الأصلي هو شبه الجزيرة العربية ، وتقرر الدراسات الإفريقية الى أن جذور العلاقة بين أهل القارتين (أفريقيا ، آسيا) علاقات قديمة قدم التاريخ

---

[1]) أ د عباس محمد و د. عبد النبي محمد على ، المهارات اللغوية (1) ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، 2003م ، ص 5- 6 .

[2]) إسماعيل محمد إسماعيل جابر ، التنوع القبلي وأثره في الاندماج القومي في دارفور (1640 – 1916م) ، رسالة بكلاريوس مرتبة الشرف غير منشورة ، كلية التربية والآداب ، قسم التاريخ ، جامعة الفاشر ، 2006م ، ص 68 .

[3]) أ . د على شمو ، أساسيات الاتصال ومهاراته ، منشورات جامعة السودان المفتوحة ، 2005 م ، ص 10 – 46 .

[4]) يوسف حسن فضل، مرجع سابق، ص 15 – 16 .

وذلك قبل الإسلام فى أفريقيا بسبب التجارة والملاحة والظروف الإقتصادية التي كانت تدفع العرب بالتوجه والإستقرار فى شرق وغرب وشمال أفريقيا ([1]).

يعتبر العلماء الجولوجيين إن هاتين القارتين (الأسيوية والإفريقية) قارة واحدة ثم حدثت بعض التغيرات الجولوجية فى العصر الجيولوجي الثاني مما أدي الى ظهور الأخدود الأفريقي العظيم الذى نتج عنه البحر الأحمر وبذا إنفصلت القارتان عن بعضهما سوى مساحة ضيقة ظلت يابسة حتي حفر قناة السويس من بعد النصف الثاني من القرن العشرين ، وهذا يؤكد أن هنالك تواصلاً كان قد ساد بين سكان بلاد العرب وسكان أفريقيا وتطورت هذه العلاقات وتوثقت مع ظهور الإسلام وذلك إبتداءاً من القرن السابع الميلادي حينما أمد الإسلام العرب بسياج عقائدي ، كما صارت اللغة العربية الوعاء الثقافي للدين الجديد ، ولقد أدي ظهور الإسلام الى دفع العلاقات بين العرب والأفارقة الى آفاق أرحب فإلى جانب ذلك الصلات التجارية والهجرات المتتالية السابقة للإسلام قام العرب بدور نشط فى نشر الإسلام فى ربوع أفريقيا ([2]) .

ويري بعض علماء اللغات أن الموطن الأول للغة السامية هو إفريقيا وإن اللغات السامية من عبرية وعربية وأرامية وغيرها قد إنتقلت من إفريقيا الى الجزيرة العربية عن طريق باب المندب ([3]). لكن .هنالك الكثير من الأراء حول موطن الشعوب السامية والحامية لم يتم الإتفاق حولها صراحة) ([4]). ومما يؤكد أصالة اللغة العربية فى أفريقيا إعتراف عدد من اللغويين الغربيين بهذه الأصالة قبل غيرهم حيث إعترف عدد من مشاهير علماء اللغات بأن اللغة العربية واحدة من اللغات الإفريقية أصالةً وذلك عند تصنيفهم للغات الإفريقية منهم اللغوي الأمريكي (جوزيف غرينبيرج) الذي ضمها الى إسرة اللغات الإفريقية الأسيوية ، وكذلك الألماني (منهلوف ووسترمان) ، وقال توماس آرنولد "غدت اللغة العربية لغة تخاطب

---

[1]) د. صالح عبد السلام البغدادي ، (اللغة العربية في أفريقيا) ، ملتقي الجامعات الأفريقية ، التداخل والتواصل في أفريقيا ،الكتاب الثالث ، مطبعة جامعة إفريقيا العالمية ، 2006م ، ص 29 .

[2]) داؤود عبد القادر ايليقا ، (وضع اللغة العربية وخطط نشرها في أفريقيا) ، مجلدات الإسلام في أفريقيا ، المجلد الثامن ، مطبعة جامعة أفريقيا العالمة ، 2006م ، ص 108 – 109 .

[3]) د. بابكر حسن محمد قدماري (الأثر العربي في اللغات والثقافات الأفريقية) مجلة دراسات أفريقية ، العدد (39) ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 2008م ، ص 45 – 46 .

[4]) كمال محمد جاه الله ،(الأصل السلالي المشترك لمتحدثي أسرة اللغات الأفريقية) ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد (39) ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 2008م ، ص 137 ، 143 .

بين قبائل نصف القارة الإفريقية" ([1]).بل لم تكتفى قبائل الممالك الإفريقية لدخول الإسلام بل طبقت بعض طبائع العربية بسبب إنتشار اللغة العربية فى تلك البلاد ([2]).

ومن الدلائل التي تشير إلى قدم اللغة العربية فى إفريقيا وغربها بصورة خاصة عثر على نقوش فى (منطقة غاو) في قبر أحد الملوك مكتوب عليه باللغة العربية الفصحي "هنا قبر الملك الذي أيّد دين الله واعزّه أبومحمد رحمه الله المتوفي 394هـ" ، ويمكن الإستدلال من هذا النقش رسوخ الإسلام واللغة العربية فى المنطقة إذ إعتماد لغة ما فى كتابة النقوش يدل على تمكن اللغة ورسوخها فى ذاك المجتمع ، وإستعمال التاريخ الهجري شاهد على اسلام الناس وإلمامهم بالثقافة العربية ، وأما إستخدام الكنية أبو عبد الله الوارد فى سياق النص فيقدما تصوراً واضحاً لتعرب المجتمع ([3]) .

ومع بداية بزوغ فجر الإسلام ونزول الوحي على النبي صلي الله عليه وسلم باللسان العربي إكتسبت اللغة العربية رداء القداسة والخلود ، كما أكسبها القرآن الشرعية لتكون اللغة الرسمية لأكثر من مليار مسلم الآن فى جميع أنحاء العالم ، فبعد أن كانت لغة محدودة محصورة على القبائل العربية فى نجد والحجاز، إكتسحت فى فترة وجيزة الشام والعراق ومصر واليمن وبعض أجزاء إفريقيا الشرقية إذ كانت تحل أينما حل الإسلام([4]).

الخلاوي والمساجد والزوايا والمعاهد الدينية لتحفيظ القرآن كالزيتونة والأزهر وتمبكتو وجاوا وجني ساعد علي إنتشار اللغة العربية وأصبحت لغة التخاطب والتدوين والمراسلات الرسمية للممالك الإسلامية .

ويتضح أن كل فرد مسلم في إفريقيا يلهج لسانه بالكلمات العربية يومياً وأن كان أمياً لا يقراءة إنطلاقاً من أدائه لصلواته وعباداته ودعائه وهذا يعني أن اللغة العربية ممارسة يومية في أرجاء القارة الإفريقية ([5]) وهنالك استخدام للكلمات العربية بشكل واسع مثل مسجد ، قرآن ، صلاة ، زكاة ، حج ، رمضان ، ..... الخ ([6]) .

---

[1]) بابكر حسن محمد قدرماري ،الأثر العربي في اللغات والثقافات الأفريقية ، مرجع سابق ، ص 46 .

[2]) بابكر حسن محمد قدرماري، كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي ، مطبعة جامعة أفريقيا العالمية ، 2006 ، ص 8 – 9

[3]) عبد الرحمن بن عبد الله سيسي ، (وضع اللغة العربية في جمهورية مالي) ، مجلدات الإسلام في أفريقيا ، المجلد الثامن ، مطبعة جامعة أفريقيا العالمية ، الخرطوم ، 2006م ، ص 389 .

[4]) إبراهيم على سالي (وضع اللغة العربية في المؤسسات التعليمية الحكومية بيوغندا جامعة ماكيري نموذجا)، مجلدات الإسلام في أفريقيا المجلد الثامن ، مطبعة جامعة أفريقا العالمية ، الخرطوم ، 2006م ، ص 167 .

[5]) بابكر حسن محمد قدرماري ، الأثر العربي في اللغات والثقافات الأفريقية ، مرجع سابق ، ص46-47 .

[6]) بابكر حسن محمد قدرماري ، كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي ، مرجع سابق ، ص7 .

و كان لهذه المملكة الوزراء والقضاء والكتاب والدواويين ، والسلطان لا يكتب شيئاً في الغالب بل يكل كل أمر إلي صاحب وظيفته من هؤلاء ، وكتابتهم بالخط العربي علي طريقة المغاربة ([1]) .

أما الصيغ الخاصة لمخاطبة ملوك مالي كانت مجهزة في ديوان الإنشاء الذي به المكاتبات الرسمية ومنها (أدام الله ناصر المعز العالي السلطان الجليل العالم المجاهد المؤيد الأوحد عن الإسلام ... ناصر الغزاة ... سبق الخلافة ... ظهير الإمامة ، عضد أمير المؤمنين الملك فلان) ([2]). ومن صيغ الدعاء في مكاتبات ملوك مالي (ويسر له القيام بفرضه ، أحن له المعاملة بفرضه ، وكثر سواده الأعظم ، وجعلهم بيض الوجوه عرضه ... تتنزل له سفنها المسيرة في البر ترسي وتحل عند ملك ينقص به رائدة ، وينسي منسي موسي وتقيم عليه ، والدهر لا يطرقه في ما ينوب ، والفكر لا يشوبه إلا إذا هبت من أرضه أو جنوب) ([3]) .

بدأ إنتشار اللغة العربية في غرب إفريقيا بتشجيع من ملوكها وذلك في القرن الحادي عشر الميلادي مع قيام مملكة غانا الإسلامية فأصبحت اللغة العربية لغة الدولة ولغة الدين والثقافة ثم جاء دور مملكة مالي الإسلامية إثر إضمحلال غانا فتواصل نشر الإسلام واللغة العربية خاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين فكانت فترة ذهبية لتطور اللغة العربية استجلب لها العلما ء من مصر والمغرب والأندلس ، ومع ظهور المراكز الكبير في المنطقة التي خرجت العلماء ... وفي ذلك الوقت كانت اللغة العربية تحظي بدرجة عالية من الإحترام من قبل المسلمين حيث أنها كانت لغة التواصل والدولة والمراسلات ([4]).

فإلتقاء الحضارتين العربية والزنجية في القرن السابع الميلادي ... فالحضارة الأولي أثّرت في الثانية تأثيراً ملحوظاً في جميع المستويات وهو الشئ الذي ساعد في إنتشار اللغة في إفريقيا وإحتلت مكانة مرموقة بين الزنوج وتنافس المثقفون الأفارقة لإكتساب مختلف المعارف بهذه اللغة وفي الحقيقة هي المحرك الأساسي بعد الدين للمرابطين واصحاب الطرق الصوفية الذين ساد بينهم تنافس شديد في التمكين من اللغة العربية من جهة وفي نشرها من جهة أخري فضلاً عن دور الطلبة الذين تخرّجوا في الأزهر الذين ساعدوا في نشرها بين الجماهير

---

[1]) عبد الرحمن زكي ، مرجع سابق ، ص119 .

[2]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص168 .

[3]) المرجع نفسه ، ص170 .

[4]) بابكر حسن محمد قدرماري ، كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي ، مرجع سابق ، ص8.

الأمر الذي أدي إلي إتفاق الباحثين الأوربيون والعرب علي الرغبة الملحة التي يمتاز بها الأفارقة لتعلم اللغة العربية وبالتالي الإنتماء إلي الحضارة العربية ([1]) .

كانت جميع المعارف تدرس بها لذا أصبحت لغة الدولة والثقافة لذا قامت بدور فعال في ميدان الثقافة العربية وأثرت في الحياة الفكرية وظهرت حياةً فكرية في مجال الأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية وظهور نوع من الكتابات الأدبية والشعرية والبلغاء ورجال الفكر امثال السعدي وكعت، فإنبثقت حضارة إسلامية متطورة ونامية أخذت بأسباب الرقي والتقدم والتحضر ([2]) .

اما اسباب إنتشارها فالعامل الديني وحده ليس كافياً في تعليل إنتشار اللغة العربية في أفريقيا ... بل إن هذا الإنتشار يمكن تعليله بعوامل كثيرة متداخلة ومتنافرة ومتشابكة مكملة لبعضها منها: ([3])

أ. عدم جواز ترجمة القرآن وكتابته بغير اللغة العربية التي نزل بها فضلاً عن عدم جواز القراءة بغير اللغة العربية في الصلاة ، ويعلل بعضهم ... إنتشار اللغة العربية في إفريقيا بالغرابة التي توجد بينها وبين اللغات السامية الأخري في المظاهر الصوتية واللفظية والنحوية .

ب.لعب العامل الحضاري دوراً هاماً ورئيساً في نشر اللغة العربية في إفريقيا وذلك لأن العلماء مجمعون علي أنه إذا إلتقت لغة ذات تراث حضاري راقى مع لغة أخري حظها من ذلك التراث أقل يؤدي هذا الأمر بدون ريب لتغلب وتفوق اللغة الأولي .

ج. قصور اللغات المحلية في إفريقيا قبل الإسلام عن إستيعاب المفاهيم الحضارية المختلفة .

لذلك اورد سيسي الكثير من الأسباب التي أدت إلي إنتشار العربية في مالي بقوله ... (فقد وصل العرب بلاد السودان يصاحبهم الإسلام والتجارة وإمتزجوا بالسكان الأصلين وتكونت بينهم علاقات أخوية إسلامية إرتقت إلي مستوي الإنصهار والتذويب عبر التزاوج والمصاهرة ... وإستعانة الملوك بالعرب واللغة العربية وثقافتها الإسلامية في توسيع ممالكهم وتنظيمها ... واصبح العرب جزءاً لا يتجزاء من المواطنين إلي يومنا هذا يعيشون والشعوب الأخرى جسماً متكاملاً لا يقبل الإنفصال ... تربطهم وحدة التاريخ والوطن والعقيدة).

---

[1]) الهادي المبروك الدالي،الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص63-64 .

[2]) محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية ، مرجع سابق ، ص142-143 .

[3]) الهادي المبروك الدالي،الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص142-143.

ومـن العـرب الـذين فـي مـالي، كمـا ذكـرهم سيسـي مـنهم ذوي (الأصـول اليمنيـة و المغاربيـة آل السيوطي ،آل البيت والأنصـار، الأمـوين(كنتـه)) ولكـنهم ذابـوا وإنصـهروا فـي المجتمع لذا أصبح للعرب وجود شرعي في مالي يسكنون في مناطق متعددة منها الشمال الغربي لنيورو وتارا علي الحدود الموريتانية مجاورين الفلاتة والسراكولا وفي المناطق الشمالية تمبكتـو ، غـاو ، كيـدال، وينتشـرون بـين صـنقي والطـوارق ويشـتهرون رسـمياً بالحسـانين منقسمين إلي رعاة وتجار بالإضافة إلي قبائل (كنته) والتي تنتمي إلـي عقبة بن نـافع الفهري وآل بريس المنتمين إلي العلويين أما سكان (أروان) فينتمون إلي أصول مختلفة([1]).

ومن خلال ما أورده سيسي يتضح جلياً مكانة اللغة العربية في مالي بدليل أنه حتى بعد وقوعها في يد الاستعمار الفرنسي كانت هنالك جهوداً جبارة من قبل الوطنيين للمحافظة علي اللغة العربية من التشويه فضلاً عن إهتمام السكان بها بإعتبارها لغة الدين والقرآن رغم محاولات المستعمر الفرنسي للحد من إنتشارها وفشله في ذلك ... فبعد الاستقلال مباشرة برزت قضية اللغة العربية في إجتماعات الحكومة الوطنية وما هو تصنيفها هل هي لغة أولي أو ثانية أو وطنية وقومية ... ألخ ؟

ومن خلال هذه القوة والمكانة وجدت لها مكانةً وحضوراً دائماً في الدولة بل سعت الحكومة الوطنية لعدم إهمالها لنواحي سياسية ودبلوماسية لمكانتها ويمكن تلخيص هذه الأمر كما أورده سيسي في الآتي :

أ. هي لغة وطنية يستخدمها السكان العرب الحسانية .

ب.لغة تدرس في التعليم الشعبي (المدارس العربية الإسلامية) .

ج. لغة إختيارية في التعليم الرسمي ([2])

فبهذه الأسباب التي ذكرها البحث وما لم يذكرها وترك عدم ذكرها لقرائن الأحوال إستطاعت اللغة العربية في مملكة مالي أن تكون إحدي العوامل المهمة في التواصل الإجتماعي أبان الإزدهار الإسلامي في المملكة .

[1]) عبد الرحمن عبد الله سيسي ، مرجع سابق ، ص373-379 .

[2]) عبد الرحمن عبد الله سيسي ، مرجع سابق ، ص381-391 .

الفصل الثالث

البناء الاجتماعي في مملكة مالي وأثر الإسلام في تطوره

المبحث الأول

الحياة الاجتماعية في مملكة مالـي

البناء الاجتماعي ، هو الإطار التنظيمي العام الذي تندرج تحته كافة أوجه السلوك الإنساني في مجتمع ما ، ويتضمن مجموعة النظم الاجتماعية ذات القواعد السلوكية المستقرة التي تحكم الأنشطة الإنسانية المتعددة في مجتمع ما ، وبمعني آخر يمكن تعريف البناء الاجتماعي بأنه مجموعة من الأطر التنظيمية التي تنتظم في إطارها كافة العلاقات الإنسانية ، سواء تلك العلاقات البينية بين الأفراد أو الأشخاص داخل مجتمع ما أو تلك العلاقات التبادلية بين الأفراد في مجتمع ما وغيره من المجتمعات . ويمكن القول إن البناء الاجتماعي هو النظام الاجتماعي العام . وهو عبارة عن مجموعة النظم الاجتماعية الرئيسية والفرعية داخل المحيط البيئي لأي مجتمع . والنظم الاجتماعية التي تشكل في مجملها البناء الاجتماعي هي في حد ذاتها عبارة عن مجموعة مترابطة من الظواهر الاجتماعية المرتبطة بالسلوك الإنساني وتحدد طبيعة كل نظام اجتماعي بموجب هذا الترابط بين مجموعة الظواهر الاجتماعية المتعلقة بناحية معينة من السلوك الإنساني التي تميز كل نظام اجتماعي على النظام الآخر ([1]) .

والبناء الاجتماعي هو إطار المجتمع كعلاقة منظمة بين الوحدات الاجتماعية المختلفة (التجمعات القائمة على القرابة ، الجنس ، السن ، المصلحة المشتركة).

وهو (تنظيم العلاقات الاجتماعية في كيان واحد) وهو(نسق للتجمعات الرسمية وغير الرسمية التي تنتظم السلوك الاجتماعي للأفراد) وهو أيضاً (تنظيم أشخاص في علاقات منضبطة ومحددة)، وهو(شبكة مركبة من العلاقات الاجتماعية)([2]) .

هنالك تعريفات كثيرة للبناء الاجتماعي تعطي نفس معني الحياة الاجتماعية ، وأقصد من استخدامي للفظ البناء الاجتماعي "الحياة الاجتماعية" ولعل الناظر إلى المعنيين يتخيل وجود اختلاف بينهما لكن المعني واحد تقريباً .

---

[1] www.babylon.com

[2] www.annabaa.org

فوجود الجماعات البشرية يعني بالضرورة وجود تفاعل اجتماعي سواء كان في المدرسة أو العمل أو المجتمع المحلي بغض النظر إذا كانت هذه الجماعة صغيرة العدد أم كبيرة . ومن البديهي أن يكون بعض أفراد هذه المجموعات في بؤرة العمل الجماعي أي دورهم أساسي في التفاعل الاجتماعي وبعضهم يرضي لنفسه أن يكون هامشياً مع كونه ضمن الجماعة ([1]).

يذهب بعض الكتاب خاصة الأوربيين إلى القول بأن المجتمعات الإفريقية مجتمعات مجزأة ومقسمة إلى شرائح اجتماعية منفصلة عن بعضها وغير متداخلة ([2]). وهذا غير صحيح ، فالسعدي عندما يصف جني يقول "بها حوالي 7 ألف قرية و77 قرية متقاربة"([3]). لذا يمكن القول ، إن أعظم تطور في النظام الاجتماعي والسياسي نشأ بين الزنوج في غرب أفريقيا في المنطقة المعروفة بالسودان من الصحراء الكبرى شمالاً والمنطقة الاستوائية جنوباً ... وعندما كانت جني وتنبكت مزدهرتين، كانت كثيراً من شعوب شمال أوربا شرعت في مجرد النهوض من الحالة شبه البربرية التي كانت تتردي فيها([4]) .

استطاع الإسلام كنظام حياة متكامل كما سبق القول أن يعيد صياغة الحياة الاجتماعية في بلاد السودان الغربي والأوسط في العصور الوسطي ، فبانتشاره امتلك أهل البلاد وسائل التغيير والتعمير ، فأقاموا الإمبراطوريات والدول وأنشئوا المدن التجارية وبرزت المراكز الثقافية ، فانعكس ذلك على الأخلاق والعادات والتقاليد وكافة مكونات الحياة الاجتماعية .

المؤرخون الأوائل كانوا يوجهون جل اهتمامهم ببحث الجوانب السياسية وتتبع أخبار الملوك والأمراء والطبقات الحاكمة ولا يعيرون أي اهتمام للشرائح الدنيا من المجتمعات ([5]) فيأتي حديثهم عن مشمولات الجغرافيا البشرية ونشاط السكان ناقصاً بشكل دائم ومستمر . وهذا ما عاني منه الباحث لأن البحث في الجوانب الاجتماعية صعب لا يحتمل الخطأ ،

---

[1]) www.alhadiah.com . للمزيد أنظر ، مشريط على ، القياس الاجتماعي (دروس في علم النفس الاجتماعي) ، الشبكة الدولية للمعلومات ص2 وما بعدها .

[2]) عز الدين عمر موسي ، إنتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر الميلادي ، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية، بالاشتراك مع جامعة أم درمان الإسلامية، 1983،المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة، بغداد، 1985 ، ص47 .

[3]) السعدي ، مرجع سابق ، ص13 .

[4]) أينا كورين براون ، الملونون ، مطبعة المعرفة ، (دون تاريخ) ، ص35 – 36 .

[5]) تدل أسماء الكتب على هذا المنحي ، مثلاً : تاريخ الرسل والملوك للطبري ، الأنيس المطرب بروض القرطاس بأخبار ملوك المغرب ، تاريخ مدينة فأس ، لأبن أبي زرع ، تذكرة النسيان في أخبار ملوك السودان ، لأبن صور ، السلوك لمعرفة أخبار الملوك والذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك ، للمقريزي . وأستمر هذا النهج في التاريخ للحكام والأكابر على عهد الدولة الإسلامية السودانية ، فسمي محمود كعت كتابه ، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع الدهور وعظائم الأمور .

لكن لا بأس من توسيع دائرة المقارنة والاستنتاج لرسم صورة لمعالم الحياة الاجتماعية في مملكة مالي خلال الحقبة التاريخية المقترحة للبحث مع بعض الحذر.

كانت مالي في ذروة اتساعها في عهد منسا موسي ومنسا سليمان تشمل كل إفريقيا الغربية بما فيها السهل السوداني وهكذا فقد اندمجت شعوب وأعراق مختلفة في مجموعة سياسية واحدة وهم الرحل والرعاة وسكان السهل وسكان السافنا ([1]) فكانت مليئة بالسكان وكانت مدينة جني بها حوالي 777 قرية قريبة من بعضها وفكرة هذا التقارب تسهيل توصيل كلام الملك إذا ما أراد استدعاء أحد من السكان كما بها الأسواق الأسبوعية كما قال السعدي ([2]) ، أما كعت فيقول إن مالي (تضم حوالي 400 مدينة وإن أرضها في غاية الثراء ولا وجود لها بين ممالك العالم الأخر بلد أجمل منها سواء سورية* التي كانت سكانها أثرياء ويعيشون في يسر)([3]).

وبهذا يمكن القول ، إن مملكة مالي بها حوالي 40 إلى 50 مليون* نسمة وكانت أودية النيجر والسنغال تعج بالبشر وكان تعداد سكان عاصمة نياني في القرن الرابع عشر لا يقل عن 100 ألف نسمة ([4]) .

وكما سبق القول أنه في عهد ماري جاطة قد أقيمت صلات بين أسماء العشائر المندانقية وأسماء عشائر تنتمي إلى أعراق السودان المختلفة وسادت هذه القرابة "الوهمية" بين الأعراق واستمرت هذه الممارسة بعد ماري جاطة . فقد خفف هذا النسب العديد من حالات التوتر بين الجماعات العرقية . وتقول الرواية إن ماري جاطة قسم العالم أي أنه حدد حقوق كل عشيرة وواجباتها ، وقد أتخذ إجراءً خاصاً وزعت بمقتضاه قبائل الصوصو على الطوائف الحرفية وأعتبر إقليمها من أملاك الإمبراطورية . وكان لهذا الدستور نفعه العظيم وآثاره البعيدة المدى ، ذلك إنه أخذ أولاً عن إمبراطورية غانا تنظيمها للطبقات الاجتماعية لكنه قنن نظام الطوائف الحرفية بحيث أصبحت وراثية ([5]).

---

[1]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، 165 – 167 .
[2]) السعدي ، مرجع سابق ، ص13 .
*) ربما يقصد بها جمهورية سوريا الآن.
*) يبدو إن هذا الرقم كبير علي الرغم من كثرة القرى والمدن في المملكة
[3]) كعت ، مرجع سابق ، ص67 .
[4]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص 167 .
[5]) المرجع نفسه ، ص 145 – 146 .

ويمكن القول أن المجتمع يتكون من الآتي : الطبقة العليا ، وهي طبقة الملوك . طبقة أصحاب الأراضي والملاك، طبقة العلماء، طبقة أصحاب المهن والحرف ، طبقة العبيد . وسوف نتعرض للحديث عنهم لاحقاً .

نستطيع القول إن البناء الاجتماعي في بلاد السودان الغربي والأوسط قام على القبيلة في المقام الأول فقد كانت الحياة تسير في إطار محدد من التقاليد والتعاليم المحلية وكانت القبيلة هي الفلك الذي تدور حوله العادات والتقاليد والنظم الاجتماعية ([1]).

والذي أستجدّ في مملكة مالي الإسلامية هو سمو القاعدة الفكرية لدخول الإسلام وانتشاره وأتساع الرقعة البشرية التي قام عليها الكيان الاجتماعي لتشمل قبائل الماندنقو المعروفة وهي المالنك والبامبارا والدويلا والبوزو والسونيك والونقارا والجيولا والسيرر، ثم القبائل التي تحالفت مع الماندنقو مثل الهوسا والفولانيين والجلف والتكرور أبان حروبها مع الصوصو ، وبدخول مالي مرحلة الدولة للأعمال التي قام بها ماري جاطة نستطيع القول إن مفهوم شعب قد حل محل مفهوم قبيلة بدليل أن أبرز قواد مالي أمام الصوصو كان القائد ساني نيانجا الذي ينتمي إلى أسرة التروريين التي سبقت أسرة كيتا ولم يكن ليحدث ذلك في ظل سيادة العشائر القبلية .

لقد عمل الإسلام على تفتيت النظام القبلي في مجتمع مملكة مالي وأستبدله تدريجياً بنظام الإخاء الإسلامي بعد قرون من الحروب القبلية الطاحنة ([2]) وقد أرجع السر سيد أحمد العراقي ازدهار مملكة مالي إلي سندها الشعبي الذي توفر من تجمع شعوب الماندنقو وأحلافهم من الهوسا والتكرور والفولاني وغيرهم، ولعب العلماء والفقهاء والأئمة دوراً هاماً في توجيه حركة المجتمع. حيث أصبح تعليم القرآن والفقه من هموم الناس اليومية في المملكة ([3]).

ولقد شاهد ابن بطوطة خلال رحلته لمملكة مالي كيف يضعون القيود في أرجل أولادهم حتى يكملوا حفظ القرآن ويبكرون في الذهاب إلى المساجد يوم الجمعة ومن يتأخر لا يجد له مكاناً داخل المسجد ، ولقد أعتبر ابن بطوطة ذلك من عاداتهم الحسنة ([4]).

فبفضل الإسلام أتصل الأفارقة بأرقي الحضارات الإنسانية وهي الحضارة الإسلامية

---

[1]) شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق ، مرجع سابق ، ص8 . جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 84 . حسن عابدين والسر أحمد العراقي، مرجع سابق ، ص 62 .

[2]) حسن عابدين والسر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 62 .

[3]) السر سيد أحمد العراقي ، الإسلام في غرب أفريقيا ، موقع مبارك قسم الله الإلكتروني .

[4]) ابن بطوطة ، مرجع سابق ، ص 265 .

فتنوعت أعمال الناس على اختلاف أصنافهم بين الصناعة والزراعة وممارسة الحرف الأخرى ([1]) .

ذكر الكثير من المؤرخون والكتاب العرب أن السلطان الذي جلس على عرش مالي بعد ماري جاطة هو أبنه منسا ولي الملقب بالسلطان (الأحمر) ومعناها (الأبيض) لأن لونه لم يكن صريحاً في التزنج ([2]) وإلي ذلك ذهب الرحالة الإنجليزي (مور) عندما وصف قبائل الماندنقو بقوله (أنهم ذوو بشرة سمراء يشبهون العرب ويتكلمون العربية ويأبون الظلم ولا يقيمون على الضيم متعاونون متمسكون بأهداف الدين ولا يشربون الخمر) ([3]).

وعلى ذكر الخمر ذكر زناتي "إن من العادات الشائعة في المجتمعات القبلية الأفريقية تعاطي مشروبات مسكرة تصنع من المواد المحلية وتقدم في المناسبات الكثيرة لديهم . إلا أن الإسلام يحرم على المسلمين شرب الخمر ولهذا فإن اعتناقه يستتبع تخلي الأفريقيين عن عاداتهم القديمة في هذا الخصوص ([4]).

لقد كان المجتمع المالي في العصور الوسطي مجتمعاً طبقياً يأتي في قمة هرمه الملك الذي يلقب بالإمبراطور أو الكي أو المنسا أو السلطان ، وله سلطات مطلقة ويخضع له شعبه خضوعاً تاماً فيه شيء من التقديس ، يليه نوابه ووزرائه وقواده وحاشيته الذين غالباً ماينتمون للأسرة الحاكمة . وكان للقضاء والعلماء والفقهاء والمعلمين سواء كانوا من أهل البلاد أو الوافدين إليها منزلة وحظوة لدي سلاطين مالي ([5]) وقد تحدثّ الكثير من المؤرخين والرحالة والكتب العربية الحديثة عن الاحترام الذي يبديه شعب مالي لملكهم وهو احترام يقرب للتقديس والعبودية فله من تحيته ومخاطبته والوقوف أمامه تقاليد مرعبة ، فهي بلا شك من بقايا الوثنية ، لأن ابن بطوطة يقول فيها "أن لم يشاهد في أي مكان آخر مثل الاحترام الذي يبديه أهل مالي بسلطانهم"([6]).

ظاهرة تقديس السلطان ليست هي الوحيدة في مملكة مالي بل ظلت تمارس في جميع الممالك في غرب أفريقيا ، لكن لانتشار الإسلام في هذه الممالك والوجود العربي فيها

---

[1]) حسن عابدين والسر سيد أحمد العراقي ، مرجع سابق ، ص 63 .
[2]) إبراهيم طرخان ، إمبراطورية مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص63 .
[3]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 84 .
[4]) محمود سلام زناتي ، مرجع سابق ، ص 189 – 190 .
[5]) إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 131 . الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقتها مع مراكز الشمال مرجع سابق ، ص 59 – 62 .
[6]) أبن بطوطة ، مرجع سابق ، ص259 – 260 . محمود كعت ، مرجع السابق ، ص35 . أمين مألوف ، ليون الأفريقي ، ترجمة عفيف دمشقية ط1 ، دار الفارابي ، بيروت ، 1999م ، ص 181 .

تدريجياً بدأت تنتهي هذه الظاهرة ، لأن ليس من صفات العرب عند الدخول إلى السلطان استعمال طقوس معينة كما في هذه الممالك ، ومما يدل على تدرج نهايتها استخدام التصفيق عند دخول العرب إلى ملك غانا ([1]) .

وعرفَ مجتمع مالي في هذه الحقبة وقبلها "الرّق والاسترقاق*" والاتجار فيه كغيره من بلاد مجتمعات السودان ، بل والمجتمعات الإنسانية قاطبة ، فقد توفرت السبل والعوامل المساعدة في انتشاره وازدهاره من حروب قبلية مستمرة وصراع سياسي بين الممالك والإمبراطوريات ، وقد تحدث المؤرخون عن حروب مالي من أجل وصول الإسلام في بلاد الكفار عند أطراف الغابات الاستوائية ([2]) كما تحدثوا عن العبيد والجواري من بلاد السودان بأسواق مصر والمغرب والحجاز .

الإسلام بلا شك قد حدّ من هذه التجارة البغيضة وقيدها بضوابطه الشرعية المعروفة ولا تجد في المصادر ما يشير إلي ازدياد رقعتها بعد انتشار الإسلام بل العكس هو الصحيح فقد انحصر مصدر الاسترقاق في أسرى الحرب ثم يسّر الإسلام القضاء تدريجياً على الاسترقاق عبر هذا المصدر الوحيد مما جعل تحرير الرقيق بالعتق من أجل القرابات ([3]).

قال تعالي : (وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ) (4) وأدرج تحريرهم ضمن مصارف الزكاة السبعة ، قال تعالي (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاء وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)([5]) .

وجدت في مملكة مالي طبقة من المحررين عرفت باسم البولا وهم يشبهون طبقة الكوسا التي وجدت في مملكة غانا ، ولكن طبقة البولا أكبر حجماً وأبعد أثراً فى الحياة الاجتماعية والعسكرية ، وكانت هذه الطبقة قديماً تؤدي الخدمات بالمنازل وخدمة القصور وكان لكل فئة أو طبقة في المجتمع عبيدها الخاصة بهم ، ولكن كما سبق القول أن ذلك لا يعني أنهم طبقة معزولة تماماً ليست لها أي طموحات أو متطلبات أو آمال مستقبلية ففي أحيان كثيرة كان منهم المحررون المتعلمون الذين تقلدوا المناصب ... وقد أعتمد عليهم السلاطين أبان قيام مملكة مالي، بل منهم من حكم المملكة نفسها . كما لم يكن لدي بعض

---

[1]) الهادي المبروك الدالي ، الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية ، مرجع سابق ، ص 27 . إبراهيم طرخان ، إمبراطورية غانا الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 78 – 80 .

* كثير من المؤرخين يقولون أن أهل لملم تعرضوا للسبي والرّق من أهل سلي وتكرور وبرسي . أنظر : الإدريسي ، مرجع سابق ، ص 19.

[2]) أنظر الفصل الثاني ، إسلام الكيانات السياسية ، انتشار الإسلام في مالي ودور ملوك مالي في نشره .

[3]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص85 .

[4]) سورة البلد ، الآية (12-13) .

[5]) سورة التوبة ، الآية (60) .

سلاطين مالي أي عيب أو ضغينة من أن يتزوجوا من نساء طبقة العبيد المحررين البولا التي أصبحت طبقة مستقلة ([1]). ووجود طبقة من الرقيق المحررين بهذا الحجم وهذه القوة يدل بجلاء على الأثر الإسلامي الفعال في حركة تحرير الرقيق في مملكة مالي .

ولكي تكتمل صورة البناء الاجتماعي لابد أن نلقي نظرة على مكانة المرأة والأسرة في ذاك المجتمع ، فقد كانت المرأة في العصر الوثني ببلاد السودان تعتبر بعض متاع الرجل وخادمته الدائمة بواجبات لا حصر لها دون أي حقوق ، وقد كانت بعض النساء في مجتمعات مالي في العهد الوثني يئدن أطفالهنّ لكي لا يهجرهنّ الرجال ، وكان من عاداتهم السيئة أن لا يقرب الرجل زوجته طوال فترة الحمل والرضاعة ، ولهم الكثير من محرمات النسب . فجاء الإسلام وحرر المرأة من استعباد الرجل فأصبح الزواج بعقد شرعي ينظم حقوقها وواجباتها، وأم تحت أقدامها الجنّة، وإرتقع شأنها فأصبح المهر والصداق ومؤخر الصداق وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية، فانطلقت في المجتمع المالي فأصبحت تلعب دوراً هاماً في الأسرة ، وشريكة للرجل ، فلبست الملابس المحتشمة التي تصون كرامتها وتحفظ عرضها ، متأثرة في ذلك بنساء المغرب العربي اللائى اقتبست منهنّ الكثير من أدوات الزينة والجمال ، وقامت المرأة بأداء الكثير من الأعمال والحرف إلى جانب تربية الأبناء والأعمال المنزلية مثل : الغزل والنسيج ودبغ الجلود وصنع الحلي وتربية الدواجن والأغنام ([2]). فلم تنحط مكانة المرأة في ظل الإسلام بدليل أنتساب أعظم السلاطين في مالي إلى أمهاتهم مثل : كنكن موسي الذي نسب إلى أمه نانا كانجو([3]).

لقد كان مجتمع بلاد السودان الغربي على العهد الوثني قبل الإسلام مجتمعات السلطة الأمومية كغيرها من المجتمعات الأفريقية التي يرتبط فيها النسب والميراث بالأم وليس الأب ... وقد ساد النظام الأمومي في مالي فترة طويلة حتى في ظل الإسلام ، فقد ظل الرجل يرثه أبناء بناته وأبناء أخواته دون أبناء صلبه وأنسحب ذلك على عرش مالي. ولقد عرف نظام الأمومة في نواحي شتي من أفريقيا ، مثل : سلطنة الفور والنوبة والبجا

---

[1]) وداد نصر محمد السيد الطوخي ،مدينة تُنكبتُ منذ نشأتها حتى دخول السعديين، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية قسم التاريخ ،جامعة القاهرة،1986، ص 140 .

[2]) نعمة عبد السلام ، مرجع سابق ، ص 186 . محمود سلام زناتي ، مرجع سابق ، ص 101 – 103 ، 105 – 109 . شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق ، مرجع سابق ، ص 6 – 8 . قنسان مونتاني ، مرجع سابق ، ص 190- 192 . أنظر : حسنات عوض ساتي (المرأة الأفريقية الواقع والمأمول)(المرأة السودانية نموذجاً) ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد (35) ، مركز البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة أفريقيا العالمية 2006م ، ص 119 وما بعدها .

[3]) إسماعيل محمد إسماعيل ، مرجع سابق ، ص 46 .

والميدوب بالسودان، والجوكن، والطوارق، والديجو في كينيا ([1]). أما الأسباب التي أدت إلى انتشار هذه الظاهرة: هي جعل القرابة من جهة الأم هي أساساً لتكوين جماعة القرابة والعشيرة، فالأولاد لا يعتبرون أعضاء في جماعة أبيهم وإنما يعتبرون أعضاء في جماعة الأم ... وأقارب الأم لهم أهمية في حياة الأبناء أكثر من جهة الأب ، والخال له من الحقوق وعليه من الواجبات ما يتجاوز كثيراً حقوق الأب وواجباته([2]) ومن الأمثال التي يمكن تسجيلها في هذا الصدد : عند الماندنجو (إن أمك وأختك هما أكثر من يحبك في عائلتك)، التكرور (لا سلام حيث تكون الأم غائبة)، المرأة في غانا تقول (أنا أم الرجل) عثمان سمبين* له أقصوصة أسمها الأم يقول فيها (المجد لكي أيتها المرأة يا بحر الحنان الواسع ، فليكن فجر رقّتك مباركاً ، فليسبغ عليكن الثناء ، أيتها النساء ، يا ينابيع لا تنضب ، أنتنّ اللواتي تغلبنّ على الموتى)([3]).

لكن في ظل الإسلام بدأ الإنسان الأفريقي في هذه الممالك وخاصة في مملكة مالي ينتسب إلى أبيه .

ومن الطبقات الهامة في المجتمع المالي وكان لها تأثير بالغ في حركة المجتمع هي طبقة العلماء والمثقفين من قضاه وعلماء وفقهاء ومعلمين ، ولقد حظيت هذه الطبقة باحترام ملوك مالي وبتقدير الحكام ورجال الدولة ، كما كانوا يتمتعون باحترام عامة الشعب ، ولم يفرق في مملكة مالي بين العالم الأفريقي والعالم الوافد ، فقد حظوا جميعاً بإقطاعيات السلاطين وعطايا الحكام ([4]).

وكما سبق القول سكن هؤلاء في المراكز الثقافية الكبرى ، مثل : تنبكت وجني وجاو وولاته*.لكن الملاحظ ، كان العلماء مصلحين غير مرتبطين بالحكام بل يعملون على تصحيح أخطاء الحكام ، وهذا ما جعل العامة يلتفون حولهم ... ولعلّ هذا ما يفسر سر إقبال العامة على الإسلام في الوقت ذاته كانت الطبقة المسيطرة تحاول أن تجعل منه أداء لسيطرتها ووسيلة لبسط سلطانها وطريقة لإضفاء الشرعية على هيمنتها واستقلالها([5]).

---

[1]) محمود سالم زناتي ، مرجع سابق ، ص95 – 100 . جعفر محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 88 .

[2]) محمود سالم زناتي ، المرجع نفسه ، ص 95 .

* شاعر وأديب سنغالي

[3]) قنسان مونتاني ، مرجع سابق ، ص 195 .

[4]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 87 .

* أنظر : الفصل الثاني (فصل المراكز الثقافية) .

[5]) عز الدين عمر موسي ، مرجع سابق ، ص56 – 57 .

المبحث الثاني

الحرف والعادات والتقاليد

كانت الحرف التقليدية في بلاد السودان الغربي هي الصيد والقطاف* وما يتصل بها من صناعة الأدوات البسيطة ، وقد أرتبط دخول الإسلام في البلاد بحرفة التجارة فقد كان الدعاة المسلمون في أغلبيتهم الساحقة من التجار الذين يقومون برحلات موسمية حاملين بضائعهم إلى أقاصي الغابات الاستوائية وما لبث الماليون الذين اعتنقوا الإسلام مبكراً إن امتهنوا التجارة ووصلت بضائعهم إلى شمال أفريقيا منذ القرن الخامس الهجري – الثاني عشر الميلادي ، وخرجوا بذلك من عزلتهم التي هيمنت عليهم في العصور الوثنية وقد برز فرعان كبيران من شعب الماندنجو في حرفة التجارة هما السوننك والديولا ([1]).

ارتبطت التجارة في مالي بحرفة التعدين وقد عملت قبائل البمبارا بالتعدين في مناجم الذهب في إقليم ونقارا ويمبوك وبونت والبودون، وعملت جماعة البوزو والصومونو في تعدين النحاس في منطقة تكدا ، وأشتغل الكثيرون في مناجم الملح بتغازا أغلبهم من قبائل البربر صنهاجة اللثام ([2]) ، ولقد أدت التجارة إلى قيام المدن الزاهرة في بلاد السودان الغربي مثل تمبكتو ، جاوا ، ولاتة ، اقاديس ، أودينا ، كاتسينا وكانو ، وقد أقام في هذه المدن التجار العرب المسلمون مع الأفريقيين في ظل الإخوة الإسلامية وأقيمت الأسواق في أيام معلومة تقليداً لأسواق المغرب العربي ([3]).

إلى جانب التجارة مارس شعب مالي شتي أصناف الحرف ومختلف أنواع المهن فعملوا بالزراعة وتربية المواشي ، وقد برع شعب الديولا من فروع الماندنجو بتربية المواشي ، وكانت المواشي خير معين لأهل مالي للإقلاع من العادات الغذائية السيئة كما كان لتوقف النزاعات القبلية خير معين لتوقف السلب والاسترقاق أثراً حميداً على استقرار مجتمع مالي ([4]).

وفيما يختص بجانب الغذاء، ذكرت المصادر أن السكان كانوا يتناولون لحوم الكلاب وأكل الجيف . لكن هؤلاء ليسوا سكان مالي المسلمين بل هم الكفار الوثنيين ، لأن نتائج

---

* تعني الكلمة إنزال الثمار من الأشجار أو قطف الثمار من الأشجار.

[1]) إبراهيم طرخان مملكة مالي الإسلامية ، مرجع سابق ، ص 53 – 55 .

[2]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 103 .

[3]) أحمد ألشكري ، مرجع سابق ، ص97 .

[4]) وداد نصر محمد السيد ، المرجع السابق ، ص 139 . جعفر خلف الله محمد سبو ، مرجع سابق ،ص 103 .

البحوث الأثرية في أدو غشت جاءت مؤكدة اعتماد أهل السودان في غذائهم علي الدخن([1]) وهنالك إشارة واضحة من بعض المصادر تؤكد تناول السكان في مالي الحب واللحوم خاصة الضأن والبطيخ والقرع والأرز وصيد الأسماك التي كانت رائجة في المملكة ولها جماعات متخصصة مثل السوموتو والبوزو والسروكو وله أنواع منها المجفف والمدخن ويباع في كل أنحاء الإمبراطورية ، فبدأ الناس في المملكة يتناولون غذاءهم في جماعات وفى بيوت السلاطين وفق الشرع الإسلامي ، حتى أصبح المسافر لا يهم بالأكل لتوفره وهذا دليل على وجود الزراعة وإنتاجها الغزير ([2]) .

أما طوائف الحرفيين كان يمثلها لدي سلطان مالي رؤساء يتلقون الأوامر فينقلونها إلى طوائفهم وهكذا كان كل من رؤساء الحدادين وصيادي الأسماك والإسكافيين مسؤلين في الواقع عن طوائف حرفية حقيقية ولهم دور كبير في الصناعة ، وكان للسلطان مصانع للأسلحة يقوم بها هؤلاء ، والملاحظ أنهم كانوا يتزاوجون داخل مجتمعاتهم ([3]).

المتوقع في ظل تنامي الإسلام في المنطقة أن يزول حاجز التقوقع داخل الطبقة الواحدة والدوران حولها إجتماعياً للانفتاح الكبير الذي ساد المجتمع ، ولعل ظاهرة عدم خروج طوائف معينة تمارس حرف محددة وعدم تزويجها والزواج منها إلا في محيطها، هي ظاهرة قديمة في المجتمعات الإنسانية.

ومن الحرف التي مارسها أهل مملكة مالي غزل القطن والصوف ونسجه ، وقد راجت تجارة المنسوجات كما ازدهرت دباغة الجلود وصناعة الأحذية والسروج ، فكانوا يستوردون من المغرب الأقمشة الصوفية والقطنية ، وأثبتت الحفريات وجود (فلكات*) المغازل في أدوغشت منذ أزمان باكرة ، ومع انتشار الإسلام تخلص الناس من عادات العري التي توصف بهم وهذه الظاهرة رغم الكتابة فيها بشكل كبير لكن الملاحظة الجديرة بالذكر هي عند الوثنيين والجواري فقط وليس لدي عامة الناس كما يروج له، لأن حتى أصحاب المصادر يذكرون شجرة تغزل منها الملابس ، فهذا يدل على حرص السكان علي ارتداء الملابس ، وقد ذكر زناتي الأسباب العامة للعري وفصّله . وكما قيل "أن الإسلام والقطن

---

[1]) نعمة عبد السلام الحسن ، مرجع سابق ، ص 185 .

[2]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص 175 – 176 . ابن بطوطة ، مرجع سابق ، 248 – 258 . الحسن الوزان، مرجع سابق ، ص 164 . جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 106 . وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ، ص 160-162 .

[3]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص 172 ، 176 ، 181 .

* هي مجموعة من الأخشاب والحديد الذي يتم فيه الغزل اليدوي، وتُوضع فيها الخيوط لعمل الشكل المطلوب .

يقومان جنباً إلى جنب في السودان" ، لأن الأخلاق الإسلامية تفرض الحشمة الخارجية وأن كل من أعتنق الإسلام يلبس ثياباً قطنية ([1]).

فوجود الصناع ومصانع القطن في المملكة وتغلغل الإسلام في نفوس السكان غيّرت الصورة تماماً ، فقال الدكالي "لباسهم عمائم بحنك مثل العرب وقماشهم بياض من ثياب قطن تنسج عندهم في غاية الرّقة واللطف تسمي الكميصا* ولبسهم شبيه بلبس المغاربة جلباب ودراريع بلا تفريع والأبطال من فرسانهم تلبس أساور من ذهب كلما زادت فروسيته لبس معها أطوافاً من ذهب فإن زادت لبس مع ذلك خلاخل من ذهب وكلما زادت فروسية البطل ألبسه الملك سراويل متسعة وسراويلهم ضيقة أكمام الساقين متسعة الشروج "([2]).

وكذلك من حرف أهل مملكة مالي صناعة القوارب بمختلف أشكالها التجارية والحربية ومراكب الصيد لوجود نهر النيجر العظيم وتوفر الأخشاب الجيّدة ، وهذا ما تؤكده بعض الدلائل التي تحتاج إلى مزيد من الدراسة ، وهي قصة خروج السلطان بسفنه عندما أعتقد إن للبحر المحيط غاية تدرك ، الذي خلفه منسا موسي في الحكم، فأثار بعض الكتاب أمثال(فاينر وجيفرز) مشكلة اكتشاف الملانكة لأمريكا ، وبهذا يكون السود بلغوا السواحل الأمريكية قبل كولومبس بقرنين من الزمان ، ويبدو أن الملانكة بعد ما استوطنوا في السواحل وخاصة في غامبيا اهتموا بمشكلة الملاحة البحرية ويقول في هذا الصدد أيضاً (سرتيما) الباحث الإفريقي الأمريكي والذي تقدم بافتراض مفاداه (إن السود قد يكون أول من ركب البحر باتجاه أمريكا) وقد تناول في كتابه سنة (1976م) بالتحليل المدقق حضارة المكسيك وأمريكا الوسطي لكي يستخلص وجود عناصر مندانقية في هذه الثقافات . وهذه النظرية جذابة ولكنها تحتاج إلى المزيد من التأكيد ([3]).

ظهرت حرف جديدة في مجتمعات مالي الحضرية ومدنها الكبرى منها حرفة الوراقة وتجارة الكتب ونسخها ، فقد ذكر ابن الوزان إن صناعة وتجارة الكتب في مدن تمبكتو وجني وجاوا كانت رائجة وتدر أرباحاً كبيرة وأشتغل بها خلق كثير من طلاب العلم والمعلمين والمثقفين بوجه عام ، كما أشار إلى توفر كتب اللغة العربية التي أقبل تجار الماندنجو على تعلمها بحكم احتكاكهم بالتجار العرب المسلمين ، وأصبح للمعلمين المثقفين شأن عظيم في

---

[1]) قنسان مونتاني ، مرجع سابق ، ص321 . نعمة عبد السلام الحسن ، مرجع سابق ، ص 185 . محمود سالم زناتي ، مرجع سابق ، ص7-15

* يقصد به القميص

[2]) أحمد بن على القلقشندى ، مرجع سابق ، ص 287 . الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي وعلاقتها مع الشمال ، مرجع سابق ص85 .

[3]) جبريل ت نياني ، مرجع سابق ، ص162 – 163 .

مجتمع مالي ولفتوا أنظار العامة بسلوكهم القويم وهيئتهم المحترمة وملابسهم النظيفة فتأثر بهم الناس واهتدوا بهم وقلدوهم ([1]).

ولقد شهد حقل المعمار تطوراً هاماً في مملكة مالي الإسلامية ولانفتاح مالي على العالم الإسلامي نقلت إليها الكثير من تقاليد البناء الإسلامي خاصة المغربي ، فقد ذكر الإدريسي قصر ملك غانا في كومبي صالح وأشار إلى النقوش والخطوط المغربية . وقد أصطحب السلطان منسا موسي حين عودته من حجته المشهورة المهندس الشاعر الأندلسي الغرناطي ، أبو إسحاق إبراهيم الساحلي كما تقدم ذكره الذي خطط وبني الكثير من المساجد والقصور في شتي مدن مملكة مالي وقدم إلى مالي أيضاً المهندس إدريس المراكشي، ومن غدامس عبدالله الكومي، وقد اشتغل كلاهما بتصميم وتشييد المساجد والقصور والدور في تمبكتو وجاوا وجني فانتقل المجتمع المالي إلى مرحلة جديدة فبعد أن كانت المنازل تبني من القش والقصب والبوص وجذوع الأشجار وفروعها دخلت صناعة الطوب المجفف والمحروق استخدمت كمواد للبناء وبرع فيها المهندسون من أفراد الشعب المالي من قبائل الماندنجو وساد طابع العمارة المغربي مدن بلاد السودان الغربي مع تغيرات تُلاءم المناخ والمزاج الأفريقي كالبساطة وعدم المبالغة في النقوش ، وبرز الأثر الإسلامي في تقسيم البيت من الداخل فخصص الجناح الأمامي من المنزل للضيوف([2]) .

لقد نقل المؤرخ السنغالي (أنتاديوب*) وصفاً رائعاً للبيت في مملكة مالي من الداخل وتحدث عن نظافته وتفنن النساء في طلاء الجدران بالجير الملون الذي يجلب من المرتفعات، وتمثل الأثر المغربي في الآيات القرآنية التي كتبت بخط عربي جميل وهكذا امتزجت طراز العمارة الإسلامية تدريجياً بالتقاليد الأفريقية ([3]). ومن هذا يتضح أن هذه الحرف ذات مدلولات إسلامية ومتأثرة بها .

أما العادات والتقاليد في هذه المملكة: فقد صنفها الكتاب إلى عادات حسنة وأخري سيئة، فمن عاداتهم الحسنة([4]).:

---

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 104 . عثمان برايمباري ، مرجع سابق ، ص 28 . عمر بمبا ، مرجع السابق ، ص 28 .

[2]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 105 . نعمة عبد السلام الحسن ، مرجع سابق ، ص 186 .

* أنتاديوب : مؤرخ سنغالي أفني عمره لإثبات إفريقية الحضارة المصرية القديمة .

[3]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 95 .

[4]) حسن مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته (دراسة وتحقيق وتحليل) ، دار المعارف (بدون تاريخ) ، ص 33 . ابن بطوطة ، مرجع سابق ص 265 . أحمد شلبي ، مرجع سابق ، ص 252 . حسن عيسي عبد الظاهر ، مرجع سابق ، ص 126 – 127 . زاهر رياض ، مرجع سابق ص 127 – 128 .

قلة الظلم : فهم أبعد الناس عن الظلم وسلطانهم لا يسامح أحداً في شيء منه.
شمول الأمن : لا يخاف المسافر فيها ولا المقيم من سارق ولا قاصد ، ومنها عدم تعرّضهم لمال من يموت ببلادهم من البيضان ولو كانت القناطير المقنطرة من الذهب.
مواظبتهم على الصلوات: والتزامهم بها في جماعات وضرب أولادهم عليها كما أشار الإسلام ، والاهتمام بالذهاب مبكراً إلى المسجد يوم الجمعة ، ومن لم يبكر لا يجد مكاناً يصلي فيه من كثرة الزحام .
التشدد على حفظ القرآن : وضع القيود على من قصر في ذلك من أولادهم.

ولعلّ تأثير المذهب المالكي كان واضحاً وقوياً لصقل الجوانب الاجتماعية وطبعها بطابعه ، لقد كان الفقه المالكي أبلغ أثر في نشأة قيم اجتماعية جديدة وتهذيب أخري كانت سائدة حيث أصبح المذهب المالكي طابعاً مميزاً للحياة الأفريقية في جنوب الصحراء في مملكة مالي ، بل في كافة السلطنات الإسلامية التي ظهرت في غرب أفريقيا ([1]).

إضافةً إلى ذلك تعلق أهل هذه المملكة بالانتساب إلى البيت العلوي كما سبق ذكره شأنها في ذلك شأن الممالك الأخرى التي تحاول ربط نسبها بالرسول صلي الله عليه وسلم.

أما العادات والتقاليد التي ذكرتها المراجع العربية والتي تمثل الجانب "السيئ والقبيح" لديهم هي(3) :

- عدم استعمالهم اللبس
- قلة احتشام المرأة
- ظاهرة الاختلاط
- عدم الحجاب
- توريث أبناء الأخت
- كي أعضاء الجسم
- أكل الجيف واللحوم النية وأكل لحوم البشر
- ظاهرة العري خاصةً عند الجواري "وليس لدي عامة الناس"

أما في مجال المعتقدات الدينية شأنها في ذلك شأن الشعوب الأفريقية الأخرى والتي كما قلنا سابقاً عندما تناولنا الحياة الدينية قبل الإسلام بالمنطقة ، فقد أجمعت المصادر أن

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 92 – 96 .
3) حسن مؤنس ، ابن بطوطة ورحلاته ، مرجع سابق، ص 233. إبراهيم طرخان ، مملكة مالي الإسلامية ، مرجع سابق،ص126.

أهل مالي كانوا وثنيين يعبدون الأصنام "الدكاكير" ويقدسون مظاهر الطبيعة ولا يعرفون الديانات السماوية ، ويعتقدون إعتقاداً قوياً في السحر ولهم قصص ومشاكل فيه ، ويعتقدون في القوة الغيبية و قدرتها على التأثير البالغ في حياتهم كما يؤمنون بقدرة الأسلاف بالتأثير على حياتهم وتكييفها وتسييرها ([1]). أما في مجال نظام الحكم فيذكر أن الملكة "القسا" وهي الزوجة الكبرى تشارك الملك في الحكم(2) ، ويذكر أيضاً أن هذه المجتمعات شفهية لا تعتمد على الكتابة(3) وأن الذهب متوفر في بلادهم ويبادل بالملح من خلال عمليات التجارة الصامتة (4) .

لكن بكل تأكيد كل هذه المظاهر تدريجياً قد انتهت وبدأت تأخذ الطابع الإسلامي لأن الإسلام يوجب على معتنقه أن ينتهج سلوكاً إسلامياً وهذا ما أكده أصحاب المراجع العربية نفسها . وهنا لا بد من ذكر أنه معلوم لدي علماء الاجتماع إن التغيير الثقافي في مجال العادات والتقاليد يتسم بالبطء الشديد ويستغرق وقتاً طويلاً ، وعلى كل حال فقد تحول المجتمع المالي إلى مجتمع إسلامي وذلك لطبيعة الإسلام نفسه ، وكما ذكرنا أنه من أهم أسباب انتشاره أنه جعل الأفارقة أعزاء في أوطانهم ولم يسخر من العادات والتقاليد التي وجدها عندهم ، بل عمل على تغييرها ، ولعل من أهم ما اطلعت عليه من كتب صغيرة تدعم قدرة الإسلام على تغيير المجتمع نحو القيم والفضيلة، كتاب إلى الأستاذ أمين نعمان الصلاحي(5). وآخر للدكتورة ليلي حسن سعد الدين (6) .

وبهذا أستطيع القول تجلت حيوية وقوة المجتمع المالي في ظلال الإسلام في تنوعه وتعدد طبقاته ، فبرزت فيه فضيلة التسامح باستتباب الأمن في جميع أرجاء المملكة وظل يعمل الإسلام عبر القرون على تقوية النسيج الاجتماعي بإذابة الفوارق بين الطبقات واستبدال روابط القبيلة والعرق بالإخاء الإسلامي مما نعمت المملكة بالأمن الاجتماعي الأمر الذي لا حظه الكثير من الرحالة والمؤرخين الغربيين أنفسهم .

---

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 91 . قنسان مونتاني ، مرجع سابق ، ص 39 ، 84 . محمود سالم زناتي ، مرجع سابق، ص 17 ، 19 ، 21 ، 23 ، 7 ، 12 ، 13 ، 14 ، 15..

2) ابن بطوطة، مرجع سابق ، ص259-263.

3) إسماعيل محمد إسماعيل ، مرجع سابق ،ص1.

4) أ - ج هو بكنس، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، المطابع الأميرية ، 1998م ص 133 - 134 .

5) من وسائل القرآن في إصلاح المجتمع ، ط1 ، مركز البحوث والدراسات ، وزارة الأوقاف والشئون الاجتماعية ، "كتاب الأمة" ، العدد (127) ، قطر ، 2008م .

[6]) المرأة في الإسلام ، لجنة مسلمي أفريقيا ، الكويت ، شركة مطابع جرير ، 1978م .

المبحث الثالث

الاحتفالات والمواكب والأعياد

لا شك أن اختلاف البيئة في غرب أفريقيا عن مثيلاتها في بلاد الشرق الإسلامي والمغرب العربي ، قد أسهمت بقدر كبير في تشكيل المزاج الأفريقي ، فالديانات الوثنية

كانت تحتفي بمظاهر الطبيعة من رياح ورعد وبرق ومياه وحركة الكواكب والنجوم وكانت القرابين البشرية منها والحيوانية لاستقبال الأمطار والمواليد وتوديع الراحلين وتقام الاحتفالات البهيجة عند الزواج والختان والحصاد([1]). وجاء الإسلام ولم تدع تعاليمه إلى هدم القديم وإلقاءه كما سبق القول بل أبقي العادات والأعراف التي لا تتعارض مع عقيدة التوحيد ، وكما أشرنا إلى أن أسلمت العادات والتقاليد تتم دائماً في بطء وتدريج ، وعدم أخذ ذلك في الاعتبار أوقع عدد من المؤرخين والمستشرقين في خطأ جسيم ([2]).

لقد أسترعى احترام شعب مالي لسلطانهم انتباه الرحالة والجغرافيين والمؤرخين العرب فقد تحدث ابن بطوطة وابن خلدون والإدريسي والقلقشندى والبكري وغيرهم والصورة التي رسمها ابن بطوطة واضحة وجلية فقد ذكر احترامهم لسلاطينهم يقرب إلى التقديس والعبادة ، فمن أراد مقابلة السلطان "ترّب" أي وضع التراب على رأسه ولبس ملابس قذرة يرفعها إلي منتصف ساقيه كمن يستعد لخوض لجة ، ويؤدي التحية للسلطان وهو في وضع أقرب إلى الركوع ويتحدث معه في مناجاة بصوت أقرب إلى الهمس منه إلى الجهر ، ومن بغتة العطس أو نحوه في مجلس السلطان أنسطح على الأرض أو تقرفص حتى لا يسمع صوته ، أما سعال السلطان وعطسه فيقابل بالتصفيق والتحليل وقرع الطبول ([3]) . وهذا على الرغم من أن ابن بطوطة قد تحدث ميلاً عن عدل سلاطين مالي وبرّهم برعيّتهم حتى الأجانب منهم وعدم إقرارهم للظلم ولا يتسامحون أبداً من يظلم أو يرتكب من شأنه الإخلال بالأمن ([4]).

يمكن اعتبار مقابلة السلطان طقس احتفالي وثني ، وكما سبق القول ربما أظهر الإسلام في هذا الشأن لاحقاً ، هنالك مثل يقول عندما يحل الظلام ترقص أفريقيا (فالوزان وغريه) أكدوا أن أهل المنطقة قد فطروا على الرقص والمرح وتعودا على التجوال في المدينة بين الساعة العاشرة والواحدة صباحاً وهم يعزفون على آلات الطرب ويرقصون ([5]) ويهزون أنفسهم بعنف ويضربون أرجلهم بقوة ([6]) ولعل هذه الاحتفالات في العهد الوثني، أما في ظل الإسلام فأخذت الاحتفالات الطابع الإسلامي.

---

[1]) أنظر الفصل الثاني المدخل(1) الحالة الدينية قبل الإسلام .
[2]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 108 .
[3]) أبن بطوطة ، مرجع سابق ، ص 259 .
[4]) المرجع السابق ، ص 263 .
[5]) الحسن الوزان ، مرجع سابق ، ص 167
[6]) أمين معلوف ، مرجع سابق ، ص 181 .

كان لأقامة تلك الاحتفالات الدينية صدي عميقاً في النفوس وسروراً معنوياً والمجتمع يميل دائماً إلى المرح والبهجة من خلال تلك الأفراح التي تدخل السرور إلى أنفسهم متمثلة في تلك الأهازيج والموسيقي والآلات الشعبية التي تنطلق منها ألحانهم ومعزوفاتهم ونغماتهم المتميّزة على جميع الأنغام والألحان الأخرى ولعلّ للموسيقي في غرب أفريقيا مكانة متميزة .([1])

وتمتاز الاحتفالات الدينية بعبق ديني متميز وبلون خاص بها عن غيرها من الاحتفالات ومنها: رؤية هلال كل شهر عربي وهم يدعون الله سبحانه وتعالي في تحقيق آمالهم ويرون في ذلك فألاً طيباً برؤية الهلال في السماء . أما في الأشهر المباركة فتلك الأشهر متميزة عن جميع الأشهر الأخرى بأن لها وقعاً جميلاً في نفوسهم خاصة عند رؤية هلال رمضان الذي يفرحون جداً بحلوله ، وقد شهد ذلك ابن بطوطة، خاصةً في تقديم الطعام والشراب في دار السلطان وأمام المساجد ، حيث يوزعون التمر والخبز والحساء ابتغاء مرضاة الله للجميع سواءً السائل أو المسكين أو عابر طريق وهم يحيون لياليه بجوانبه الاجتماعية وتلاوة القرآن الكريم والذكر وبتزاحمهم على الطعام بصورة جذابة مغرية ([2]).

فالصوم شعيرة إنبهر بها الأفارقة إذ وجدوا فيها تجربة إيمانية مفعمة ، كما وجدوا فيها صورة غريبة تعجز خبراتهم الدينية المتوارثة عن تفسيرها وذلك لخلو هذه الشعيرة من المظهر المادي الملموس الذي هو السمة الغالبة في الأديان الوثنية ([3]) وشهر رمضان كما هو معروف لدي عامة المسلمين هو شهر العبادة والإحسان والصدقات والقرآن لذا تصبح فيه المنطقة أكثر حركةً ونشاطاً وأكثر وفوداً لطلاب العلم وقراء المساجد ليلاً ونهاراً وتعتبر المساجد أكثر امتلاء بالناس يعقدون الحلقات والندوات لتفسير اللغة والسنة وقراءة القرآن ومدح الرسول صلي الله عليه وسلم .

وكانت للأعياد الخاصة برمضان منزلة خاصة عندهم فعند حلول عيد الفطر تعم السعادة والفرحة الناس بانتهاء شهر الصوم واستقبال العيد واستخراج زكاة الفطر ، وذلك بنفخ الأبواق وقرع الطبول التي تصطحبها جلجلة كبيرة ، ويخرج الجميع لصلاة العيد في فرحة غامرة يلبسون أحلي الثياب ويشاركهم في ذلك السلطان بالصلاة في المسجد الذي يوزع علي المصلين بعضاً من الذهب ، وما شد إنتباه ابن بطوطة في هذه الاحتفالات تلك العادة

---

[1]) وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ، ص 153 . بشير زهدي www.arab-ency.com

[2]) وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ، ص 154 .

[3]) آدم بمبا ، رمضان ومظاهر الثقافة في مجتمعات غرب أفريقيا المسلمة . www.ruowaa.com

المتبعة عند جلوس السلطان على كرسيه وهو أشبه بكرسي العرش ومن حوله القضاة ورجال الدين وكبار الحاشية والجنود وصفوة القوم المتحلين بالذهب والفضة خاصة بعد صلاة العصر يوم الجمعة وذلك لتهنئته بتلك المناسبة العظيمة ، ويتغنون في ذلك الاحتفال بالأغاني التي تمدح السلطان، ويقدمون الشِعر على آلة صنعت من القصب والدرع وكذلك أبواق من أنياب الفيل ، وفى نفس الوقت يتم تقديم النصائح والمواعظ للسلطان والناس في شكل أشعار خفيفة مضحكة ([1]) .

أما في عيد الأضحى فيخرج الناس للصلاة في المساجد في جميع أنحاء المملكة خاصةً في تمبكتو وهو العيد الذي فيه أداة فريضة الحج ، والفرحة الغامرة بتلك المناسبة فكانت تقام الاحتفالات بنحر الأضحية وتوزيع لحومها على الفقراء والمساكين وتقدم في تلك الاحتفالات الدينية الألعاب الشعبية ويخرج الناس لرؤيتها وفيها أيضاً يخرج السلطان لاستقبال الحجيج بنفسه عند عودتهم من الأراضي المقدسة للتبرك بهم ... وأحياناً يقبل أيديهم وقدم الهدايا لهم ([2]) .

ومن المواكب التي لها شكل احتفالي،خروج السلطان لتفقد المدن والأحياء والأسواق والاستماع إلي المظالم وردها مع إنفاذ العقوبات الرادعة في الحال والجلوس للخصوم في الجرائم الكبرى ومعه كبير قضاته ، وهنالك أيضاً مجالس السلطان القضائية والاستئناف ، وهذا الخروج أيضاً تصحبه الموسيقي والطبول وحملة الأعلام ([3]). وهذا بلا شك معلم بارز من معالم الثقافة الإسلامية أتبع منذ عهد الخلفاء الراشدين وزاد عليه أهل سلاطين مالي المظاهر الاحتفالية الإفريقية ([4]) .

ولأهل مالي عادات احتفالية أخري إلى جانب الاحتفال بالعيدين الإسلاميين الكبيرين عيد الفطر والأضحى اللذان تقدم ذكرهما ، وهم يحتفلون بوداع واستقبال حجاج بيت الله الحرام فيصنع لمن عزم للحج طعاماً يدعو لها أقاربه وأصدقاءه فيقدمون له الأموال والأزواد مساعدة وتبركاً ([5]) كما يحتفلون بالزواج والختان كغيرهم من المسلمين لكن احتفالات

---

[1]) ابن بطوطة ، مرجع سابق ، ص 256 – 257

[2]) وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ، ص 156 .

[3])الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي وعلاقتها مع مراكز الشمال ، مرجع سابق ، ص 63 . إبراهيم طرخان ، دولة مالي الإسلامية مرجع سابق ، ص 131 .

[4]) جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 110 .

[5]) Anajar-o—THE PILGRIMAGE TIRADITION in west Africa , Khartoum university , press.1972 . p37 – 38 .
نقلاً عن جعفر خلف الله محمد شبو ، المرجع السابق ، ص 110 . أنظر : وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ، ص 152 – 153 .

تستغرق فترة أكثر مع شيء من الغناء والرقص وكثيراً من الجلبة والضوضاء وقرع الطبول ، وكذلك يحتفلون بالوفود والسفارات ([1]) .

وهنالك احتفالات دينية أخري كموسم بداية السنة الهجرية وهي مناسبة عظيمة وفيها تقرأ السيرة النبوية ويشرح فيها ما تحمّله الرسول صلي الله عليه وسلم من أذي وشقاء في إبلاغ الرسالة إضافةً للاحتفال بيوم عاشوراء وهو يوم مشهور في تنبكت تقدم فيه الحلوى والأطعمة للفقراء والمساكين وللأهل والأصدقاء أيضاً ([2]).

وللماليين في التعامل مع حفظ القرآن شأن عظيم فهم يحرصون عليه أشدّ الحرص ويحملون صغارهم على حفظه كاملاً ويضعون على أرجلهم القيود إن قصّروا فيه يستوي في ذلك أبناء العامة والأمراء ويحتفلون بحفظهم على مراحل بحسب ما يحدده شيوخ الخلاوي ويجمعون الأموال والأطعمة للمعلمين والقراء وطلبة العلم خلال هذه الاحتفالات ويكون حجم الاحتفال بمقدار الحفظ فإن كان الاحتفال بحفظ المصحف كاملاً فيهدي أهل من أنعم الله عليه بالحفظ، الأراضي الخصبة والأموال الطائلة إن كان من الميسرين وهنالك شواهد كثيرة تدل على تعلق أهل مالي ببركة القرآن وأهله ، وهي التي وصفت إنها مدينة القرآن التي ما سجد على أديمها غير الرحمن" وكان حكام مالي يطيلون الإقامة داخل أسوارها تبركاً ويفد إليها المياسير من الأعيان والعامة للاستماع لقرائها الحفظة المجوّدين ، ورأينا كيف أحجم السلطان الفاتح ماري جاطة عن تعقب الفارين من ولاتة لأن بها العلماء والحفظة ([3]).

في العهد الوثني كانت العادات الجنائزية وثنية تقدم فيها القرابين والضحايا البشرية شأنها في ذلك شأن الممالك الأخرى قبل دخول الإسلام مصحوبة بالرقص والغناء والخمور .

لكن في العهد الإسلامي أصبحت عاداتهم الجنائزية إسلامية يغسلون الميت ويكفنونه ويقبرونه على الطريقة الإسلامية بعد الصلاة عليه في المسجد ثم تعطي الصدقات وتصدق عليه بقراءة القرآن بإعطاء إمام المسجد والقراء مبلغ من المال وللجنازة خشوع كبير ورهبة يتصدرها طلبة القرآن والعلماء ، وجمهرة الناس تكثر على حسب الوضع الاجتماعي للمتوفى

---

[1]) جعفر خلف الله محمد شبو ، المرجع نفسه ، ص 110 . أنظر : وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ، ص 153 – 154 .

[2]) وداد نصر محمد السيد ، مرجع السابق ، ص 157 .

[3]) جعفر خلف الله محمد شبو ، المرجع نفسه ، ص 110 – 111. السعدي ، مرجع سابق ، ص 21 . وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ص 157 .

، ويتم الدفن في نفس اليوم أو في اليوم التالي ، لكن الملاحظ أن ليالي المأتم تستمر لفترة أطول يقدمون خلالها أطعمة وأشربه متنوعة تحت مسمي الصدقة على المتوفى ([1]).

الملاحظ أن هذه الاحتفالات والمواكب والأعياد هي ذات مدلولات اجتماعية حيث يلتقي فيها الناس مما يتيح لهم الدخول في علاقات اجتماعية أكبر وتعارف أكثر، وكل هذا بفضل الإسلام .

لقد تحدث بعض المؤرخين والمستشرقين الأوربيين وتبعهم في ذلك بعض من الكتاب العرب عن بعض السلوكيات الاجتماعية الشائعة في المجتمع السوداني والتي تنال من العقيدة الإسلامية وتدفع إلي الاعتقاد إن المجتمع السودان على الرغم من الحماس الذي أبداه اتجاه الإسلام ظل ضعيف التأثر بالتعاليم الإسلامية ، وقد أعتمد أولئك المؤرخون على إشارات مصدرية أوردها أبن بطوطة في ما أسماه العادات السيّئة لأهل السودان والتي ذكرت فيما سبق ، لقد كانت إشارات أبن بطوطة في إطار مقارنته للمجتمع السوداني بالمجتمعات الإسلامية الأخرى لم يعر أدني اهتمام والتفات للذهنية الأفريقية أو اختلاف المناخ أو تاريخ وصول الإسلام لهذه البلاد ، فصاحب تاريخ الفتاش يقول "إن السودانيين أصبحوا يعدون ظاهرة العري بمثابة فضيحة وخطيئة تستوجب العقوبة"، وإن ظاهرتي العري والتتريب اختفتا نهائياً بين الأحرار الذكور في المجتمع السوداني في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي وانحصرت فقط لدي الجواري والإماء حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي ([2]).

إن ابن بطوطة قد حكم على المجتمع المالي وفي ذهنه صورة المجتمعات الإسلامية الشرقية العريقة في الإسلام ، ولم يتصور مجتمع مالي الذي كان وثنياً بالكامل قبل دخول الإسلام في القرن الحادي عشر الميلادي ، ولم يلاحظ التغيير التدريجي الذي طرأ على ذلك المجتمع الذي كان غارقاً في عبادة الأوثان وظواهر الطبيعة والطوطم والأسلاف والعري ونظام الأمومة ، بالإضافة للاختلاف بين طبيعة الإنسان الأفريقي والشرقي ، فالأفريقي أرتبط وجدانه بالأصوات العالية والإيقاع السريع ، أما ما يراه من مظاهر الاختلاط فيعود إلى جهل النساء بفقه الشريعة الإسلامية ، لكن وجود العلماء والفقهاء من المغرب والأندلس أبان فترة حكم منسا موسي وسليمان لابد أن تعالج هذه الظواهر الاجتماعية السالبة التي سجلها المؤرخون الذين كتبوا عن المنطقة .

---

[1]) وداد نصر محمد السيد ، مرجع سابق ، ص 152 – 153 . جعفر خلف الله محمد شبو ، مرجع سابق ، ص 110 . السعدي ، مرجع سابق ص 267 .

[2]) جعفر خلف الله محمد شبو ، المرجع نفسه ، ص 101 – 102 .

أما فيما يتعلق من بقايا الوثنية في ظل الإسلام وممارسة التعاويذ والتمائم فيعود ذلك إلى رسوخ الوثنية حيث لم يعمل الإسلام على اقتلاع الناس من جذورهم ، لكن نستطيع القول أن التربة السودانية أكثر خصوبة مع العقيدة الإسلامية وأكثر تجاوباً معها على مستوي تعديل السلوك ليواكب مطلوبات الشريعة الإسلامية ، ولقد فاق أهل مملكة مالي غيرهم من المسلمين في بقية الأقطار الإسلامية وذلك بالنظر إلى الصعوبات الطبيعية والعراقيل الجمّة التي اعترضت مسيرة الإسلام في بلاد السودان .

خلاصة القول، نستطيع أن نرسم صورة لما كانت عليه الحياة الاجتماعية في دولة مالي نتجاوز في ذلك الفترة المحددة للبحث وهي الصورة التي رسمها (جوزيف تمسون) والتي نقلها عنه (توماس آرنولد) والتي ورد ذكرها في كثير من الكتابات العربية الحديثة "وهي:فقد كان تمسون على متن باخرة تسير صعوداً في مياه النيجر باتجاه الشمال الغربي وبدأ المؤلف يصف المنطقة الساحلية المنخفضة حيث تسود الوثنية والوحشية وتجارة الجنس وتزدهر الخمور ثم يمضي قائلاً ولكن ما إن غادرت الحدود الجنوبية لبلاد السودان الغربي والأوسط لاحظت تحسناً مضطرداً في المظهر الأخلاقي عند الأهالي من الشعوب الناطقة بلغة المالنكي ، فقد اختفت الوحشية والوثنية وتلاشت تجارة الخمور وصارت الملابس أكثر احتشاما وأصبحت النظافة عند القوم عادة ودلت مظاهرهم الخارجية على وقار زائد وأدب جم ، وقد دل كل شيء على سمة النواة كمبدأ أكثر رقياً يتأثر تأثيراً عميقاً في الزنجي ويجعل منه إنساناً جديداً وعلمت أن ذلك هو الإسلام" فالتعاليم الإسلامية قد أدت فعلاً إلى تغيير جذري وهام في عادات وتقاليد وسلوك الناس في مملكة مالي تدريجياً عبر مراحل طويلة دون طمس الهوية الشخصية الإفريقية وفى نفس الوقت أدي إلى مزيد من الانتشار السلمي للإسلام مما أعتبره الأفارقة ديناً قومياً لهم ومن مكوناتهم الثقافية والاجتماعية ، فبالإسلام يبدأ العصر الذهبي لإفريقيا.

تحليل واستنتاج:

لابد من مقارنة الإسلام بالاديان والحضارات الاخري بابعادها الثقافية والحضاريةوالتعلمية والاجتماعية للتاكيد حقيقة مقدرة الإسلام في التحول الاجتماعي في مملكة مالي أو اي شعوب مسلمة اخري

قد رفعت حضارة الإغريق من شأن الإنسان إلا أنها رفعته كآلة لا كإنسان وبتأليهه ألهت الطيب والخبيث معاً دون تمييز وبهذا حول أستنباط الحكم الطبيعية من الطبيعة لكن دون جدوى [1] .

[1] د. إسماعيل راجي الفاروقي ، الأبعاد الروحية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية للعبادات وأهميتها لكل من الأمة والفرد ، محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي ، منشورات وزارة الشئون الدينية ، مطبعة الجزائر المجلد الرابع ، 1976م ، ص 21،10،19 .

أما الدين اليهودي فهو أبداً لم ينشيء حضارة بل عاش اليهود في جميع أطوار تاريخهم الطويل عالة علي حضارات جيرانهم لا يختلفون عنهم ألا بأداة التمييز التعسفية أي العنصرية .

وجاء عيسي بن مريم عليه السلام يدعو لإزالة العنصرية وفك الغلال التي قيدهم بها ربابنتهم فكانت ثورته ضد العنصرية والانقلاب أمن برسالته عدد قيل من اليهود وحكمت عليه الأكثرية بالجرم والإعدام .

وليست المسيحية ديناً واحداً بل أديان يجمعها أنها جعلت المسيح محور تفكيرها ثم اختلفت اختلاف الليل من النهار.لم ينشئ هذا الدين حضارة بل عمت علي أصحابه ما يسمونه بالعصور السوداء أو القائمة على سيطرة الكنيسة ... أما ما وضعته النهضة مكان المسيحية فهو الطبيعة المستمدة من التراث الإغريقي دون إلهتها .

وجاء محمد ﷺ داعياً الي الله سراجاً منيراً فنزل الوحي الحق الي نهايته ويشيد الحضارة من جديد ، فقال الإسلام أن الإنسان خليفة الله في الأرض.

مجد الإسلام العلم والحكمة أجمل تجميل ولم يوازه في موقفه هذا أي دين وأي ثقافة في تاريخ البشرية كافة فجعل العلم مفتاح التقوى والفلاح زادت الحضارة فعالية وتقدماً بما أكتشفه المسلم من سنن الله في خلقه التي لا تبديل لها[2] .

لا شك أن الإسلام له مبادئ تهتم بالتعليم والتربية وهي مبادئ تدعمها الآيات والأحاديث وهي من مهام الرسول الله ﷺ والذي بعث من أجلها (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)[3]، فالتعليم الإسلامي والحضارة الإسلامية هي التي عملت علي نشر الإسلام في غرب إفريقيا في غانا ومالي وكان لها أثر فعال في حضارتهم وحملت الوثنيين علي إعتناق الإسلام)[1] .

إن التربية والتعليم هما المدخل والمفتاح للتغيير والإصلاح وتطوير وتنمية واسترداد الذات وإستشراق المستقبل ولأن محاولة إستشراق وبناء المستقبل بعيداً عن مؤسسات التربية والتعليم نوعاً من الحرث في البحر ... كان النظام التربوي في أساسه وإطاره كان واحداً فهو يستمد

---

[2] المرجع نفسه ، ص 22 .

[3] سورة الجمعة ، الآية 2 .

[1] محمد موسي البر ، مجلدات الإسلام في إفريقيا، الإسلام والمسلمين في أفريقيا ، دار جامعة أفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، الكتاب الحادي عشر ، 2006م ، ص 186 – 187 .

مفاهيمه الرئيسية من منابع إسلامية واحدة ويخضع لمؤثرات ثقافية اجتماعية عامة ويتطور في نطاق ثقافة عربية إسلامية[2].

وعندما نتساءل عن الثقافة فأننا نتساءل عما يميزها عن غيرها وقد تراكمت التعريفات للثقافة وأقدم تعريف لها هو تعريف (إدوار تايلور) الذي قدمه في أواخر القرن التاسع عشر حيث يرى الثقافة هي (الكل المركب الذي يشتمل علي المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من الإمكانيات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع)[3]. ولها علاقة ماسّة بالهوية .

فالهُوية (Identit) هي الحقيقة الجزئية مما يعني أن الماهية إذا اعتبرت مع التشخيص سميت هوية وقد تستعمل بمعني الوجود الخارجي وقد يراد بها التشخيص وقالوا مأخوذة من الهو وهي تقابل الغيرية وفي التعريفات (للشريف الجرجاني) الهُوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة علي الحقائق اشتمال النواة علي الشجرة في الغيب المطلق والهوية الحضارية للأمة هي القدر الثابت والجوهر المشترك من السمات والقسمات العامة التي تميز الأمة عن غيرها من الحضارات وتجعل للشخصية القومية طابعاً مميزاً به عن الشخصيات الأخرى[4] .

وهذا ما جعل مزروعي يعارض فكرة نهاية التاريخ ، ففي معارضته ونقده لمقولة فرانسيس فوكوياما عن (نهاية التاريخ) يطلق مزورعي مقولة و مناظرة مفادها أن الدين الإسلامي هو الفصل الختام لتاريخ الأديان ، حيث لم يظهر دين سماوي من بعده ويرى أن الإصلاح الديني الإسلامي الذي جاء لتلافي ما إعتور المسيحية من عيوب في سبق حركات الإصلاح المسيحية التي قادها كل من (مارتن لوثر وجون كلفت) وفي أطار مقولته عن الإسلام ونهاية التاريخ يهب مزروعي الي أن الدين الإسلامي ينطوي علي الكثير من القيم التي تساعد علي تحقيق المساواة ومقاومة العنصرية في مقابل الممارسات العنصرية الأخرى[1] .

فالناس في غرب أفريقيا قبل مرحلة الثورة الحضارية الإسلامية كانو يعيشون في جماعات صغيرة بحثاً عن الطعام في منطقة كبيرة من الأرض ويتنافسون مع الحيوانات البرية الأخرى من أجل الحصول علي مصادر الغذاء ، ونتيجة لذلك عمل سكان غرب أفريقيا بطريقة

---

[2] عبد المجيد عبد الرحيم الحاج ، مجلدات الإسلام في إفريقيا ، التعليم الإسلامي وأثره في انتشار الإسلام في أفريقيا ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، الكتاب الحادي عشر ، 2006 ، 37 .

[3] د. المبروك زيد الخير ، أعمال المؤتمر الدولي الثاني ، اللغة والهوية في الثقافة الجزائرية ، قسم اللغات الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، 2008م ، ص 9 .

[4] نفس المرجع ، ص 6 – 7 .

[1] أ.د. علي مزر وعي علي ، إفريقيا الإسلام والغرب ، ترجمة صبحي قنصوه وآخرون ، ط1 ، مركز دراسات المستقبل الإفريقي ، القاهرة إصدارة رقم (4)، 1998م ، ص 9 ، 10 .

منظمة حققوا بها الثورة الصناعية التي مكنتهم من أيجاد مصادر كافية للطعام من منطقة أصغر حجماً، وأدي ذلك بالتالي الي زيادة عددهم وتمكنوا من أن يعيشوا في قرى مستقرة وأقاموا في أحسن المناطق المزودة بالمياه العذبة ومكنهم هذا الاستقرار في منطقة غرب أفريقيا من تطوير صناعة السلال والفخار الذي كان يستخدم لحفظ الطعام بالإضافة الي استخدامها في نقل أمتعتهم ، كما تطور البناء وصناعة النسيج الذي أستخدمه السكان في صناعة ملابسهم ... وتطورت في هذه الفترة الحياكة والتجارة وصناعة الآلات الحجرية وحلت محلها أدوات أخرى تم صنعها من المعادن النحاسية والبرونزية ثم الحديد والصلب[2] .

لقد غير الإسلام حياة الشعوب الزنجية تغيّراً كبيراً إذ أبطل الوثنية وحارب العادات الزائفة كعبادة النار والأشجار والنجوم ونفي أن يكون هناك شركاء لغير الله وبعث في الناس حب المعرفة والعلم والثقافة وفرض علي العالم إرشاد الجاهل وتهذيبه ، فعاد الإسلام إلي هذه الشعوب مبادئ جديدة لم يسمع بها من قبل أو يتعلمها[3] .

اما البُعد الاجتماعي :

قال تعالى (أنما المؤمنين أخوة)[4] الآية واضحة تدل علي المحبة والإخاء ...فالعائلة الإسلامية عائلة كبيرة تتسع لعشرات من الناس كلهم ذوي قربي وكان البيت الإسلامي بيتاً كبيراً يلتقي فيه كل فرد ... أقام الإسلام علاقة الرجل بالمرأة علي الصحبة والمعروف بعد أن أبرأها مما نسبته إليها المسيحية ظلماً من جرم ونجاسة وأعترف لها بشخصية قانونية كاملة ... ودعم الإسلام هذه المبادئ الاجتماعية بالقوانين حتى لا تكون مجرد نصائح تسمع أو لا تسمع فأصبحت نظام حياة فعلي وما من دين أو أيديولوجية قديماً أو حديثاً أستطاع أن يقدم ما قدمه الإسلام وقيل أن الإسلام هو الدين (الأمتى) اعترافا بخلقه الأمة وجعلها كياناً اجتماعيا ومنفتحاً علي البشر أجمع عزيزة بعروتها الوثقى[1] . كان لدخول الإسلام في القارة الإفريقية أثره الواضح عليها وترك معالم واضحة في مجال التغير الاجتماعي لازالت مستمرة فقد ساعد بتعاليمه أن تتحول حياة الأفارقة من الحياة الاجتماعية الصرفة الي نظام الجماعة والتجمع والمجتمع وأقام الإسلام دولة بالمفهوم الحديث مكونة من أرض وشعب وحكومة .. وتجميع مجموعات بشرية عديدة في ظل النظم الإسلامية التي أخذت بها وطورت الحياة

---

[2] فيدج ج دي ، مرجع سابق، ص 36 ، 38 .
[3] د. عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، مرجع سابق ، ص 90 .
[4] سورة الحجرات الآية 10 .
[1] إسماعيل راجي الفاروقي ، مرجع سابق ، ص 17 ، 18 ، 19 .

فيها الي مستويات حضارية عالية إذا قيست بمقايس عصرها وظروفها الجغرافية وقد قامت ممالك في الغرب الإفريقي وأزدهرت أيما أزهار وكانت صفحات مضيئة رعت هذه الدول المواطن وعملت علي التغيُّر الاجتماعي بمنهج أسلامي[2] .

وأن الإسلام عندما يستقر في قلوب المسلمين وفي مناطقهم لابد أن تتغير أحوالهم وفقاً للمبادئ الإسلام وللقارئ التاريخ الإفريقي وحاضرها أن يلاحظ بدون عناء كبير كيف أن الإسلام غير المسلمين الأفارقة نحو الفهم الإسلامي في كافة مناحي الحياة وفي التغيُّر الاجتماعي وقد أثر الإسلام تأثيراً بالغاً في حياة الشعوب الإفريقية وغير من سلوكها نحو الأفضل منها :

1- محاربة العرى وستر العورة : الكثير كان يسير عاريا ولا يسترها إلاَّ بعد الزواج وبعد إسلامهم أخذوا في سترها فالإسلام يحرم كشفها وأخذت هذه العادة تختفي تدريجياً[3] .

2- محاربة السفور: العديد من القبائل الإفريقية لا تعرف الحجاب بين الذكور والإناث بل والاختلاط كان شائعاً فأخذت هذه الظواهر بعد الإسلام تقل تدريجياً .

3- تنظيم الزواج : كانت له عادات غريبة هذبها الإسلام ونظمها وأعطي المرأة حرية الاختيار وألغي زواج البدل وحدد عدد الزوجات .

4- حدد الإسلام علاقة الآباء مع الأبناء وإعطاء المرأة الميراث وطبق العقاب علي الجرائم وحرم التفرقة العنصرية وحرم الزنا والخمر والقرابين البشرية[1] .

---

[2] محمد البر موسي ، مرجع سابق ، ص 191 .

[3] نفس المرجع ، ص 186 ، 192 .

[1] محمد البر موسي ، مرجع سابق ، ص 192 .

الخاتمة :

لم تقف الصحراء الكبرى حاجزاً أمام المسلمين المتلهفين للدعوة فيما وراءها خاصة أن العرب الذين إكتظت بهم مصر وأقاليم شمال إفريقيا كانوا علي صلة وثيقة بالصحراء فاقتحموها دون كبير عناء فأنتشر الإسلام وثقافته في إفريقيا جنوب الصحراء (غرب إفريقيا) .

دخول الإسلام وثقافته في غرب إفريقيا خاصة في مملكة مالي عن طريق التجارة ورحلات الحج ومساعدة الملوك والحكام المحليين لنشر الإسلام وثقافته وإجلالهم للعلماء واستقدامهم للمنطقة أدى إلي انتشار المذاهب الإسلامية وعلومها خاصة المذهب المالكي . وبنيت المساجد والمعاهد الإسلامية التي تحولت إلي جامعات راقية مدت المنطقة بمشاعل النور وأزالت ظلمات الجهل .

فكان أثر الإسلام وثقافته بمثابة تحول عظيم في حياة شعوب المنطقة فكريا ودينيا وروحيا واجتماعيا وثقافيا وسياسيا ، فقد أسهم العلماء والقضاة وكتاب الدواوين والمعماريون المسلمون الذين وفدوا إليها بالتعاون مع الطلاب المحليين في المنطقة الذين تلقوا علوماً إسلامية في المعاهد الراقية في الشمال أسهاماً كبيراً في الإدارة والتعليم والتعمير .

فقد أنشئت المدن التجارية والثقافية التي كانت لها جامعات ومنشئات ثقافية ذاخرة بالعلوم خدمت الإسلام والثقافة الإسلامية والتي بدورها أثرت في النواحي الاجتماعي من خلال الحراك الثقافي الذي كان يلتقي فيها أهل المنطقة المتعطشين للعلم مما أتاح فرصة الاندماج الاجتماعي في المملكة . وأن تقفز بمؤسساتها ومعاهدها العلمية الراقية وبمكتباتها في المدن الشهيرة (تمبكتو – جاوا – ولاتة – جني) ولولا هذه المدن لضاعت العربية والقرآن الكريم ولضاع معها التاريخ الإسلامي الإفريقي لهذه المنطقة لتداخل اللهجات المحلية فيها واللغات الوافدة كالانجليزية والفرنسية وكثيراً ما أنتشر الإسلام وثقافته من قوم لأخر، وكانت الطبقة الأرستقراطية الهدف الأول للدعاة فإذا أسلمت تبعها باقي القوم ، (الناس علي دين ملوكهم) أضف إلي أن الإسلام هو دين الفطرة سهل التناول لا لبس فيه ولا تعقيد في مبادئه سهل التطبيق وقد جذبت مظاهره الجميلة مثل الثوب الفضفاض والمسبحة والكتابة العربية والوقار الديني مما يضفى على المسلم مكانة مرموقة فالذي يدخل إليه ويتشبع بثقافته يشعر بأنه شخصية محترمة .

التفوق الفكري والخلقي الذي كان يتحلى به المسلمون ساعد كثيراً علي أن يكون للإسلام والثقافة الإسلامية أثراً واضحاً في المنطقة ، فكان المسلم نموذجاً يقتدي به ثقافياً وأخلاقياً فكان يدعو للإعجاب ويجذب إليه الناس بأخلاقه السامية في وسط مجتمعات غابت عنها هذه القيم الفاضلة .

وبهذا استطاع الإسلام أن يرتقي بالنواحي الاجتماعية في مملكة مالي من نظام كان يقوم علي القبلية والقبيلة والطبقات إلي نظام إسلامي قائم علي المساواة والعدل والإخاء، وأن تنتهي فيه بقايا الوثنية مثل التخلص من ظاهرة العري ،شرب الخمر، السحر، النظام الامومى ، فأصبح المجتمع إسلامي شأنه في ذلك شأن المجتمعات الإسلامية في المشرق والمغرب العربي. ومتفوقة في ذلك علي كثير المجتمعات الإفريقية المجاورة لها، ولعل ظاهرة إسلامية غرب إفريقيا جديرة بالدراسة والبحث مقارنةً بالشمال والقرن الإفريقي ذات القرب من الأماكن المقدسة والإشعاع الثقافي الإسلامي.

نتائج البحث:

(1) ليس هنالك شك في أن الدعوة الإسلامية كانت في الواقع نهضة كبيرة على جميع الأصعدة الاجتماعية والسياسية والحضارية والثقافية وان نجاح الدعوة كان ثمرة لحيوية الدعوة وانفتاحها على الأخر تأثرا وتأثيرا حتى إن القرآن الكريم كتاب الإسلام المقدس كان نتاجا لحاجة المجتمع وتبصيرا بحدوده (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا) (الإسراء /106(لذلك وجدنا إن اثر الإسلام كان كبيرا إلى درجة تحولت فيه الكثير من المجتمعات من حال إلى حال ولعل أهم ما في ذلك التحول عدم تحفظه على النقل من الآخرين وفي شتى المجالات

(2) تأسيس مملكة مالي منذ بدايتها كان يسير بخطي ثابتة وحثيثة نحو التطور والتقدم وامتلاك أدوات النجاح والتغيُّر، ساعد في ذلك ملوكها الذين تعاقبوا علي السلطة وإصرارهم الواضح بإيجاد مكانة مرموقة لمملكتهم وذلك بالدور الكبير الذي قاموا به في توطيد أركان المملكة واستقرارها وازدهارها مما ساعد الكيانات السكانية بالدخول في علاقات اجتماعية منفتحة مع غيرها من الثقافات الأخرى .

(3) ظهر لهذا الشعب مملكة قديمة قبل التي اشتهرت أبان فترة ماري جاطة لكن المعلومات عنها بسيطة وقليلة بشكل واضح حتى أبناء المنطقة أنفسهم لم يظهروها بالشكل المطلوب بل تتم الإشارة إليها فقط.

(4) المجتمع في مملكة مالي يقوم علي النظام القبلي والطبقي لكن الملاحظ إن الطبقات فيه لم تشكل آي خطر أو إعاقة في قيام المملكة ولم تسجل أي حادثة بوجود تنافر وتناحر في المجتمع. بل الكثير من الطبقات الدنيا خاصة طبقة العبيد وصلت إلي سدة الحكم نفسه وذلك للتسامح الكبير الذي يتميز به المجتمع .

(5) السياسة التي رسمها ماري جاطة من علاقات قرابة وهمية وتنظيم أصحاب الحرف والاهتمام بالصناعة والتجارة كان لها دور كبير في استقرار المجتمع ودخوله في علاقات اجتماعية راقية.

(6) أتضح بما لا يدع مجالاً للشك إن للإسلام صلة وثيقة بنفسية الإفريقي فهناك تقارب كبير بين الثقافة الإفريقية و العقلية الإفريقية ومبادئ الإسلام ويظهر ذلك من خلال الاحتفالات والأعياد التي حولها الإسلام إلي إسلامية مما ساعد هذا التحول في الدخول في علاقات اجتماعية كبيرة في المملكة.

(7) لقد كانت قيم الثقافة الوثنية بإفريقيا متداعية ضعيفة المستوي والمحتوي لم تتمكن من الصمود أمام الدين الإسلامي بقيمه الروحية العظيمة وثقافته الراقية ونظمه المتكاملة فانتصر عليها انتصارا ساحقا ومع ذلك استوعب الإسلام من التقاليد والعادات الإفريقية ما لا يتناقض مع تعاليمه، الأمر الذي ساعد علي التسامح والتعايش السلمي بين المكونات السكانية مما أتاح فرصة اكبر للاندماج الاجتماعي في المملكة.

(8) لقد عالج الإسلام المفاهيم الاجتماعية والعادات والتقاليد الأفريقية التي ناهضت شريعته بمنهج إسلامي ، فدافع عن تحريم الخمر دفاعا مقنعا وأبقي تعدد الزوجات الذي كان يسود الوثنية وفق ضوابطه الشرعية .

(9) لعب المذهب المالكي دوراً كبيراً في بناء الشخصية الإسلامية في المملكة لأنه مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ويتماشي مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف وتعقيد، الأمر الذي انعكس بوضوح علي النواحي الاجتماعية في المملكة.

(10) كان للهجرات البشرية والتجار والدعاة والفقهاء للمنطقة والمملكة اثر كبير علي النواحي الاجتماعية من خلال التزاوج والمصاهرة التي تمت بينهم والسكان المحليين مما انعكس ذلك علي العادات والتقاليد الإفريقية التي أخذت الطابع الإسلامي .

(11) كان لانتشار الإسلام بمملكة مالي اكبر الأثر في قيام مدينة تنبكت التي أصبحت مركز لإشعاع الثقافة العربية الإسلامية والتلاقي الاجتماعي في المملكة والممالك المجاورة لها والأمصار الإسلامية الاخري .

(12) ترتب علي دخول الإسلام لمملكة مالي تأثير اجتماعي عميق وتغّير في مجال العادات والتقاليد تمثل في انتشار اللغة العربية ودخول فن الكتابة خاصة الخط العربي المغربي، وفنون العمارة الإسلامية المزوج بالطابع الإفريقي.

(13) ترتب علي دخول الإسلام لمملكة مالي تأثير اجتماعي كبير حيث سيادة القيم الإسلامية في المجتمع وذلك لنظرة الإسلام للإنسان وتكريمه واحترامه له باعتباره خليفة الله في الأرض.

(14) استطاعت القيم الإسلامية أن تنهي الخوف الذي كان يسيطر علي السكان في المملكة من خلال ممارسة الطقوس الوثنية واستبدالها بأساليب جديدة أدخلت الأمن

والطمأنينة من خلال الصلاة الجماعية والحج والتي بدورهما ساعدت علي الدخول في اجتماعية أكثر عمقا .

(15) قبل دخول الإسلام في مملكة مالي كانت النظرة الوثنية للأسرة والمرأة والطفل والزواج بها الكثير من التحامل والتشويه فاستطاع الإسلام والثقافة الإسلامية إعادة المكانة المفقودة لهما الأمر الذي انعكس علي العادات والتقاليد بأخذها الطابع الإسلامي

(16)لم يعمل الإسلام علي اقتلاع الناس من جذورهم الثقافية والاجتماعية بل عمل علي مبدءا التدرج لان إي عملية تغير اجتماعي في ظل ثقافة محلية سائدة يتسم بالبطء والتدرج.

(17) حتى في ظل الإسلام احتفظ سكان مملكة مالي ببعض عاداتهم وتقاليدهم الوثنية الأمر الذي تناوله الكتاب الغربيين بما يعرف بالإسلام الأسود

(18) من أهم التشريعات الإسلامية التي تعمل علي تقوية العلاقات الاجتماعية

* بر الوالدين وطاعتهما
* الإحسان إلي الجيران وتجنب إيذائهم
* صلة الأرحام والإحسان إليهم

التوصيات :

أولاً :

أوصى عميد المكتبة المركزية بجامعة إفريقيا بتوفير بعض المصادر الهامة التي تساعد علي الإلمام بصورة واسعة وشاملة من تاريخ المنطقة وان تكون خاصة بمكتبة البحوث والدراسات الإفريقية . منها :

1- تاريخ السودان للسعدي .
2- إفريقيا الغربية في ظل الإسلام لنعيم قداح
3- دور الحسان في أخبار بعض ملوك السودان باب لورين الحاج محمد بن الحاج الأمين
4- رحلات ابن بطوطة التي قام بها للمنطقة ج4 .
5- كتاب ابن فضل الله العمري.
6- الإسلام في أفريقيا بلاد غرب إفريقيا ل توماس ارنولد تويمبي
7- المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب. أبو عبيد البكري
8- المسالك والممالك. أبو عبيد البكري

وغيرها من المصادر والمراجع الهامة أن تكون خاصة بمكتبة مركز البحوث والدراسات الأفريقية حتى وإن كانت موجودة في المكتبة المركزية.

ثانياً :

هنالك الكثير من المراجع التي تحتاج إلي ترجمة فعلي المركز تشجيع الطلبة في المركز خاصة الأفارقة منهم بالقيام بترجمتها لإلمام بعضهم بالانجليزية والفرنسية وبحكم وجودهم في المنطقة يمكن نقل صورة حقيقية عن صحة هذه المراجع خاصة وأنها كتبت بواسطة الكتاب الغربيين .

ثالثاً :

توجيه طلبة المركز بإعداد بحوث ودراسات اجتماعية حول بلدانهم تجمع بين الحداثة مع الاستفادة من الخبرة والتراكم التاريخي لها لإعطاء صورة أكثر وضوحاً لما يعوق سير العلاقات الاجتماعية التي أصبحت تشكل هاجساً كبيراً للدول الأفريقية بظهور القبلية

والعنصرية وإحياء الأمجاد القديمة التي بدأت تظهر في غرب إفريقيا (حركات التمرد) والتي تستغل القبيلة بصورة سيئة، فمثل هذه الدراسات تعمل علي تخفيف التوتر والاحتقان الاجتماعي، إضافةً للوقوف علي سير الثقافة الإسلامية والإسلام في المنطقة لإيجاد الحلول والدعم اللازمين خاصة وأن المنطقة محاطة بحزام مسيحي كبير .

المصادر والمراجع :

أولاً : القرآن الكريم

ثانياً: المصادرالعربية:

1. أبو الثناء محمد عمر بن عمر كعت الصنهاجي التمبكتي، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس وذكر وقائع التكرور وعظائم الأمور وتفريغ انساب العبيد من الأحرار ،نشره هوداس و دوفولاس ،باريس ،1913م.

2. أبي عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب،الجزء المأخوذ من (كتاب المسالك والممالك)،مكتبة المثنى ،بغداد،(د.ت).

المسالك والممالك،تحقيق وتقديم أدريان ليوفن واندريه فيري ، الدار العربية للكتاب،1992م.

3. ابن حوقل.أبو القاسم محمد البغدادي،صورة الأرض ، مكتبة دار الحياة ،بيروت ،1979م

4. أحمد بن علي القلقشندى ، صبح الاعشي في صناعة الإنشاء ، ج5 ، ط1 ، دار الكتب العالمية ، بيروت ، 1978م .

صبح الاعشي في صناعة الإنشاء ، ج5 ، ط1،المؤسسة العربية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ،الطبعة المصورة،القاهرة،1963.

5. الاصطخري الشيخ أبي إسحاق الفاسي، المسالك والممالك ، دار صادر ، بيروت ، ليدن ، 1906م.

6. الحسن بن محمد الفاسي الوزان (ليو الإفريقي)، وصف إفريقيا ، ط1 ، ج2، ترجمه من الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1982م.

7. الشريف الإدريسي ، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، م1، مكتبة الثقافة الدينية ، بغداد 1994م.

8. مجهول: الاستبصار في عجائب الأبصار ، لكتاب مراكشي من كتاب القرن السادس الهجري 12م ، نشر وتعليق ، سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية ، 1958م.

9. عبد الرحمن بن عبد الله بن عمران بن عامر السعدي ، تاريخ السودان ، حققه ونشره وترجمه للفرنسية هوداس وتلميذه بنوه ، باريس ، 1981م.

10. عبد الرحمن بن خلدون ،العبر وديوان المبتداء والخبر في أخبار العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،ج6 ، دار الكتاب ، بيروت ،1961م

11. شمس الدين أبو عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر البناء الشامي (المقدسي) ، أحسن التقاسيم في_معرفة الأقاليم،ط2،دار صادر، بيروت (ليدن دت) ،

12. شمس الدين بن عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ابن بطوطة)، تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ،ج4 ،تقديم وتحقيق عبد الهادي التازي ، أكاديمية المملكة المغربية ،1997م .

ثالثاً: المراجع العربية :

1.أبو أسامة محمد محي الدين ، منهاج المسجد في تكوين المجتمع المسلم ، ط1 ، مكتبة الخدمات الحديثة ، جدة ، 1994م .

2. أبو بكر جابر الجزائري ، العلم والعلماء ، دار الكتب السلفية ، القاهرة ، (د.ت).

3.إبراهيم طرخان ، مملكة مالي الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة ،القاهرة، 1973م إمبراطورية غانا الإسلامية ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر القاهرة ، 1970م .

إمبراطورية البرنو الإسلامية،الهيئة العامة للكتاب،القاهرة، 1975م.

4. إبراهيم علي سالي، (وضع اللغة العربية في المؤسسات التعليمة الحكومية بيوغندا جامعة ماكريرى نموذجا) مجلدات الإسلام في إفريقيا ، الكتاب 14 ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، 2006م.

5. احمد إبراهيم دياب، طبيعة المجتمعات الإفريقية وأثرها علي تاريخ القارة، الندوة السنوية للمجتمعات الإفريقية تطورها التاريخي ودورها الحضاري حتى مطلع القرن الحادي والعشرين، معهد البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة القاهرة، 2005م.

6.أحمد الشكري ، الإسلام والمجتمع السوداني وإمبراطورية مالي من (1230 إلي 1430م) ، ط1 ، المجمع الثقافي أبو ظبي ، 1999م .

7.أحمد نجم الدين فيلجة ،إفريقيا دراسة عامة وإقليمية، مؤسسة شباب الجامعة،(د.ت).

8.الإمام محمد أبو زهرة ، تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسية العقائدية وتاريخ المذاهب الفقهية ، دار الفكر العربي ، القاهرة (د.ت) .

9 . أحمد شلبي ، موسوعة التاريخ الإسلامي ، ج6 ، دار النهضة المصرية القاهرة(د.ت).

10. الهادي المبروك الدالي ، مملكة مالي الإسلامية وعلاقاتها مع أهم المراكز بالشمال الإفريقي من القرن (13 – 15) ط3 ، الشركة العامة للورق والطباعة الزاوية ، ليبيا 2000م .

الإسلام واللغة العربية في مواجهة التحديات الاستعمارية في غرب إفريقيا ، ط1 ، دار صنين للطباعة ، بيروت ، 1996م

أفاق لأدب إفريقيا فيما وراء الصحراء ،ط1 ، الدار المصرية اللبنانية، 2001م.

11.المبروك زايد الخير ، اللغة والهوية في الثقافة الجزائرية ، المؤتمر الدولي الثاني قسم اللغات الإفريقية ، معهد الدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة ، القاهرة ، 2008م

12.الطاهر محمد داود ، (عشيرة اللغات الأسيوية الإفريقية كنموذج للتداخل والتواصل الإفريقي)، ملتقي الجامعات الإفريقية،التداخل والتواصل في إفريقيا ، الكتاب الأول، مطبعة جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم، 2006م

13. امباي لو بشير، قضايا اللغة والدين والأدب، مطبعة جامعة أفريقيا العالمية للطباعة والنشر ،الخرطوم،1995م.

14. أمين معلوف، ليون الإفريقي، ترجمة عفيف دمشقية،ط1، دار الفارابي، بيروت 1999م.

15. أمين نعمان الصلاحي، من وسائل القران في إصلاح المجتمع،ط1،مركز البحوث والدراسات،وزارة الأوقاف والشئون الاجتماعية،كتاب الأمة العدد127، 2008م.

16.أنوار عبد الغني العقاد، الوجيز في إقليمية القارة الأفريقية، دار المريخ للنشر ،1982م.

17. بابكر حسن محمد قدرماري ، كتابة اللغات الأفريقية بالحرف العربي ، مطبعة جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر، الخرطوم، 2006م.

18 . جبريل بن المهدي بن علي ميقا آل أسيكا محمد ، امتداد الصحوة الإسلامية بخلاصة تاريخية محررة عن إمبراطورية صونغاي الإسلامية ، مكة المكرمة ، 1415هـ .

19. جبريل ت . نِياني (مالي والتوسع الثاني للماندانغ) تاريخ أفريقيا العام ، المجلد الرابع تمويل اليونسكو ، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988.

20. جودة حسنين جودة ،جغرافية إفريقيا الاقلمية، ط1،منشاة المعارف، الإسكندرية 1996م.

21. جميلة أحمد التكتيك ، مملكة صونغاي الإسلامية في عهد الاسيكا محمد الكبير (1493-1528م) ط1 ، دار الكتب الوطنية ، طرابلس ، ليبيا ، 1998م .

22. داود عبد القادر ايليقا (وضع اللغة العربية وخطط نشرها في إفريقيا) ، مج الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثامن ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ،الخرطوم ، 2006م.

23. زاهر رياض ، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا وأثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى ، مكتبة الانجلو المصرية ، 1968م .

24. حسين مجدي صالح ،(جني من المملكة الوثنية إلي السلطنة الإسلامية) ، مج الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الحادي عشر ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ،الخرطوم ، 2006م

25. حسين مؤنس ، أطلس تاريخ الإسلام ،ط1 ، الزهراء للإعلان والنشر ، القاهرة 1987م.

ابن بطوطة ورحلاته (دراسة وتحقيق وتحليل) ، دار المعارف للنشر ، القاهرة (بدون تاريخ) .

26. حسن إبراهيم حسن ، انتشار الإسلام في إفريقيا ، ط3 ، مكتبة النهضة ، القاهرة 1984م.

27. حسن الصادقي ، (أضواء علي ممالك غرب إفريقيا وعلاقتها ببلاد المغرب) ، مج الإسلام في إفريقيا ، الكتاب 14 ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، 2006م

28. حسن عابدين و السر سيد أحمد العراقى، معالم التاريخ الأفريقي ، ط2، الطابعون.المؤسسة العامة للمطابع التربية، الناشرون.دار النشر التربوي، السودان، 1976م.

29. حسن عيسي عبد الظاهر ، الدعوة الإسلامية في غرب إفريقيا وقيام دولة الفولاني الزهراء للإعلان العربي ، القاهرة ، 1991م .

30. يوسف روكز ، إفريقيا السوداء سياسة وحضارة ،ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، 1986م.

31. يسرى الجوهري وآخرون ، جغرافية العالم الإسلامي ، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية ، 1992م .

32. ليلي حسن سعد الدين ، المرأة في الإسلام ، لجنة مسلمي ، شركة مطابع جرير الكويت، 1978م.

33. محمد أبو محمد أمام ،(سيادة المذهب المالكي في إفريقيا جنوب الصحراء في ظل الممالك الإسلامية) ، مج الإسلام في أفريقيا ، الكتاب الخامس ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2006م.

34. محمد البهي ، الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم ، ط1 ، دار الفكر العربي بيروت 1971م .

35. محمد بلو بن عثمان فوديو ، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد تكرور، تحقيق بهجة الشاذلي ، معهد الدراسات الأفريقية، الرباط ،1996م.

36. مهدي ساتى صالح ،الإسلام وتداخل الثقافات في السنغال،دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة والنشر ،الخرطوم،2006 م.

مع الإسلام و الثقافة العربية في السنغال، المركز الإسلامي الأفريقي ، شعبة البحوث والنشر ، إصدارة رقم(12) ،الخرطوم،1991 م.

من حضارات افريقية القديمة ، دار السداد للطباعة ، 2009م.

37. محمد موسي البر ،(الإسلام والمسلمين في إفريقيا) ، مج الإسلام في إفريقيا ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، 2006م

38. محمد عبد العزيز اسحق، نهضة أفريقيا، تقديم عبد الملك عودة ، الهيئة المصرية للتأليف والترجمة ،1971م.

39. محمد عبد الغني سعودي،(مكانة اللغة العربية ومكانتها التي تواجهها في إفريقيا) ، مج الإسلام في أفريقيا ، الكتاب السابع ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2006م.

40. محمد عوض محمد، الشعوب والسلالات الأفريقية ، تقديم عبد القادر حاتم ، الدار المصرية العامة للتأليف والنشر ،1965م.

41. محمد فاضل علي باري وسعيد إبراهيم كردية ، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ وحضارة ، دار الرشاد الإسلامية للنشر ، بيروت ، 2006م .

42. محمد رياض وكوثر عبد الرسول، أفريقيا دراسة في مقومات القارة ،ط1، دار النهضة العربية ، بيروت،1973م.

43. محمود سلام زناتي ، الإسلام والتقاليد القبلية في إفريقية ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، لِبنان ، 1969 م.

44. مطير غيث أحمد ،الثقافة العربية الإسلامية وأثرها في مجتمع السودان الغربي ، ط1 دار الكتب الوطنية، بنغازي، 2005م.

45. نبيلة حسن محمد ، في تاريخ الحضارة الإسلامية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسبطية (د.ت).

46. نوال علي محمد، بعض المظاهر الثقافية والدعوات المذهبية لرحلات الحج الأفريقية في العصر الإسلامي ، الندوة السنوية للمجتمعات الأفريقية تطورها التاريخي ودورها الحضاري حتى مطلع القرن الحادي والعشرين ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة القاهرة 2005م.

47. سعد زغلول نصار، دفاع عن إفريقيا ،الدار القومية للطباعة والنشر،(د.ت).

48. عبد الهادي التازي، (التاريخ الدبلوماسي للمغرب منذ أقدم العصور إلي اليوم)، المُجلد السابع، عهد بني مرين والوطاسين ، مطابع فضالة المحمدية ،1986.

49. عباس محمد.و.د عبد النبي محمد علي، المهارات اللغوية 1، منشورات جامعة السودان المفتوحة،2003.

50.عبد الله عبد الرازق إبراهيم ،(دور تمبكتو الجغرافي والاقتصادي في التجارة الصحراوية) مج الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثالث ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2006م.

51. عبد الحي عبد الحق، حول انتشار الإسلام في السودان الأوسط، ندوة العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، معهد البحوث والدراسات العربية بالاشتراك مع جامعة أم درمان الإسلامية، الخرطوم، ،1983 بغداد 1985.

52.عبد المجيد عبد الرحيم الحاج ،(التعليم الإسلامي وأثره في انتشار الإسلام في إفريقيا) مج الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الحادي عشر ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، 2006م.

53. عبد اللطيف البوني، الأديان التقليدية في إفريقيا مشروع رؤية إسلامية، أوراق قدمت في مؤتمر الإسلام في إفريقيا، تحرير مدثر عبد الرحيم وتجانى عبد القادر، الخرطوم، 1992.

54. عبد الفتاح مقلد الغنيمي ، حركة المد الإسلامي في غرب إفريقيا ، مطبعة نهضة الشرق ، القاهرة ، 1985م .

55. عبد القادر زبادية، مملكة صنقاي في عهد الاسقين،ط1،الشركة الوطنية الجزائر،1971م.

56.عبد الرحمن بن عبد الله سيسي (وضع اللغة العربية في جمهورية مالي)، مج الإسلام في إفريقيا ، الكتاب الثامن ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم ، 2006م.

57. عبد القادر مصطفي المحيشي وآخرون، جغرافية إفريقيا وجزرها ،ط1، الدار الجماهيرية للتوزيع والإعلان ،(د.ت)

58. عبد الرحمن زكي ، تاريخ الدولة الإسلامية السودانية بإفريقيا الغربية ، المؤسسة العربية الحديثة للنشر ، القاهرة ، 1961م.

59. علي مزروعي ، إفريقيا والإسلام والغرب ، ترجمة صبحي قنصوه وآخرون ، ط1 مركز دراسات المستقبل الإفريقي ، إصدارة رقم (4) ، القاهرة ، 1998م .

60. عمر أحمد سعيد ، انتشار الإسلام في إفريقيا بين السيف والقلم ، مج الإسلام في أفريقيا ، الكتاب الحادي عشر ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2006م

61. علي شمو، أساسيات الاتصال ومهاراته، منشورات جامعة السودان المفتوحة،.2005

62.عمر بامبا ، (الحركة العلمية في مدينة تمبكتو) ، مج الإسلام في أفريقيا ، الكتاب الثاني ، دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة ، الخرطوم 2006م

63.. عثمان برابمابري ، جذور الحضارة الإسلامية في القرن الإفريقي ، ط1 ، دار الأمين للطباعة ، 2000م .

64.عثمان عبد الجبار عثمان ، تاريخ الزغاوة في السودان وتشاد،ط1، المصرية للتوريد والإعلان ، القاهرة ،2006م.

65. فتحي محمد أبو عيانة، جغرافية إفريقيا.دراسة إقليمية مع التطبيق علي دول جنوب الصحراء، دار المعارف الجامعية، الإسكندرية، 1987م.

66. صالح عبد السلام البغدادي،(اللغة العربية في إفريقيا) ، ملتقي الجامعات الإفريقية،التداخل والتواصل في إفريقيا ، الكتاب الثالث، مطبعة جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم، 2006م.

67. شوقي الجمل وآخرون ، لمحات في تاريخ القارة ، تقديم رجب محمد عبد الحليم الموسوعة الإفريقية ، المُجلد الثاني ، جامعة القاهرة ، 1997م .

68. شيخ صمب،(النمط التفكيري في الأديان الإفريقية وأثرها علي الإسلام) ، ملتقي الجامعات الإفريقية،التداخل والتواصل في إفريقيا ، الكتاب الأول، مطبعة جامعة إفريقيا العالمية الخرطوم، 2006م.

رابعاً:المراجع المترجمة:

1. أ. ج هوبكنس ، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية ، تقديم محمد عبد الغني سعودي ترجمة أحمد فؤاد بلبع ، المطابع الأميرية ،1998.

2. أن جاني ، حكايات من السهول الإفريقية ، ترجمة عزت مصطفي ، المجلس الاعلي للثقافة، مصر ، 2004.

3. اينا كورين بروان ، الملونون ، مطبعة المعرفة ، بدون مكان النشر، (د.ت).

4. وولي شويكا وآخرون ، إيقاعات الخلق ، ترجمة وتقديم محمد هارون كافي ، ط1، دار النفيرة للترجمة والنشر نيروبي ، مطبعة ارو، الخرطوم، 1999.

5. يوني لين ، قصص شعبية إفريقية ، ترجمة محمد كامل كمالي، مراجعة سمير عبد الحميد، الدار المصرية للتأليف والترجمة ،1992

6. س ج سليجمان ، السلالات البشرية في إفريقيا، ترجمة يوسف خليل، مراجعة محمد محمود العباد، مكتبة العالم العربي، القاهرة ،(د.ت)

7. فيدج ج جى دى ، تاريخ غرب إفريقيا ، ترجمة السيد يوسف نصر ، مراجعة بهجت رياض صليب ، مطابع سجل العرب ، مصر ، 1983م .

8. قنسان مونتاي ،الاسلام في إفريقيا السوداء، ترجمة الياس حنا الياس ،ط1، أبعاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، 1983م.

خامساً : الدراسات السابقة :

1. أبو بكر محمد كوناتي ، دراسة تقابلية بين اللغة العربية والماندنقو علي مستوي الضمائر وأسماء الإشارة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1998م .

2. أحمد الياس حسين ، العلاقات بين مملكة غانا والمغرب العربي بين القرنين الثالث والخامس الهجريين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية جامعة القاهرة ، 1982م .

الطرق التجارية عبر الصحراء الكبرى حتى مستهل القرن 16 رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب جامعة القاهرة ، 1977م .

3. أحمد سمي جدو محمد النور ، تاريخ العلاقات السودانية التشادية (1820م – 195م) رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الدراسات العليا ، كلية التربية قسم التاريخ جامعة الخرطوم،1997م.

4. الهام محمد أحمد الأقرع، دور المسجد وأثره في إعداد المرأة المسلمة،(دراسة ميدانية لمساجد ولاية الخرطوم) رسالة ماجستير غير منشورة،جامعة القران الكريم والعلوم الإسلامية،كلية الدراسات العليا، قسم الدعوة والإعلام،1999م

5. إسماعيل محمد إسماعيل جابر عبد العال ، أثر الإسلام وثقافته في غرب أفريقيا (غانا – مالي – صنقي) من القرن الخامس عشر إلي التاسع عشر ، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس ، كلية التربية ، قسم التاريخ ، جامعة الفاشر ، 2005م .

التنوع القبلي وأثره في الاندماج القومي في دارفور (1640 – 1916م) ، بحث تكميلي لنيل درجة البكالوريوس مرتبة الشرف ، كلية التربية والآداب ، قسم التاريخ ، جامعة الفاشر ، 2006م

6.جعفر محمد خلف الله محمد شبو ، الحياة الاجتماعية والثقافية والعلمية في دولة مالي الإسلامية في العصور الوسطي ،(5–8 هـ / 12 –15 م)، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الدراسات العليا ، كلية الآداب ، قسم التاريخ والحضارة الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 2008م.

7. دياغاتي سعيد ، لغة الماندنكو بالحرف العربي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 1994م.

8. وداد نصر محمد السيد الطوخي ، مدينة تنبكتُ منذ نشأتها حتى دخول السعديين رسالة ماجستير غير منشورة، معهد البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ جامعة القاهرة،1986.

9.حسن أحمد محمود ، قيام دولة المرابطين بالمغرب ، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية الآداب ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1953م .

10. محمد ألامين هلاسي، تطور الثقافة الإسلامية في مالي (الماضي والحاضر والمستقبل) رسالة ماجستير غير منشورة، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة أفريقيا العالمية، الخرطوم ، 1996م.

11. محمد أنور توفيق أبو عليم ، دولة صنغاي الإسلامية تطورها الاقتصادي والاجتماعي والحضاري (1493 – 1591م) رسالة ماجستير غير منشورة ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة ، 1997م .

12. نعمة عبد السلام الحسن ، علاقة بلاد السودان ببلاد المغرب العربي منذ الفتح الإسلامي إلي نهاية العصر الفاطمي ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب قسم الدراسات العليا ، شعبة التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة أم درمان الإسلامية ، 1999م.

13. عبد الله تراوري ، تأثير اللغة العربية علي الماندنكو من ناحية المفردات ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 2001م

14. عبد الباقي محمد أحمد كبير ، المرابطون ودورهم في نشر الإسلام في غرب إفريقيا رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، قسم الحضارة والتاريخ جامعة الأزهر ، 1984م .

15.عيسي ديامو تيني ، استخدام المفردات العربية المنقرضة في لغة ماندنكو في تأليف النصوص التعليمية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد الخرطوم الدولي للغة العربية ، جامعة الدول العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، 2002م .

16.عصمت هاشم عبد اللطيف دندش ، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب أفريقيا مع نشر وتحقيق رحلة أبي بكر المعفاري ،(1038 – 1311م)، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، قسم التاريخ ، جامعة القاهرة 1975م.

17.عثمان عبد الجبار عثمان ، السنوسية ودورها الديني والسياسي في السودان الأوسط رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، قسم الدراسات العليا ، شعبة التاريخ و الحضارة الإسلامية ، جامعة أم درمان الإسلامية ، 1992م..

سادساً: الدوريات :

1. بابكر حسن محمد قدمارى (الأثر العربي في اللغات والثقافات الإفريقية) مجلة دراسات إفريقية العدد 29 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم (2008م) .

2. حسنات عوض ساتي (المرأة الإفريقية الواقع والمأمول) (المرأة السودانية نموذجاً) مجلة دراسات إفريقية العدد 35 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم (2006م) .

3. يوسف فضل حسن (بعض مظاهر التواصل الأفريقي) مجلة دراسات إفريقية العدد 35 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم،(2006م).

4. كمال محمد جاه الله (الأصل السلالي المشترك لمتحدثي أسرة اللغات الإفريقية) مجلة دراسات إفريقية العدد 39 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم(2008م).

5. مهدي ساتي صالح (الإسلام والقيم الاجتماعية الارواحية في إفريقيا جنوب الصحراء) مجلة دراسات إفريقية العدد 38 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم(2007م).

6. عبد اللطيف البوني (الدين والمجتمع عامل تقسيم أم تكامل) مجلة دراسات إفريقية العدد 11 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم (1999م).

7. عون الشريف قاسم (حول الأديان في إفريقيا) مجلة دراسات إفريقية العدد 11 مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم(1999م).

8. عثمان سيد أحمد البيلي (الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية بغرب إفريقيا) مجلة دراسات إفريقية العدد الأول ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم (1985م) .

9. عوض عبد الهادي العطاء (الرحلة الحجازية وأثرها العلمي علي إفريقيا) مجلة دراسات إفريقية العدد 23 ، مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية ، الخرطوم (2000م).

10. قاسم الزهيري(الممالك الإسلامية القديمة في إفريقيا السوداء) مجلة دعوة الحق ،العدد 6، الرباط، (1962م).

سابعاً المراجع الأجنبية:

trimingham j. s AHs t ory of Islam in wes Africa

oxford 1962

ثامناً: المحاضرات والسمنارات والحلقات التلفزيونية:

1. ادم عبد الرحمن ، محاضرة قدمها لطلاب الدفعة (11) تاريخ ، السنة الخامس والدبلوم العالي ،كورس منهج البحث التاريخي (المصادر الأولية والثانوية والعلوم المساعدة للتاريخ) كلية التربية والآداب ، جامعة الفاشر ، (2006م) .

2. إسماعيل راجي الفاروقي ، الأبعاد الروحية والسياسية والاقتصادية للعبادات وأهميتها لكل من الأمة والفرد ، محاضرات ومناقشات الملتقى العاشر للفكر الإسلامي ، منشورات وزارة الشئون الدينية ، الجزائر ، المجلد الرابع ، 1976م.

3. محمد موسي أحمد ، محاضرة قدمها لطلاب الدفعة (11) السنة الأولي،في كورس تاريخ السودان القديم (مدلولات لفظ السودان عبر العصور) كلية التربية والآداب ، جامعة الفاشر ،(2002م) .

4. مهدي ساتي صالح، محاضرة قدمها لطلاب الدفعة (16) تخصص تاريخ أفريقي ،كورس التاريخ الأفريقي القديم ، (الحضارات الأفريقية القديمة) مركز البحوث والدراسات الإفريقية ، جامعة إفريقيا العالمية،الخرطوم ،(نوفمبر 2008 إلي مارس2009م) .

5. العرب في إفريقيا الجذور التاريخية والواقع المعاصر ، مقرر سمنار التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، أشراف د. رءوف عباس حامد ، دار الثقافة العربية للنشر القاهرة 1987م.

6.(مالي والوجه الأخر) حلقة تلفزيونية في قناة الجزيرة الإخبارية، تقديم عياش دراجي (2005/11/14م).

تاسعاً: الانترنيت:

1. آدم بمبا،رمضان ومظاهر الثقافة في مجتمعات غرب أفريقيا المسلمة www.ruowaa.com
2. أحلام عبد الرحيم أحمد مصطفي ، أوضاع المسلمين فى أفريقيا المعاصرة ، دراسة إحصائية ، موقع مبارك قسم الله للمعلومات .
3. السر سيد أحمد العراقي ، الإسلام في غرب أفريقيا ، موقع مبارك قسم الله الإلكتروني
4. بشير زهدي www.arab-ency.com
5. محمد وليد الجلاد ، الأدب الأفريقي ، الموسوعة العربية ،ج2 ، www.arab.ency.com
6. مشيريط على ، القياس الاجتماعي (دروس في علم النفس الاجتماعي) ، الشبكة الدولية للمعلومات
7. عبد الرحمن احمد عثمان وأحلام عبد الرحيم أحمد مصطفي ، تحديات الإسلام والمسلمين في أفريقيا المعاصرة ، مركز مبارك قسم الله للمعلومات .
8. شوقي الجمل وعبد الله عبد الرازق ، الحضارة الأفريقية ، المكتبة الإلكترونية ، (د.ت)
9. الإسلام والمسلمين في أفريقيا ، مركز مبارك قسم الله للمعلومات
10. العلاقات الفكرية بين بلاد المغرب وإفريقيا جنوبي الصحراء عبر العصور
11. قطرة من محيط تاريخ بلاد (مندان) وأيامها الغابرة،على الموقع

12www.kanjamadi.com

13 www.babylon.com

14 www.alhadiah.com

15 www.annabaa.org

16www.islm.maroc.ma-ar.com

الملاحق :

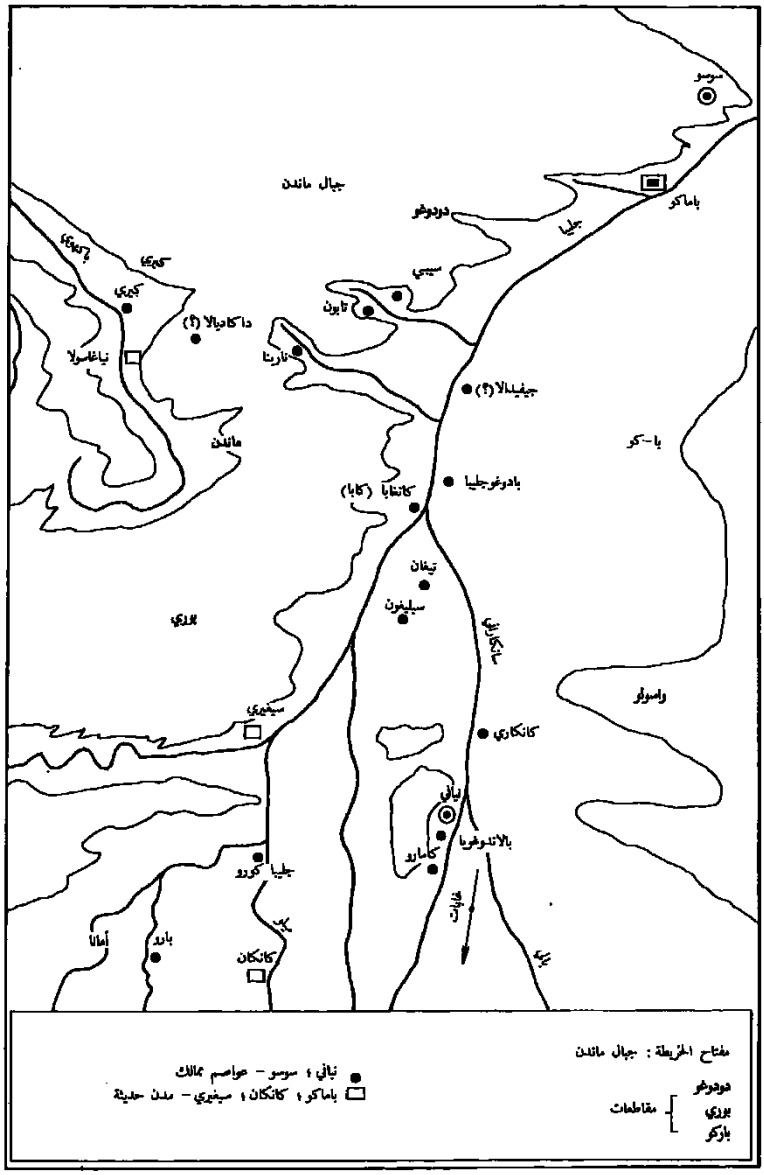

المصدر: جبريل ت نيانى ، مرجع سابق ص139

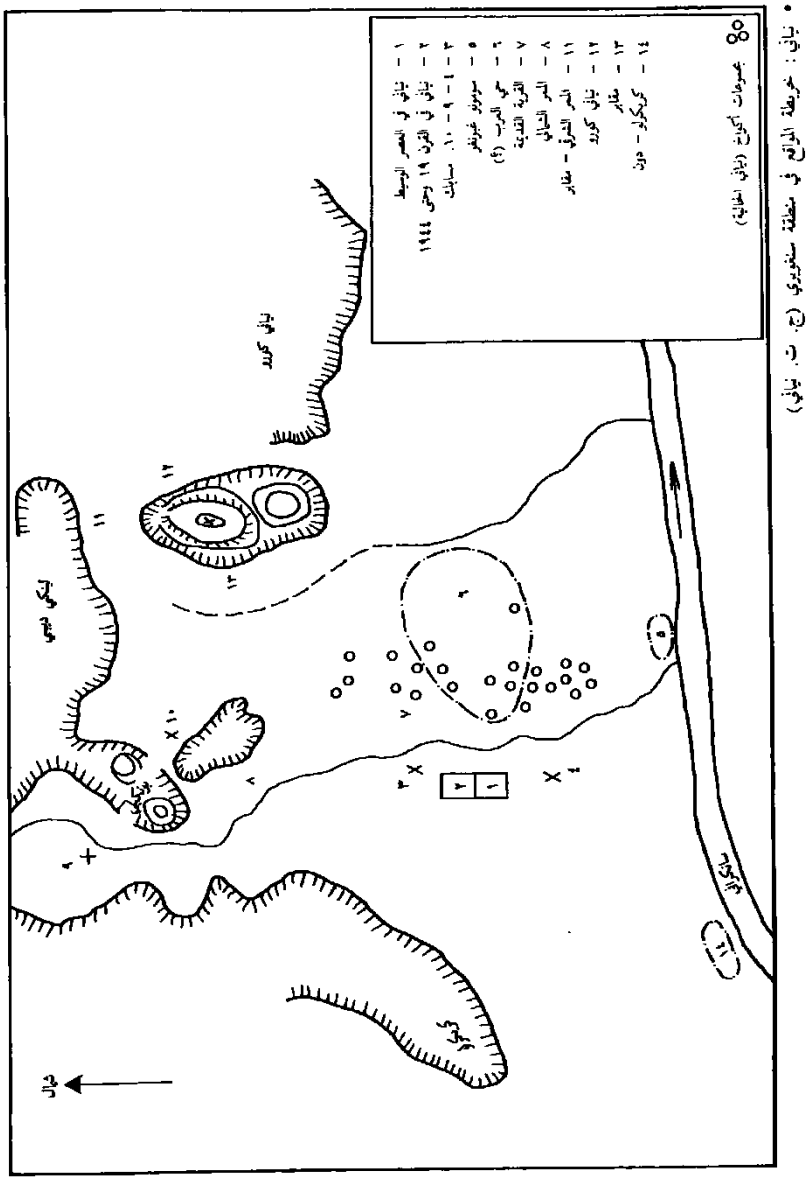

المصدر: جبريل ت نيانى ، مرجع سابق ، ص150

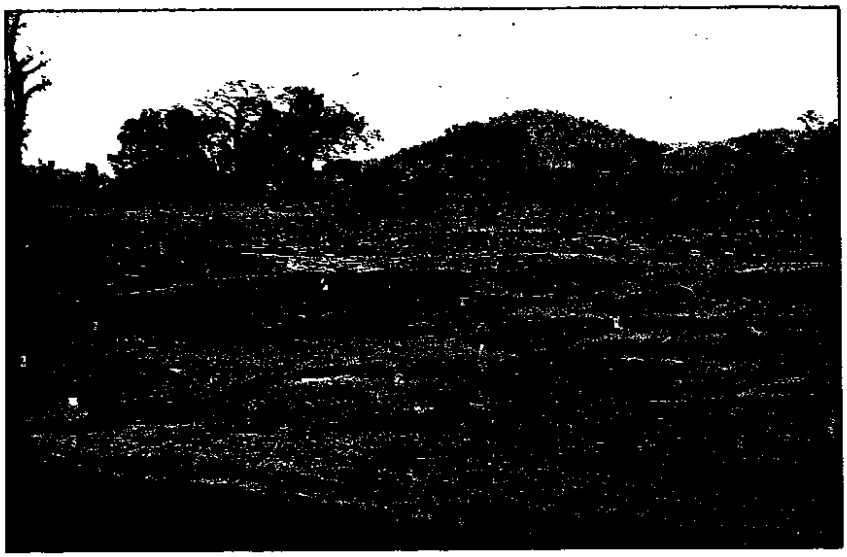

١. نياني. محطة ١. منظر عام لأساسات الأكواخ في المنطقة المأهولة (منسوب ٢)
٢. نياني. محطة ٢٩. صخور ضخمة من الدولريت على سفح نياني لورو .
(حيث وجدت شقف فخارية عديدة). مكان للعبادة؟

المصدر: جبريل ت نيانى ، مرجع سابق، ص148

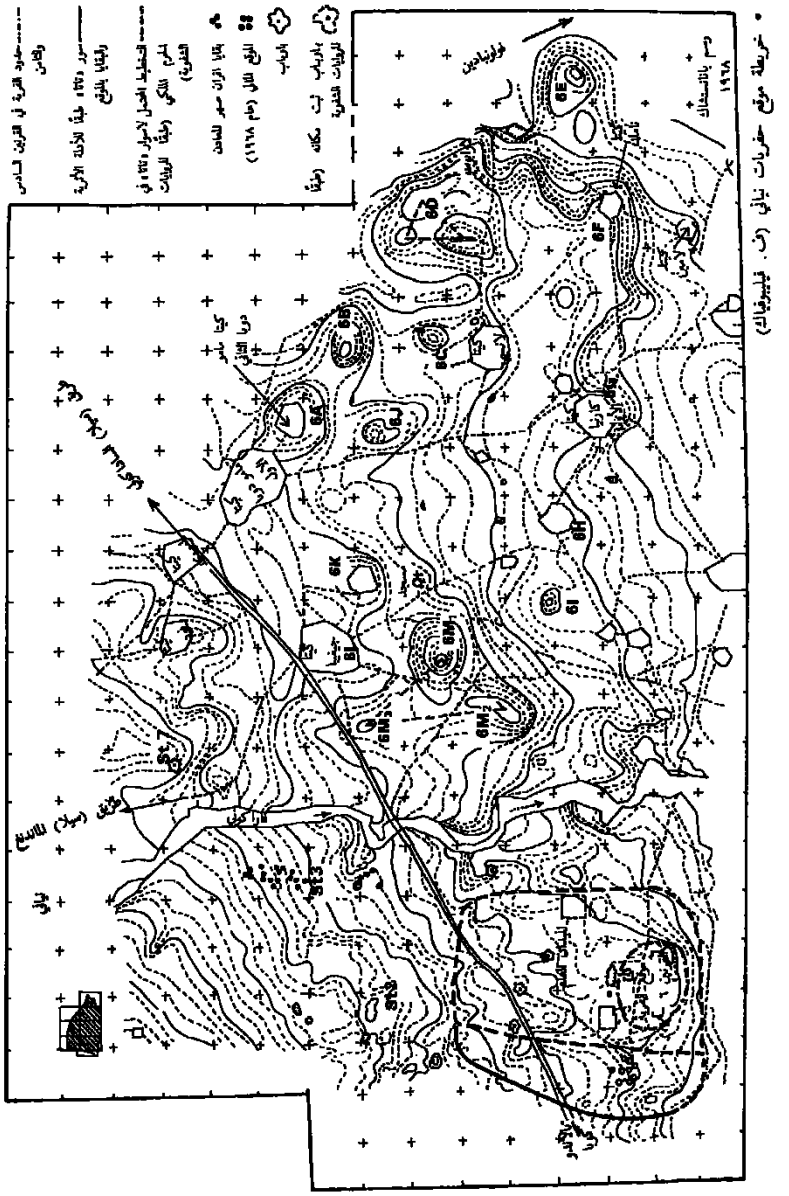

جبريل ت نيانى، مرجع سابق، ص

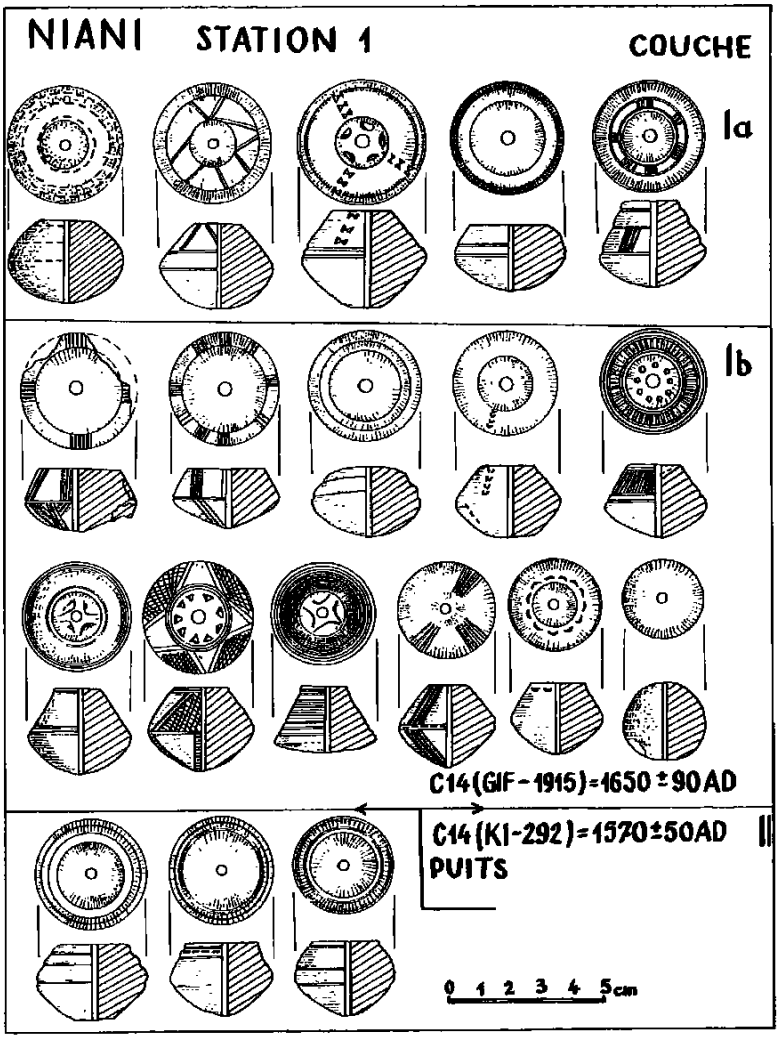

• نياني. المحطة ١.
مجموعة من المغازل وجدت في طبقات الحي السكني
من المنطقة الملكية
(حسب فيليبوفياك ١٩٧٩).

1

جبريل ت نيانى ، مرجع سابق، ص 152

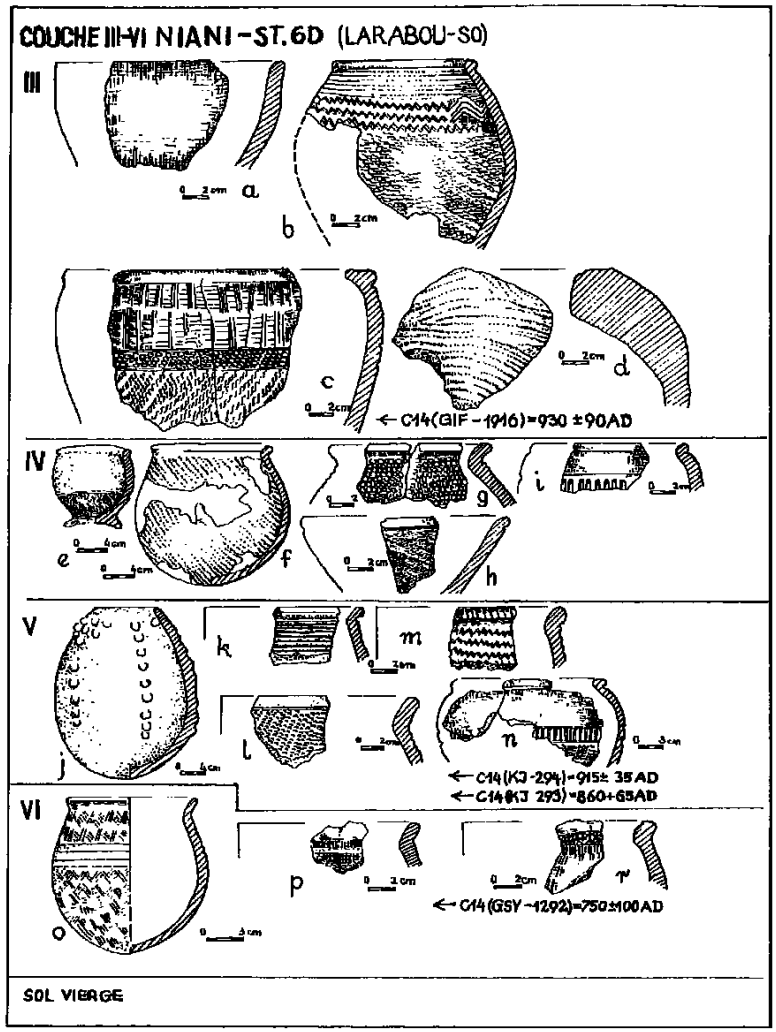

• نياني. المحطة ٦ – د (حيّ العرب)
مجموعة من الأواني الخزفية
وجدت في الطبقات ٣-٦ المؤرخة بالكربون
(حسب فيليبوفياك ١٩٧٩)

المصدر: جبريل ت نياني ، مرجع سابق، ص 153

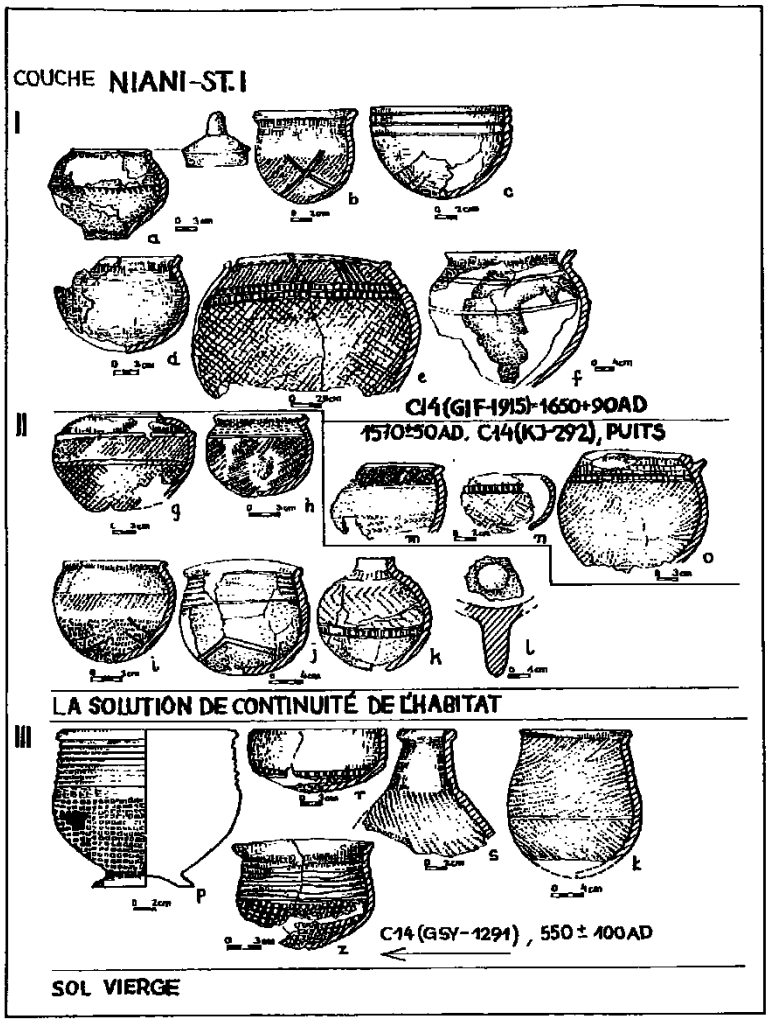

• نياني. المحطة ١.
مجموعة من الأواني الخزفية
وجدت في الطبقات ١-٣ المؤرخة بالكربون
(حسب فيليوفياك ١٩٧٩).

المصدر: جبريل ت نياني، مرجع سابق، ص 155

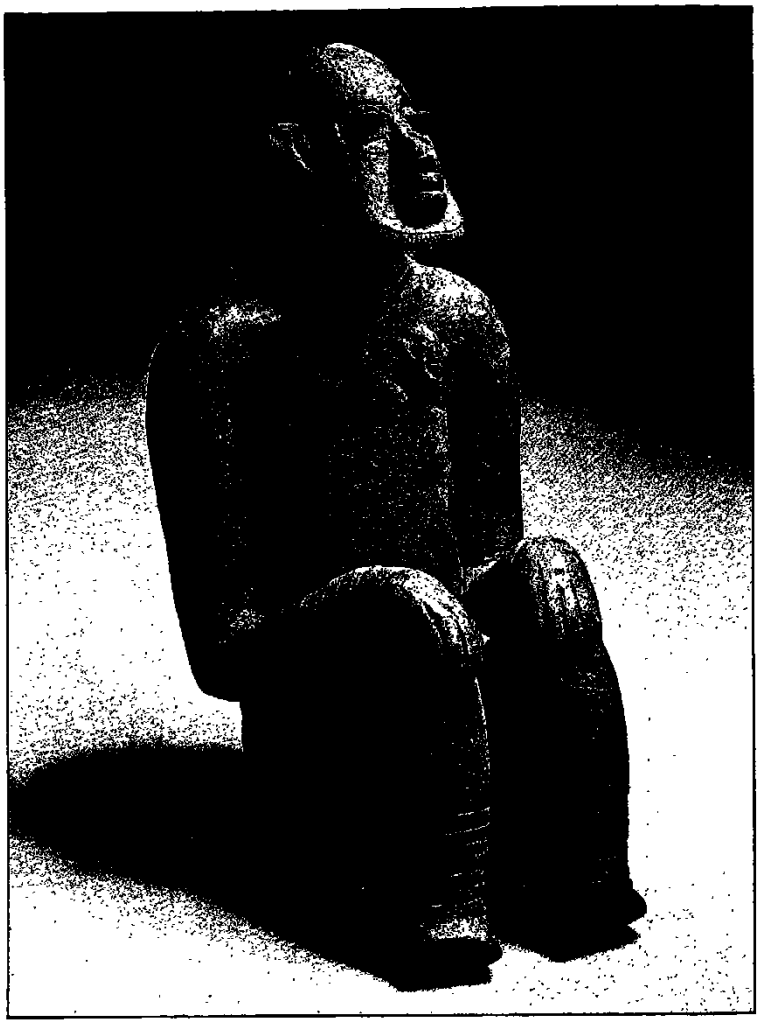

• امبراطورية مالي :
تمثال شخص ملتحي مصنوع من الفخار
(تأريخ بالإضاءة الحرارية :
٨٦٠ + ١٨٠ قبل ١٩٧٩ ، اي ٩٣٩ – ١٢٩٩)

المصدر: جبريل ت نياني، مرجع سابق ص174

قناع إفريقي للرقص (مالي)

المصدر : بشير زهدي، مرجع سابق

سجد جنة بمالي

المصدر: ليلى حلاوة **

2005/01/02

المصدر: موقع اليونسكو الالكتروني